جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM AND AGRICULTURAL INNOVATION

YEAR OF ZAYED

زايد الزراعي والنخيل

زايد..
الزراعة والنخيل

زايد..
الزراعة والنخيل

إعداد الأمانة العامة للجائزة

إذن طباعة وإجازة تداول مطبوعات ونصوص، صادرة عن المجلس الوطني للاعلان، أبوظبي
رقم السجل الإعلامي: MF-03-0236132
تاريخ: 20 نوفمبر 2018
التصنيف العمري (E): تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام
مكان الطباعة: مطبعة بن دسمال، أبوظبي

رقم التصنيف الدولي: ISBN 978-9948-39-871-4

حقوق الطبع محفوظة
جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي

الطبعة الأولى- نوفمبر 2018

صندوق بريد 3614 أبوظبي, الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
هـاتـــف : 99 99 304 2 971+
فاكس : 90 99 304 2 971+
info@kiaai.ae www.kiaai.ae

@kiadpai
Khalifa International Award
Khalifa Award for Date and Agriculture

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

المغفور له بإذن الله

الشيخ زايد بن سلطان آل نهـيان

(طيب الله ثراه)

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

صاحب السمو الشيخ

خليفـــة بن زايـد آل نهـيان

رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

مؤسس الجائزة وراعيها «حفظه الله»

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

صاحب السمو الشيخ

محمد بن زايـد آل نهـيان

ولي عهد أبوظبي

نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

سمو الشيخ

منصـــور بن زايـد آل نهـيان

نائب رئيس مجلس الوزراء

وزير شؤون الرئاسة

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

معالي الشيخ

نهيان مبارك آل نهـيان

وزير التسامح

رئيس مجلس الأمناء

الفهرس

أقوال من ذهب 17
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

معالي الشيخ نهيان مبارك آل نهيان 19
وزير التسامح رئيس مجلس الأمناء

اهتمام الشيخ زايد بالغابات 22
سعادة علي محمد بن رصاص المنصوري

حكيم العرب.. أنصف سيدة الأشجار 28
الأرشيف الوطني

سنعمل بشغف لاستكمال مسيرة الشيخ زايد 30
معالي مريم بنت محمد سعيد حارب المهيري

القيم الوطنية والثقافية التي رسخها الشيخ زايد 32
معالي فارس خلف المزروعي

الزراعة.. نظرة عميقة لجذور الاستقرار في المجتمع 34
معالي سعيد بن محمد الرقباني

أبوظبي تستكمل المسيرة التي بدأها الشيخ زايد لحماية موروث الغابات 38
سعادة رزان خليفة المبارك

النخيل وزايد.. مسيرة مباركة 42
سعادة ناصر محمد الجنيبي

تخليداً لذكرى المغفور له الشيخ زايد في "عام زايد" 44
معالي خوسيه غراسيانو داسيلفا

إسهامات المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الزراعة 46
البروفيسور إبراهيم آدم أحمد الدخيري

أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة 48
علي أبو سبع

شاهد آخر على حكمة رجل البيئة الأول 52
الدكتورة أسمهان الوافي

الجهود الرائدة للمغفور له الشيخ زايد في تطوير الزراعة وتعزيز الأمن الغذائي في دولة الإمارات العربية المتحدة 54
محمد بن عبيد المزروعي

قالوا عن زايد في الزراعة والنخيل 60
شخصيات عاصرت الشيخ زايد, من أرشيف مجلة الشجرة المباركة

رحلتي مع الشيخ زايد 78
سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق

كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء؟ 98
سعادة الدكتور هلال حميد ساعد الكعبي

زراعة نخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة 140
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب زايد

أصول الريادة الحضارية 158
الدكتور نبيل راغب

جهود زايد.. بداية النهضة الزراعية برأس الخيمة 174
الدكتور محمد فارس الفارس

زايد عن قرب 184
الأستاذ وجيه أبو ذكري

زايد ونخيل الإمارات 200
الأستاذ الدكتور وليد عبدالغني كعكة

زايد والأفلاج، اصلاح زراعي واجتماعي 218
الأستاذ خالد صالح ملكاوي

زايد أصلح نظام السقاية, وألغى تجارة الماء 228
الأستاذ حسن بحمد

جوائز وأوسمة 238
الدكتور عماد سعد

أرشيف الصور 250
الأرشيف الوطني

أقوال من ذهب

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

"كان الخبراء الذين قَدِمُوا إلينا لا يُشجعون الزراعة والنمو، إلا أننا قلنا لهم دعونا نجرب، فربما أفلحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة زراعية، وبالفعل بدأنا التجربة ووفقنا في تجربتنا مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار"

من حديث سموه لتلفزيون القاهرة 25 يونيو 1976

"ونتيجة لمتابعتي الشخصية لكل ما يتعلق بالزراعة وتطويرها وتنميتها، وجدت اليوم أن حجم المنتوجات الزراعية للخضروات والمحاصيل الأخرى كالحبوب والنخيل يزيد ضعفين عما كان عليه في العام الماضي"

من حديث سموه بعد افتتاحه للمعرض الزراعي السنوي الثامن 25 مارس 1977

"إن بعض الخبراء الزراعيين قالوا قبل عشرين عاماً أن الأرض في منطقة (ليوا) لا تصلح إلا لزراعة النخيل فقط، واليوم، وبفضل العزيمة والخبرة المحلية في الزراعة، استطعنا أن نزرع وننتج ونصدر الخضروات والفواكه من ليوا، ولذلك، أقول، من زرع حصد، ونحن في الدولة اليوم نجني ثمار غرسنا في العلم والمعرفة"

من حديث سموه لأبنائه الطلاب الدارسين في بريطانيا 26 أغسطس 1997

"لقد ثبت من التجربة أن المسؤولية في المحافظة على البيئة، ليس مسؤولية الهيئات العلمية والمختصين فقط، حين سألنا الخبراء قبل ثلاثة عقود عن إمكانيات الزراعة في بلادنا قالوا لنا هذا مستحيل.. أنتم تعرفوا ماذا حصل بفضل الله وبالتصميم والارادة أثبتنا أن ذلك ممكن، بل وممكن جداً"

من كلمة سموه في يوم البيئة الوطني الأول 1998

"إن اهتمامنا بحماية البيئة وصون ما فيها من نبات وحيوان، ليس وليد الساعة، وإنما هو اهتمام أصيل راسخ، دَعَوْنَا له ومارسناه وطبقناه قبل أن يبدأ الاهتمام العالمي به بسنوات عديدة"

من كلمة سموه في يوم البيئة الوطني الأول 1998

المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

عـــــام
زايـــــد

YEAR OF
ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

زايد قاهر الصحراء

مثلت الصحراء التحدي الأكبر في حياة المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" منذ نصف قرن ونيف في العام 1946 في حينه كان ممثلاً لحاكم إمارة أبوظبي في المنطقة الشرقية بمدينة العين. لقد أدرك زايد منذ اللحظات الأولى أهمية توفير المياه للناس لتكون الأساس في عملية زراعة وتخضير الصحراء وإعادة الحياة إلى إخوانه سكان البادية في مختلف المناطق والمحاضر والواحات.
لقد اهتم الشيخ زايد بأبناء البادية وهم يشكلون قطاعاً عريضاً من السكان، وكان السؤال حينئذ كيف يمكن تحويل إنسان البادية من إنسان قهرته الصحراء إلى إنسان يقهر الصحراء. فكان القرار عبر تمكين الانسان من الارتباط بالأرض عبر الزراعة.

إن الزراعة من وجهة نظر الشيخ زايد كانت تعبر عن نظرة عميقة وأمل كبير، وعن فهم أصيل لجذور الاستقرار في أي مجتمع. فالزراعة ليست مجرد لون أخضر يهزم لون الرمال الأصفر، كما ردد البعض وهم يتحدثون أو يكتبون عن حياة زايد، ولكن الزراعة قبل ذلك في اعتقاده ويقينه، هي أهم عنصر من عناصر الاستقرار، فلا حضارة ولا تقدم بغير استقرار، ثم أن الزراعة هي المدرسة الأولى التي تعلم فيها الإنسان كيف يتعايش مع الطبيعة، وكيف يُنتج احتياجاته من الطعام ومواد البناء وغيرها، إن العمل الزراعي ضرورة حتمية ولا حياة ولا حضارة بدون الزراعة، ومن أشهر مقولات سموه "رحمه الله" في هذا المجال "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة". ولا عطاء بغير جهد وهذه الدروس قد تعجز عنها المدارس، ولكن الأرض تُعَلمُها لأبنائها فَيروُونَها بالعرق وتغرقهم بالخيرات. وعندما نتفهم هذه المعاني والأبعاد ونحن نحتفل بعام زايد 2018 نحاول الاقتراب من جوانب شخصية زايد بن سلطان "طيب الله ثراه"، حيث نستطيع أن ندرك بسهولة الدوافع النبيلة وراء اهتمامه الكبير بالزراعة، وتذوب دهشتنا لنجاحه الباهر في تغيير شكل الخريطة الزراعية للدولة، وقهر الصحراء.

وبهذه المناسبة نجدد الولاء والعهد أن نبقى أوفياء لرؤية الوالد المؤسس الشيخ زايد "طيب الله ثراه" باني النهضة الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة، بالمحافظة على إرثه الزراعي. والمضي قدماً على خطى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة "حفظه الله" وتوجيهات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، ودعم سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير شؤون الرئاسة.

نهيان مبارك آل نهيان

وزير التسامح

رئيس مجلس أمناء جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

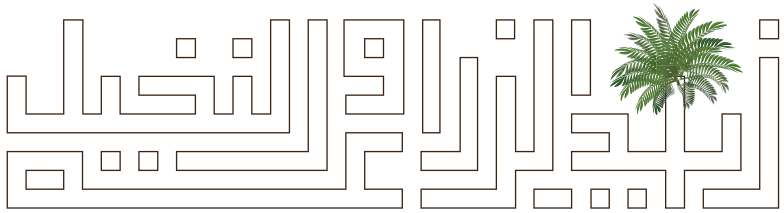

اهتمام الشيخ زايد بالغابات

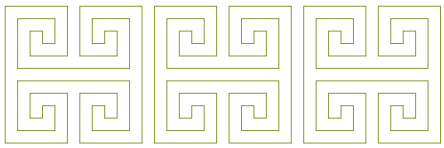

سعادة علي محمد بن رصاص المنصوري
وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة

استطاع المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، وبعزم القائد وحنكته قهر كل الظروف الصعبة وتحويل المناطق الصحراوية القاحلة إلى رقعة خضراء. فقد خصص طيب الله ثراه مساحات واسعة من هذه المناطق لإقامة مشاريع طموحة للغابات بلغت مساحتها 220 ألف هكتار وبلغ عدد الأشجار فيها حوالي 40 مليون شجرة من مختلف الأنواع في الدولة مما أنعش الحياة في البيئة الصحراوية وأوقف الزحف الصحراوي نحو المدن.

ولقد قامت رؤية المغفور له بإذن الله نحو إنشاء الغابات في الإستفادة منها كمصدات للرياح وتثبيت التربة وحماية المدن من الرياح المحملة برمال الصحراء هذا غير دورها في تلطيف الجو وتقليل نسبة الرطوبة وامتصاص انبعاثات الغازات الدفيئة المسببة لظاهرة الإحتباس الحراري, فحقق بذلك التوازن بين التنمية والبيئة.

ولقد اهتم المغفور له بإذن الله بتطبيق مبدأ التنوع النباتي في مشاريع النهضة الزراعية وتنفيذاً لهذه الرؤية فقد إسْتُزْرِعَتْ العديد من أنواع الاشجار ذات الصلة ببيئة الامارات مثل أشجار الغاف والسدر والسمر والراك (المسواك) وكذلك الحشائش والأعشاب الصحراوية التي تنتشر جذورها عرضياً مغطية مساحات واسعة عند سفوح الكثبان الرملية والمنخفضات الصحراوية مثل الهرم والأرطة والرمث والمرخ والثمام والزهرة والغضا والرمرام وذلك بغرض تثبيت التربة. وكما اهتم بإنشاء المشاتل لهذه الأنواع بغرض نشر زراعتها وتوسيع رقعة إنتشارها بين الكثبان الرملية.

وقد اعتمدت خطة المغفور له بإذن الله على عدة محاور نذكر منها التالي:

- الزراعة حول المدن والمنشآت والطرق لحمايها من زحف الرمال.
- الزراعة في وسط الصحراء وبين الكثبان الرملية وشكل موزع مابين السهول وبين الكثبان الرملية بغرض تثبيت تربتها.
- إحياء موارد المياه القديمة التي كان يقطن حولها البدو بغرض الرعي وذلك بزراعة أشجار النخيل والأشجار الغابوية حول هذه الموارد وذلك بغرض تثبيتها وحمايتها من زحف الرمال.

- إنشاء المحميات الطبيعية لإطلاق الغزلان والمها العربي المهدد بالانقراض وذلك مثل محمية صير بني ياس.

وتم تنفيذ هذه الخطة وفقاً لطبيعة المياه في المناطق المستهدفة. فالمناطق التي تصل ملوحة المياه فيها إلى 10000 جزء بالمليون فتمت زراعتها بأشجار الغاف والسدر والسمر، وأما المناطق التي تزيد فيها ملوحة المياه عن 10000 جزء بالمليون وتصل إلى 35000 جزء بالمليون مثل سبخات الوثبة فقد تمت زراعتها بأشجار الراك.

وكما شملت التجارب في هذه المنطقة زراعة نبات الجاتروفا وتجربة استخراج الزيوت منها.

وأما بالنسبة للمناطق الصحراوية الواقعة بين الكثبان الرملية التي لا تصلها المياه فقد شجع المغفور له بإذن الله الشيخ زايد القيام بالتجارب لزراعة الأشجار والشجيرات والحشائش المحلية دون الحاجة لشبكات ري ومن ضمن التجارب الناجحة التي ساهمت في إخضرار هذه المناطق فهي إستخدام العبوات البلاستيكية ذات الأحجام المختلفة والتي يتم تعبئتها بالمياه وبها فتحة صغيرة في اسفلها لتنقيط الماء وتوضع بجانب شتلة الأشجار أو الأعشاب في إتجاه معاكس للشمس لتظليلها ومعاكس للرياح لحمايتها و لمدة إسبوعين حتى تنغرس جذور الشتلة في التربة وتترك لتواصل النمو لوحدها.

وقد أثبتت كل هذه التجارب نجاحها حيث نمت هذه الشتلات وغدت شجيرات كبيرة منتشرة بين الكثبان وساهمت كثيراً في تثبيت تربتها.

وبجانب ذلك فقد إهتم طيب الله ثراه بزراعة السواحل بغرض تنمية الحياة الفطرية حيث تم زراعة أشجار الراك على مياه البحر والتي جذبت بذورها ووجود مخابئ بها الأرانب والطيور.

كما إهتم المغفور له بإذن الله بتطوير وتنمية زراعة أشجار النخيل من خلال توسيع الرقعة المزروعة منها في مختلف أنحاء الدولة مع الإهتمام بتحسين إنتاجية هذه الأشجار وتحسين نوعية التمور مما جعل دولة الإمارات من ضمن الدول الريادية في مجال زراعة النخيل حيث يقدر عدد أشجار النخيل بالدولة بحوالي 40 مليون نخلة تنتج مختلف أنواع التمور مثل الخنيزي والخلاص والجبري واللولو والبرحي والشيشي ودقلة نور وفرض ورزيز.

وبجانب وقوف المغفور له بإذن الله بنفسه على تنفيذ هذه المشاريع البيئية على أرض الواقع فقد اهتم بإنشاء ودعم المؤسسات والهيئات العلمية لإدارة وحماية البيئة ورسم الاستراتيجيات لإستدامتها. وكما اهتم بتشجيع الأبحاث العلمية حول الفوائد الطبية للنباتات والأعشاب المتوفرة ببيئة الدولة وذلك من خلال إنشاء مجمع زايد لطب الأعشاب وتشجيع التعاون مع المؤسسات العلمية العالمية المهتمة بدراسة النباتات الطبية.

إن ما أنجزه المغفور له بإذن الله كان عبارة عن معجزة و ماتراه اليوم شاهد على ذلك فإستحق بلا منازع لقب فارس الصحراء وصانع معجزة الخضرة فيها ورجل العصر ورجل البيئة، وما حققه في هذا المجال صار محل إهتمام و إحترام كثير من الدول والمنظمات الإقليمية و الدولية وتثمينا لهذا الجهد وإعترافاً به فقد تم منحه العديد من الجوائز فعلى سبيل المثال لا الحصر لقب رجل البيئة والإنماء لعام 1993 - مهرجان الشباب العربي - بيروت؛ وشاح رجل الإنماء والتنمية في -1993 جامعة الدول العربية؛ جائزة الشخصية الإنمائية لعام 1995 - مركز الشرق الأوسط للدراسات والبحوث - جدة؛ جائزة تقديرية وميدالية ذهبية في 1995 - منظمة الأغذية والزراعة الدولية - روما؛ جائزة الباندا الذهبية في -1997 الصندوق العالمي لصون الطبيعة؛ جائزة داعية البيئة في 1998 - منظمة المدن العربية - الدوحة؛ أبرز شخصية عالمية في 1998 - هيئة رجل العام الفرنسية.

الهرم

الرمث

المرخ

الثمام

الزهرة

الغضا

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يسقي شجرة الصداقة رمز التعاون بين الشعبين الهندي والإماراتي - دلهي - 28 / أبريل / 1975م
(المصدر: الأرشيف الوطني - وام)

حكيم العرب.. أنصف سيدة الأشجار فبوأها مكانتها وجعلها في الصدارة

جعل القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان- طيب الله ثراه- النخلة أساساً لمشروعه البيئي والزراعي منذ ان كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية، أو منذ بدأ إرساء الدعائم الحضارية لدولة الإمارات العربية المتحدة، منطلقاً من مدينة العين حيث قاد نهضة زراعية وبيئية مشهوداً لها على نطاق دولي.

لقد أولى الشيخ زايد اهتماماً خاصاً لأشجار النخيل لأنها - على حدّ قوله رحمه الله: "جزء من أصالتنا وتراثنا" ولم يكتف بالعناية بأشجار النخيل فقط بل عمل على نشرها أيضاً في مختلف أنحاء البلاد، ذلك بعد أن ألمّ بزراعة النخيل الإهمال إثر توجه السكان إلى العمل في مهنة الغوص عن اللؤلؤ.

وما زال أهل الإمارات يفاخرون بكثرة نخيلهم وجودة تمورهم، وبعد التوسع الهائل في زراعة النخيل وإنتاج التمور تمّ انشاء مصانع تعليب التمور لتوفيرها على مدار العام في عبوات بأحجام مختلفة ومناسبة تصلح للاستهلاك المحلي والتصدير، وتم إنشاء المختبرات لإكثار النخيل وعلاج أمراضها، والعناية بها بصورة علمية، ونجم عن ذلك الاهتمام بالنخلة التي لازمت إنسان الإمارات منذ أمد بعيد، أن بلغت أصناف التمور التي تجنيها دولة الإمارات العربية المتحدة من نخيلها أكثر من 120 نوعاً، في الوقت الذي يحتوي العالم كله على حوالي 1500 نوع من شجرة نخيل التمر، وتحتوي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على 250 نوعاً.

ويذكر عبدالحفيظ خان في كتابه "خمسون عاماً في واحة العين" الصادر عن الأرشيف الوطني أن شجرة نخيل التمر لها أهمية خاصة في التاريخ الزراعي لدولة الإمارات التي أسسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - فقد أضحت هذه الشجرة المباركة إحدى مفردات الهوية الوطنية في الإمارات، وقد رصدت الدولة لشجرة النخيل خدمات متطورة فنياً وزراعياً وإرشادياً، وليس الهدف من ذلك الاهتمام بالتمور الذي يعدّ محصولاً رئيسياً يحقق عوائد طيبة لدولة الإمارات العربية المتحدة من السوق العالمي فحسب، ولكن لما لنخيل التمر من دور فعال في مكافحة التصحر ووقف التدهور البيئي.

ذلك فضلاً عن أن نخيل التمر هو أكثر الأشجار تكيفاً في العالم؛ إذ تتطلب أقل قدرة من الماء للبقاء، وهي قادرة على مقاومة الحرارة الشديدة والجفاف نهاراً والبرودة القارسة ليلاً، وهي من الأنواع ذات القدرة العالية على تحمل ملوحة التربة والماء، وهو ما يجعل زراعتها ورعايتها أمراً لا يتطلب موارد كثيرة.

لقد أدرك الشيخ زايد تلك الاعتبارات والهموم عندما قرر غرس أشجار نخيل التمر في ستينات القرن الماضي كجزء من برنامج شامل لتحضير الصحراء وكان العالم بأسره آنذاك على بعد عقدين على الأقل من إدراك ما ينطوي عليه التغير المناخي العالمي، والتصحر، والتدهور البيئي.

ويذكر كتاب "زايد والتراث" الصادر عن الأرشيف الوطني أن النخلة تمثل محوراً رئيسياً في التراث العربي والإسلامي، وقد تبوأت مكاناً مرموقاً في الحضارات القديمة، وأصبحت رمزاً للخصب والنماء والعطاء، وقد ورد ذكرها في بعض السور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، واحتلت حيزاً كبيراً في الأدب العربي وفي الإبداع الفني.

وقد شكلت النخلة في ماضي منطقة الإمارات معلماً هاماً في حياة أهل الإمارات وتراثهم، بعد أن عرفوا الأساليب والتقنيات المتصلة بنظام الري المعروف بالأفلاج التي مكنتهم من استخراج الماء من جوف الأرض، وهذا ما أفسح المجال أمام النخلة لكي تُحدِثَ تغيرات اجتماعية واقتصادية لم تعهدها المنطقة من قبل، وأصبحت النخلة تمدّ المجتمعات التقليدية بالغذاء والدواء، والمسكن والأواني، والأدوات والمعدات، وأسهمت في ازدهار الحياة الاجتماعية، ويعدد عبدالله عبدالرحمن الباحث في تراث الإمارات الفوائد الخاصة بمشتقات النخيل بقوله: أما مشتقات النخيل واستخداماتها فهي كثيرة جداً؛ تبدأ بالتمر وهو ثمرة النخيل، ثم سعف النخيل، وجريد السعف الذي يعدّ لبناء "العرش" و "الخيام" التي كانت تمثل النسبة الكبيرة من بيوت الأهالي في المدن والقرى، ويُستخدم الخوص اليابس لصناعة أكياس التمور ومن الجريد تصنع "الشاشة" وهي قوارب الصيد الصغيرة، ومن الجريد الأخضر تصنع القراقير "شباك صيد الأسماك".

وتتشعب فوائد النخيل وتمتد إلى أكثر من ذلك لتشمل أيضاً: الحصر المفروشة، والمكانس، والمهاف، وأشياء كثيرة ضمن أثاث البيت وأدواته، وتستخدم جذوع النخيل في صنع الحبال للبوش والمواشي والأبقار وكذلك للسفن، وما يتبقى يستفاد منه كوقود للطبخ... فأي شجرة تضاهي النخلة في فوائدها ومنافعها؟!.

سنعمل بشغف لاستكمال مسيرة الشيخ زايد لتعزيز الأمن الغذائي بالإمارات

معالي مريم بنت محمد سعيد حارب المهيري
وزيرة الدولة للأمن الغذائي المستقبلي

إن الاهتمام بملف الأمن الغذائي أمر ليس بالأمر الجديد على الدولة، فقد اهتم أجدادنا لسنوات طويلة به، وأشير هنا إلى الاهتمام المبكر الذي أولاه القائد المؤسس المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان، طيب الله ثراه، لضمان تعزيز قدرة الدولة على النمو المستدام بما يحقق رفاهية وسعادة شعبه، لذا فإننا نعمل سويا بشغف كبير لاستكمال هذه المسيرة. فلا شيء مستحيل في دولة الإمارات التي أسست قيادتها الرشيدة رؤية واضحة لنكون أفضل دولة بالعالم في عام 2071 حيث سنحتفي بمئوية تأسيس اتحادنا، فنحن في دولة الإمارات نواجه التحديات على انها فرص متاحة للتطوير والنمو ونتعلم منها بشكل مستمر.

حيث يُشكل الموقع الجغرافي لدولة الإمارات العربية المتحدة، واستمرار النمو السكاني منذ قيام الدولة ولحد الآن، وقلة الأراضي الصالحة للزراعة ضغطاً كبيراً على القطاع الزراعي وإمكانيات الدولة في تطوير نظم الإنتاج الغذائي. ورغم هذه الظرف البيئية الصعبة، إلا أن هذه التحديات وغيرها التي واجهت المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الإمارات وباني نهضتها الزراعية لم تكن عائقاً بل شكلت حافزا لتحقيق رؤيته بأن يجعل من دولة الإمارات مرتكزاً لإنتاج الغذاء لعدد من السلع الرئيسية التي اصبحت مرجعا لموروثنا الثقافي والتراثي وساهمت في وتعزيز الأمن الغذائي. فقد آمن بأن العلم والمعرفة هما السبيل الوحيد لمواجهة التحديات.

فالأمن الغذائي في دولة الإمارات يمثل تحدٍ ضخم لا يمكن تجاوزه إلا عبر التسلح بالبحث العلمي والتطوير والمعرفة الواسعة بمعطيات الوضع الراهن وتوجهات ومتطلبات المرحلة المستقبلية، والتركيز على الدور المحوري الذي يمكن التقنيات المبتكرة أن تلعبه في ضمان الأمن الغذائي المستقبلي لدولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تؤثر على عملية إنتاج وتوفير وتخزين المواد الغذائية وفق أفضل الممارسات الدولية، وتعزز من قدرتنا على تلبية الطلب المتنامي على الغذاء نتيجة لما تشهده دولة الإمارات العربية المتحدة من نمو

وتطور على أوسع النطاقات. ونحن نسعى – بالتعاون مع شركائنا الاستراتيجيين من القطاعات والجهات والمؤسسات ذات الصلة إلى الوصول لخطة متكاملة تستهدف تحسين جودة المحاصيل وزيادة الإنتاجية بشكل مناسب، من خلال اعتماد مقاربات عملية تستند على تسريع تبني وتضمين التقنيات الزراعية في جميع مراحل الإنتاج الزراعي.

كما حرصت دولة الإمارات على ضمان سلامة الأغذية المتداولة والمستوردة إلى الدولة ضمن خطة شاملة لتعزيز مركز الدولة كلاعب رئيسي في منظومة الأمن الغذائي العالمي عبر تيسير حركة التبادل التجاري للأعمال والمنتجات الغذائية مستفيدة من موقعها الجغرافي المتميز الذي يربط الشرق بالغرب، حيث أولت القيادة الرشيدة ضمن مسيرة التنمية الوطنية أهمية كبيرة لتطوير البنية التحتية والمرافق اللوجستية الرئيسية لخدمة منظومة الأمن الغذائي ليس فقط على صعيده الوطني بل على الصعيد العالمي.

وضمن محاور عمل استراتيجيتنا الوطنية، فإننا سنركز على تحسين العادات والقيم الغذائية من خلال تبني حراك ثقافي يستهدف تثقيف الجيل القادم بأهمية التغذية الصحية لبناء مجتمع نشط صحي قادر على ممارسة أنشطته بما يدعم عجلة التنمية الشاملة بالدولة، ويعتبر هذا المحور من أهم ممكنات الارتقاء بمستوى جودة الحياة بالدولة.

وأخيرا فإن توفير الغذاء الكافي لسكان العالم هو قضية عالمية ملحة ومن المحتمل أن تصبح أكثر تعقيداً في العقود المقبلة إن لم نعمل يداً واحدة. إننا نعيش عصراً من الضغوط المتزايدة على الإنتاج الغذائي وذلك نتيجة لمجموعة من التحديات المتداخلة، بما في ذلك تسارع وتيرة تغير المناخ، وتضاؤل إمكانية الوصول إلى المياه العذبة وتزايد متطلبات الطاقة.

القيم الوطنية والثقافية
التي رسخها الشيخ زايد "طيّب الله ثراه"
من خلال الزراعة والنخيل

لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية - أبو ظبي
Cultural Programs and Heritage Festivals Committee - Abu Dhabi

معالي فارس خلف المزروعي
رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية

لشجرة النخيل معانٍ سامية في الذاكرة الإماراتية، فهي كانت، وما زالت، رمزاً لثقافة وتاريخ المجتمع الإماراتي المُتشبّث بجذوره الأصيلة. تُمثل هذه الشجرة المُباركة في وجدان أبناء الإمارات استمراراً لنهج المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في الاهتمام بركائز ومتطلبات التجربة الزراعية، والعمل على تحقيق مزيد من الاستقرار للمواطن عبر توثيق صلاته بأرضه ووطنه.

تعتبر زراعة النخيل في دولة الإمارات محوراً أساسياً في عملية التنمية المُستدامة التي بدأها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد، لدورها الاستراتيجي في تحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي وتنويع مصادر الدخل القومي للبلاد.

اهتمام الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - بالزراعة، جاء كذلك من مُنطلق بيئي وبُعد استراتيجي، حيث يُحسب له ريادته عالمياً في الحفاظ على البيئة وتطوير العمل الزراعي، فأنجز ما وصفوه بالمعجزة، حتى لقب فارس الصحراء، ورجل البيئة الأول.

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"، إحدى الأقوال المأثورة للشيخ زايد، والتي عمل على تطبيقها بتحدّي الصعاب وبذل الجهود التي توجت بنجاح دولة الإمارات في تحقيق نهضة زراعية كانت تبدو مستحيلة في نظر الخبراء والمُختصّين.

واليوم تواصل دولة الإمارات العربية المتحدة المسيرة التي ينتهجها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، ويُتابعها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، من حيث الاستمرار في بذل الجهود وتسخير الطاقات لتطوير زراعة النخيل وتوسيع رقعتها، بالإضافة إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعية وجودة التمور المُنتجة، عبر السعي لابتكار أفضل طرق الزراعة الحديثة والعناية بالأشجار.

ولتحقيق ذلك فقد تمّ إطلاق العديد من المشاريع التراثية الرائدة، ومنها مهرجان ليوا للرطب، جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي، مهرجان ليوا-عجمان للتمور، ومزاد ليوا للتمور، وغيرها من الفعاليات التي تفتح المجال أمام مختلف الأجيال للتعرف على تراث وإنجازات الآباء والأجداد، وإطلاق المبادرات الإنسانية، ضمن جهود تفعيل العمل التطوعي بكل أشكاله وترسيخ ثقافة المسؤولية المجتمعية، وترسيخ الهوية الوطنية.

وجدير بالذكر أنّ منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة الـ "فاو"، قد أشادت وفي مناسبات كثيرة، بتجربة الإمارات الناجحة في التعامل مع ظاهرة التصحر من خلال غرس ملايين الأشجار، ونوّهت بتحويل مساحات صحراوية شاسعة إلى أراض خضراء، مما يُعدّ أوضح دليل على النهضة الزراعية في بلادنا التي تحققت بفضل تضافر الجهود التي تبذلها قيادتنا الرشيدة سيرا على نهج زايد.

ونستذكر هنا ما قاله الشيخ زايد في كلمته بمناسبة يوم الاتحاد في ديسمبر 2003: "لقد تمكنا من تحويل أرض هذا الوطن، التي قيل إنها لا تصلح للزراعة والتنمية، إلى مزارع تنتشر على مدى البصر... وإلى حدائق وغابات خضراء ومصانع إنتاجية".

وإنّ لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، تسعى وعبر مختلف فعالياتها إلى تعزيز قيم الولاء والانتماء عبر ترسيخ قيم الموروث الإماراتي في الوفاء والمحبة والولاء للقيادة والوطن، مُسترشدين برؤية ونهج زايد، في إكساب التجربة الزراعية الرائدة لدولة الإمارات، بُعداً تراثياً يزخر بمكونات التاريخ والحضارة الأصيلة، ويسرد أسرار الصحاري وأحاديث أهلها.

إن ما غرسه المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الأجيال كان غرساً طيباً يسير الجميع على نهجه اليوم.. وبفضل جهود قيادتنا الحكيمة يزداد شعب الإمارات فخراً ومحبة وولاءً، ويُعاهد دوماً على البذل والعطاء في كافة ميادين العمل.

الزراعة ...
نظرة عميقة لجذور الاستقرار في المجتمع

معالي سعيد بن محمد الرقباني
المستشار الخاص لصاحب السمو حاكم الفجيرة

إن الزراعة كما تعلمنا من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" تُعبر عن نظرة عميقة لجذور الاستقرار في أي مجتمع.. لأن الزراعة ليست مجرد لون أخضر، ولكنها قبل ذلك ارتباط بالأرض وتراب الوطن وعنصر من عناصر الاستقرار.. الزراعة هي المدرسة الأولى التي تعلم فيها الإنسان كيف يتعايش مع الطبيعة، وكيف ينتج احتياجاته من الطعام، إذا ما تعلم الإنسان كيف يروي الأرض حتى تعود عليه بالخيرات.

حيث تحققت انجازات غير مسبوقة في قطاع الزراعة في الدولة على الرغم من الطبيعة الصحراوية والظروف المناخية الصعبة، تمثل هذه الانجازات نهضة حضارية متميزة للإمارات تحققت بفضل المولى سبحانه وتعالى والبصيرة الثاقبة وعزيمة التحدي للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه"، أحد الأقوال المأثورة للشيخ زايد "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"، حيث أولى الشيخ زايد رحمه الله قطاع الزراعة اهتماماً كبيراً وقدم كافة أنواع الدعم لهذا القطاع حتى غدت الإمارات مثالاً يُحتذى في تحويل الصحراء إلى جنة خضراء.

فقامت الدولة بتهيئة العديد من الأراضي عن طريق تسوية الأرض وحرثها ومد شبكات الري الحديثة فيها وقامت بزراعتها بشكل مبدئي بأشجار صحراوية قادرة على تحمل ملوحة التربة وحرارة الجو وتم استخدام الطرق الحديثة في الري مثل التنقيط والتقطير والرش وتم توفير الأسمدة الزراعية العضوية والكيماوية وقامت الدولة في نفس الوقت بتشجيع الزراعة عبر استغلال الإعلام والإرشاد الزراعي في هذا المجال، بالإضافة إلى ذلك تم توزيع الأراضي الزراعية على المواطنين وبالمجان وتم توفير الدعم اللازم لهم عن طريق حفر الآبار وإنشاء الأحواض والبيوت البلاستيكية وتوزيع الشتلات ودعم الأسمدة والبذور واستجلاب المهندسين والعمال وفعلاً لم تبخل دولة الإمارات في أي شيء يساعد في نشر الرقعة الخضراء.

في مختلف أنحاء الدولة عن طريق زراعة الأشجار المثمرة والحمضيات وأشجار النخيل على الشوارع وزراعة الزهور وأشجار الزينة بين المساكن والعمارات وكذلك قامت الدولة بزراعة مصدات الرياح على الشوارع الرئيسية وخلف الأشجار لتجنب الانهيارات الرملية ودخول الرمال إلى الشوارع مما يعطي منظراً جمالياً رائعاً للمدن والمناطق الإماراتية.

التشجير

ورغم آراء الخبراء الدوليين، الذين كانوا يرون استحالة الزراعة في الطبيعة الصحراوية والظروف المناخية الصعبة لدولة الإمارات، إضافة إلى قلة المياه وشح الأمطار، فقد مضى المغفور له بإذن الله، بعزيمة قوية، قُدماً في تطبيق رؤيته للزراعة والتشجير، قائلاً (دعونا نجرب) فخصّص مساحات شاسعة من الأراضي لإقامة مشاريع طموحة للغابات، ونشر المسطحات الخضراء لحماية الحياة البرية، مما أنعش الحياة في البيئة الصحراوية وأوقف الزحف الصحراوي، وأسهم في تنمية وعي المواطنين واهتمامهم بالزراعة وارتباطهم وتمسكهم بالأرض.

ومن المواقف التي تشهد للشيخ زايد "رحمه الله" بأنه أصدر التوجيهات والقرارات الحكيمة التي ساعدت على نشر الأشجار وتشجيع الزراعة، منها أنه أصدر قراراً يمنع اقتلاع أي شجرة كبيرة إلا لحالات الضرورة القصوى لدرجة أنه أمر بتغيير اتجاه بعض الشوارع لتجنب التعرض لشجرة موجودة في خط سير الشارع كما أنه أمر بزراعة 200 شجرة نخيل في كل مزرعة يملكها مواطن بالإضافة إلى ما قدمه من دعم للمزارعين في سبيل حل مشاكلهم وتحقيق الربح لهم.

شراء وتسويق التمور

اهتم الشيخ زايد رحمه الله بالمزارعين المواطنين، وكان دائماً يوجه بتقديم الدعم لهم، و في إحدى زياراتي لسموه رحمه الله سألني عن أوضاع مزارعي النخيل وما هي احتياجاتهم ومباشرة أمر سموه بشراء كامل إنتاج التمور من كافة أنحاء الدولة بدعم من ميزانية إمارة أبوظبي، مما أدى إلى اهتمام المواطنين وأبناءهم بمزارعهم والمحافظة عليها حتى وصل عدد النخيل في الإمارات أكثر من 40 مليون نخلة بفضل الله واهتمام ودعم الشيخ زايد طيب الله ثراه، وأصبحت الإمارات من أوائل الدول من حيث زراعة أشجار النخيل، حيث بدأ تسويق التمور في الدولة في المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي عام 1996 بتوجيهات من المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وفي عام 1998 بدأ التسويق في العين والإمارات الشمالية بتوجيهات صدرت من الشيخ زايد طيب الله ثراه إلى دائرة الزراعة في العين، وحالياً تسوق كافة التمور الإماراتية بواسطة شركه الفوعة إلى خمسة وأربعون بلداً حول العالم. حيث بلغ متوسط ما يتم استلامه من المزارعين المواطنين بدولة الإمارات يقارب مائة وعشر آلاف طن من التمور في السنوات الأخيرة.

تعتبر الهند أكبر بلد يتم التصدير إليها حيث يصدر لها عشرين ألف طن سنوياً تليها سلطنة عمان بكمية قدرها خمسة عشر ألف طن معظمها خلاص.

مكانة متميزة في زراعة أشجار النخيل

وتكليلاً لجهود المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" منحت موسوعة غينس العالمية عام 2009 دولة الإمارات العربية المتحدة شهادة عالمية من حيث زراعة أشجار النخيل والتي بلغ عددها 40 مليوناً و700 ألف شجرة، وذلك بحسب اللجنة العلمية المتخصصة لموسوعة "غينس'' وكذلك الإحصاءات الرسمية لمنظمة الأغذية والزراعة '' الفاو'' وإحصاءات وزارات الزراعة والثروة الحيوانية والبيئة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

اهتمامه بالسدود

وفي سبيل الاهتمام بالزراعة ومصادر المياه فقد كان الشيخ زايد رحمه الله يتفقد مواقع السدود بنفسه وقد رافقته في عدة جولات حيث كان يقطع مسافات طويلة إلى المناطق الجبلية لكي يزور مواقع السدود ويوجه بأكبر استفادة من مياه الأمطار، حيث تم تشكيل لجنة مشتركة في ذلك الوقت من وزارة الزراعة والثروة السمكية والدائرة الخاصة لرئيس الدولة لاستكمال بناء السدود في كافة مناطق الدولة، التي نفذت من ميزانية إمارة أبوظبي، فقد أولى الشيخ زايد عناية كبيرة للسدود، فلا أنسى عندما كان في رحلة علاج واتصل بي للسؤال عن مشاريع السدود إلى أين وصلت لحرصه الكبير رحمه الله على تنمية الموارد المائية في البلاد وتوفير مقومات الحياة الكريمة للشعب.

سد مأرب

قام الشيخ زايد بإعادة بناء سد مأرب في اليمن وقد كلفني سموه بمتابعة هذا المشروع مع صندوق أبوظبي للتنمية، زرت موقع السد قبل البناء وزرته قبل الافتتاح وشاهدت الفرق الكبير، كنت ضمن الوفد المرافق للشيخ زايد في افتتاح السد حيث حضر سموه شخصياً.

صير بني ياس

أنشأ المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "رحمه الله"، في إطار اهتمامه بإقامة المحميات الطبيعية، محمية جزيرة صير بني ياس التي تقع إلى الغرب من مدينة أبوظبي على بعد 250 كيلومتراً، وتبلغ مساحتها نحو 230 كيلومتراً مربعاً، أضيف إليها جزيرة صناعية على مساحة عشرة كيلومترات مربعة لتكون قاعدة للتجارب الزراعية، حيث أصبحت الجزيرة، التي كانت طبيعتها صخرية جرداء، من أكبر المحميات الطبيعية في شبه الجزيرة العربية.

تكريم عالمي

كان اهتمام الشيخ زايد رحمه الله بالزراعة مثالاً رائداً لكافة قادة دول العالم فخلال زياراتي لعدة رؤساء دول خلال تولي منصب "وزارة الزراعة والثروة السمكية" كانوا يشيدون بالإنجازات الزراعية الكبيرة التي حققها الشيخ زايد، كما قامت المنظمات الدولية بتكريم الشيخ زايد رحمه الله، على النجاح الكبير الذي حققته دولة الإمارات في الزراعة، حيث حضر مدير منظمة الأغذية والزراعة "الفاو" التابعة للأمم المتحدة وسلم الشيخ زايد تكريماً من المنظمة وكنت موجوداً في الاستقبال، وتقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية تم اطلاق اسم زايد على مركز دولي للأغذية والزراعة في روما.

زايد الحكمة

نستلهم من المغفور له بإذن الله الشيخ زايد الحكمة فهو قصة كفاح وعزيمة لا تنسى تدفعنا دوما إلى العمل والاجتهاد للوصول إلى الأفضل من أجل رفعة الوطن، الشيخ زايد زعيم الأمة أظهر من فنون القيادة ما لفت أنظار العالم أجمع إليه، الذي قاد الشعب إلى الوحدة والنهضة الشاملة، وغدت دولة الإمارات في عهده كياناً دولياً أسسته قيادته الحكيمة ورفعت من شأنه في المحافل الدولية، بقرارات حكيمة ورؤى ثاقبة وإنجازات تنموية في كافة المجالات، ليتمتع الشعب بأعلى مستويات المعيشة، مرحلة مزدهرة ينعم مواطنوها بالرفاهية والرخاء، بفضل العطاء السخي والجهود المخلصة للمغفور له زايد الخير.

أبوظبي تستكمل المسيرة
التي بدأها الشيخ زايد لحماية موروث الغابات

سعادة رزان خليفة المبارك
عضو مجلس الإدارة وأمين عام هيئة البيئة – أبوظبي

هـيـئـة الـبـيـئـة - أبـوظـبـي
Environment Agency - ABU DHABI

كان موضوع حماية البيئة وتنميتها ومواجهة قضاياها من الموضوعات الرئيسية التي طالما حظيتا باهتمام بالغ من جانب المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه، وبرز هذا جلياً في برامج وخطط التنمية بأبعادها المختلفة حيث اهتمت الدولة بالآثار الاقتصادية والاجتماعية على البيئية فقامت بالدراسات العلمية وأنشأت المؤسسات والهيئات الخاصة لإدارة وحماية البيئة كما حرصت على رسم الاستراتيجيات البيئية وتحديد أولويات العمل البيئي مثل مكافحة تلوث الهواء وتلوث الماء ومكافحة التصحر وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية.

وبفضل الجهود التي بذلها الشيخ زايد لمحاربة التصحر وتكريس واقع بيئي مشرق أصبحت دولة الإمارات مثلاً يحتذى به في التحدي والتصميم على تحقيق إنجازات عملاقة في شتى نواحي الحياة للحاق بركب الحضارة والتقدم وبناء دولة عصرية بصورة موازية مع بناء الإنسان ورعاية المواطن والنهوض بالمجتمع والمحافظة على تراثه وتقاليده.

معجزة زراعة الصحراء

وخلال فترة حكمه للمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، التي بدأت في عام 1946، حرص الشيخ زايد على تنمية الإمكانيات الزراعية من خلال استصلاح الأراضي الزراعية الجديدة، وبناء الأفلاج، وإنشاء القنوات بالإضافة إلى توفير المياه بدون مقابل.

ومع توليه مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي عام 1966 حرص المغفور له الشيخ زايد على الاهتمام بالقضايا البيئية حيث حظر الصيد في إمارة أبوظبي منذ عام 1977، فضلاً عن معجزة زراعة الصحراء والتي تعتبر أحد أهم الإنجازات الخالدة للشيخ زايد حيث استطاعت دولة الإمارات وبفضل سياسته الحكيمة ترويض الصحراء والتغلب على طبيعتها القاسية الجافة، ودرجات الحرارة العالية لتتحول إلى أرض خضراء.

كما حرص الشيخ زايد على أن تتخذ دولة الإمارات مجموعة هامة من الإجراءات وتضع برامج عمل لمكافحة التصحر منها الاهتمام بالمياه الجوفية وإنشاء السدود واستخدام مخصبات التربة وإنشاء مصانع الأسمدة والاهتمام بالزراعات المقاومة

للملوحة. كما عمل على تشجير جانبي الطريق بين العين وأبوظبي وكان هذا المشروع بداية نجاح زايد في معالجته قسوة الصحراء. وبفضل هذه التوجيهات انتشر اللون الأخضر في مساحات واسعة من الصحراء.

ثم بدأت الرقعة الخضراء تتسع من الغابات والنباتات والحدائق الأمر الذي يدعو إلى الفخر حيث تمكنت دولة الإمارات من إعادة الخضرة إلى المناطق الصحراوية. وقد أشاد المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة العالمية حينها السيد جاك ضيوف في شهر يوليو 2003 بجهود دولة الإمارات العربية المتحدة بقيادة زايد وإنجازاته العينية في مكافحة التصحر وحماية الأنواع النادرة من الحيوانات والنباتات وقال: "إن منظمة الأغذية والزراعة العالمية تبني كل استراتيجيتها على مبدأ التنمية المستدامة وأن هذا المبدأ يتوافق مع الفكر البيئي الإنمائي للشيخ زايد - طيب الله ثراه".

هيئة البيئة - أبوظبي تستكمل المسيرة التي بدأها الشيخ زايد لحماية موروث الغابات

واستكمالاً للمسيرة التي بدأها المغفور له الشيخ زايد حرصت هيئة البيئة - أبوظبي على تعزيز مكانة الغابات ذات الأهمية البيئية والثقافية وزيادة مساهمتها في الأمن الغذائي في الفترة التي تولت فيها إدارة الغابات في الإمارة. وقد تم بين عامي 2006 و2017 تكليف الهيئة من قبل حكومة أبوظبي لحماية موروث الغابات حرصت خلالها على تطبيق استراتيجية إدارة الغابات على نحو مستدام. وقد تمت زراعة الكثير من تلك الغابات في إطار برنامج "تخضير الصحراء" الذي أطلقه المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد. وقد تم تصميم البرنامج لتحسين جودة الحياة لسكان إمارة أبوظبي، إلى جانب حماية البنية التحتية وتوفير موائل للحيوانات البرية. واليوم، تضم إمارة أبوظبي أكثر من 540 منطقة تم تشجيرها. وتغطي تلك الغابات، التي تبلغ مساحتها ما يزيد عن 242,000 هكتار، ما نسبته 3.5 % من اليابسة في الإمارة، بما يعادل مساحة جزيرة أبوظبي 26 مرة. واستُخدمت 20 مليون شجرة لزراعة الغابات في الإمارة، منها 88 % من الأنواع المحلية.

استراتيجية طويلة الأمد لزيادة الاستدامة البيئية في الغابات

وتوفر تلك الغابات ملاذاً للحيوانات البرية المحلية وغير المحلية. وطورت هيئة البيئة - أبوظبي استراتيجية شاملة طويلة الأمد لزيادة الاستدامة البيئية في الغابات في الإمارة وتحسين الوظائف البيئية والحضارية التي تؤديها لضمان استدامة موروث الغابات للأجيال القادمة للاستمتاع به.

كما عملت هيئة البيئة - أبوظبي مع المركز الدولي للزراعة الملحية منذ عام 2007 لتنفيذ مشروع لتطوير نظم زراعية مستدامة باستخدام المياه المالحة لري المحاصيل وزراعتها. وفي عام 2014، أطلقت الهيئة شراكة بحثية ثلاثية مع المركز الدولي للزراعة الملحية وخبراء من نيوزيلندا بموجب مذكرة تفاهم مع الحكومة النيوزيلندية. يهدف البحث إلى التعرف على الاحتياجات المائية لنخيل التمر عند ريها بمياه ذات درجة ملوحة مختلفة. وتقوم الهيئة بالتعاون مع الخبراء النيوزيلنديين بتحليل تدفق النسغ لأشجار

النخيل لتعزيز المعرفة العلمية بشأن تحديد احتياجات المياه للري في الغابات. وفي مبادرة مشتركة مع جهاز أبوظبي للرقابة الغذائية، طورت الهيئة "حاسبة المحاصيل" من أجل تحسين جودة استخدام المياه في ري المحاصيل. حتى الآن، أدى هذا البحث إلى انخفاض بنسبة 35٪ في حجم المياه المستخدمة في الري في غابات الإمارة، كما تم تكييف هذه التقنية لاستخدامها مع أنواع أخرى من الأشجار.

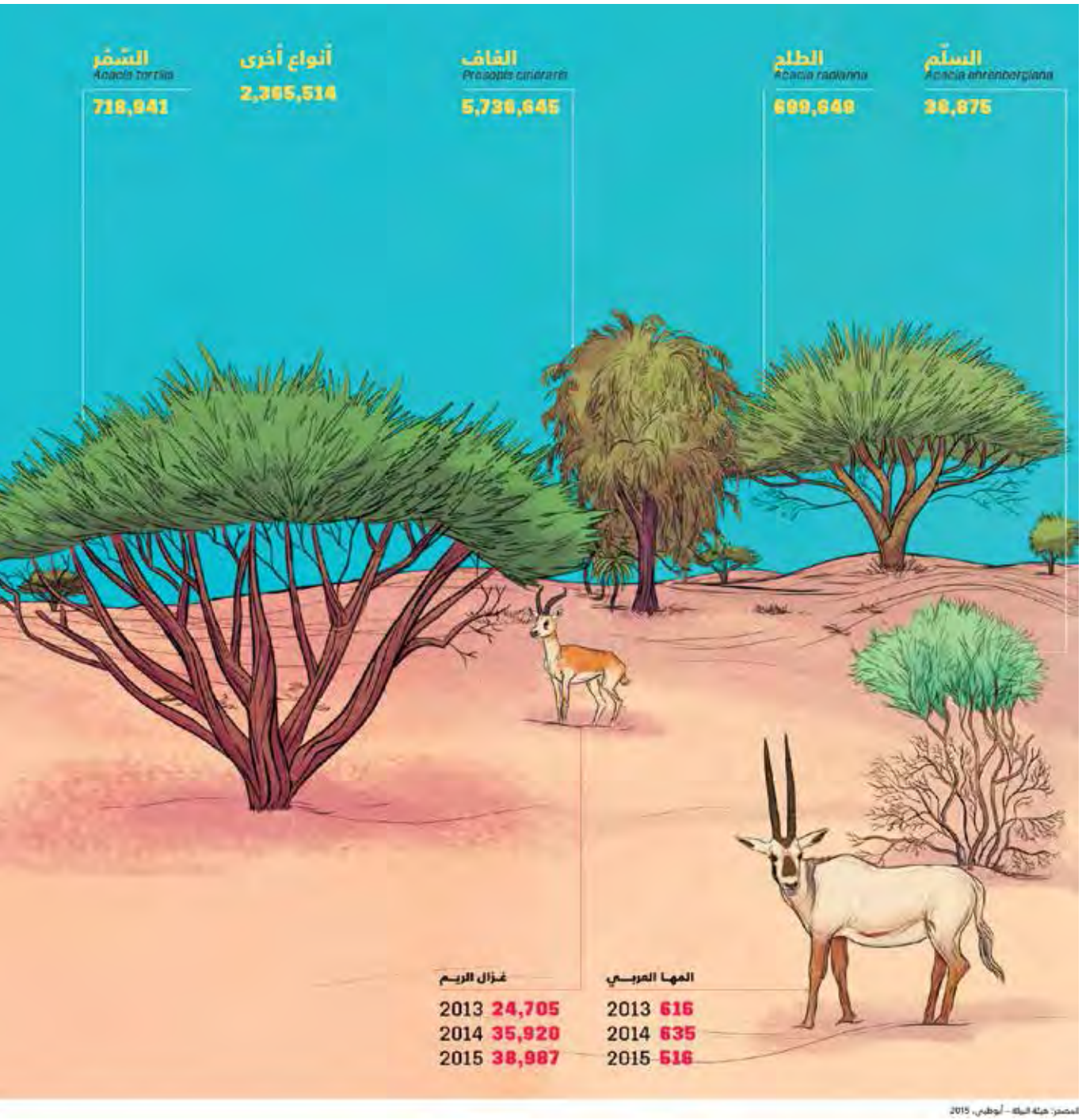

المصدر: هيئة البيئة - أبوظبي، 2015

كانت حكمة المغفور له الشيخ زايد وفطرته التي ارتبطت بالبيئة تنظر إلى أفق بعيد ولم تقف عند حد حمايتها وإنما اتجهت كذلك إلى تنميتها وتطوير عناصرها المختلفة، فمن واجبنا أن نحافظ على الإنجازات الفريدة التي حققها الشيخ زايد للبيئة والانسان واتخاذه مثلاً وقدوة حسنة لكي يقوم كل منا بواجبه نحو البيئة حتى يتسنى لنا العيش في أمان يمتد إلى أبنائنا وأحفادنا.

النخيل وزايد...
مسيرة مباركة

سعادة ناصر محمد الجنيبي
الرئيس التنفيذي لمركز خدمات المزارعين بأبوظبي بالإنابة

مركز خدمات المزارعين بأبوظبي

ينعم قطاع الزراعة في دولة الإمارات العربية المتحدة باهتمام كبير من قيادتنا الرشيدة، باعتباره أحد الركائز الأساسية للتنمية والتحضر. بالإضافة إلى أنه من أولى القطاعات التي كان يهتم بها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، حيث حرص على النهوض به متحدياً كل الآراء التي شككت في جدوى الزراعة، وسعت إلى صرفه عن العناية به وتنميته وتطويره.

إن إصرار المغفور له بإذن الله الشيخ زايد على تحدي الصحراء، وقهر التصحر كان عن قناعة راسخة بأن الزراعة والحضارة وجهان لعملة واحدة. وأقواله المأثورة في هذا المجال كثيرة، وداله، وتمثل نبراساً نسير عليه في النهوض بمسيرة الزراعة باعتبارها جزء أصيل من تراث أجدادنا، وطريقنا للمستقبل. لذلك يحق لنا أن نفخر ونعتز بما وصلت إليه دولة الإمارات من تعايش مع البيئة الصحراوية، والتي تشكل تقريباً ثلاثة أرباع مساحتها. فتم التغلب على كل المعوقات التي حالت دون جعلها بيئة خضراء حيث تم ذلك بفضل الله عز وجل ثم اهتمام الشيخ زايد رحمه الله بمشاريع التشجير، ونشر الرقعة الخضراء، وزيادة الإنتاج الزراعي.

وتعتبر مشاريع التشجير التي تبناها المغفور له من أهم المشاريع التي عززت مسيرة النماء. رغم كل الآراء التي أبداها بعض الخبراء الدوليين حول عدم إمكانية أو استحالة الزراعة في بيئة الإمارات الصحراوية وظروفها المناخية القاسية، لكن ذلك لم يؤثر على عزيمة الشيخ زايد وأصر على الزراعة والتشجير، ونفذ الكثير من المشاريع وسعى إلى تطبيق رؤيته الزراعية.

ثم اتسع اهتمام الشيخ زايد بالزراعة، وسعى إلى إشراك المجتمع فتم توفير المزارع للمواطنين لتشجيعهم على الزراعة، والاهتمام بالعمل في مجال الإنتاج الزراعي. كما تم توفير المياه، وشبكات الري، والبذور، والأسمدة، والإرشاد الزراعي، وإقامة أحزمة خضراء من الأشجار حول المزارع لتكون مصدات للرياح وتثبيت التربة. وأيضاً أمر المغفور له بزراعة الغابات حول المدن.

وتأتي أشجار النخيل في قلب الاهتمام الذي أولاه الشيخ زايد للزراعة. إذ حظيت هذه الشجرة المباركة باهتمام خاص حيث سعى إلى زراعة أعداد كبيرة من أشجار النخيل. كما اعتنى بطريقة الزراعة، ونوعية الإنتاج، وأقام المهرجانات التي تشجع المزارعين على العناية بثرواتهم من أشجار النخيل وإنتاجها المبارك من الرطب والتمور؛ لتحتل الإمارات مكانة مهمة جداً بين دول العالم المنتجة للتمور والتي تعتني بأشجار النخيل والزراعة بصورة عامة.

إننا في مركز خدمات المزارعين بأبوظبي نعمل ضمن منظومة تستنير برؤية المغفور له الشيخ زايد للتنمية الزراعة بصورة عامة، والعناية بأشجار النخيل على وجه الخصوص. ولدينا في هذا المجال برامج متنوعة لتدريب عمال المزارع وتعليم المزارعين على أفضل الطرق الزراعية. وفيما يخص أشجار النخيل نفخر بالقول أننا عملنا على تنمية زراعة النخيل في أبوظبي بطريقة علمية تعتمد على الخدمات الفنية والمكافحة المتكاملة أيضاً لجميع الآفات والأمراض التي تصيب أشجار النخيل، وتهدد هذه الثروة المباركة من بداية الزراعة إلى الحصاد.

إن توعية المزارعين وحثهم على تبني وسائل حديثة للارتقاء بمستوى الإنتاجية يدعم تعزيز اقتصاديات الزراعة، ويساعد على تحويل قطاع الزراعة من قطاع معتمد إلى قطاع مستقل يدار ذاتياً، ويوفر عائدات مجزية للقائمين عليه من أصحاب المزارع من المواطنين؛ لذا يحرص المركز على الارتقاء بواقع الزراعة في إمارة أبوظبي وتقديم أفضل الخدمات للمزارعين بما يرفع قيمة وجودة المنتج الزراعي المحلي ويحقق الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية من خلال التقنيات الحديثة في كافة المجالات الزراعية.

ختاماً نسأل الله أن يديم على بلادنا نعمة الزراعة والنماء، وأن يجزي الشيخ زايد خير الجزاء على ما أنجزه لهذا الوطن. كما ندعو المزارعين إلى التحلي بصفاته في الصبر والمثابرة والإيمان بجدوى الزراعة، وأهميتها لحاضرنا ومستقبلنا.

تخليداً لذكرى المغفور له الشيخ زايد في "عام زايد"

معالي خوسية غراسيانو داسيلفا
مدير عام منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة

مع قرب اختتام الاحتفال بعام زايد، نتذكر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وإرثه ونجاحاته والخدمات الجليلة والاستثنائية التي قدمها لشعبه وأمته والعالم.

لقد ارتبطت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (منظمة الفاو) دائماً بعلاقات خاصة مع دولة الإمارات العربية المتحدة. ويعود تاريخ هذه العلاقات إلى مرحلة حكم الشيخ زايد، والذي لم يكن فقط رجل ذو شرف ورؤيا، بل كان أيضاً رجلاً ذو مثابرة وعطاء الذي اشتهر برؤيته الثاقبة وسخاءه وأخلاقه الرفيعة وعمله الدؤوب. وقد تجلى ذلك في المبادرات العديدة التي أطلقها في مختلف أنحاء العالم، مثل بناء المستشفيات للنساء والأطفال في الباكستان، وتأسيس مركز الشيخ زايد لرفاه الأطفال في كينيا، وتشييد جامعة الشيخ زايد في أفغانستان.

وكان الشيخ زايد أيضاً قائداً ذا رؤية ثاقبة ورائداً للزراعة المستدامة قبل شيوع استخدام هذا التعبير بوقت طويل. فقد كان يدرك تماماً الدور المهم الذي تلعبه الزراعة في تقدم البشرية.

وقد أسست أرسى أعماله الأساس لجهود بلده في مواجهة تحديات إنتاج الغذاء في مناخ صحراوي قاسي وبموارد شحيحة من المياه والتربة. وقد ساعدت جهوده في تحويل مساحات واسعة من الصحراء إلى أراضٍ زراعية خصبة، وخاصة في مجال إنتاج نخيل التمور.

وتعتبر شجرة النخيل رمزاً للحياة في العالم العربي، وتعود جذورها إلى آلاف السنين، وتمثل جزءاً عظيماً من تراث المنطقة. كما أنها مهمة جداً للأمن الغذائي وخاصةً للذين يعتمدون عليها في غذائهم بفضل خصائصها الغذائية الفريدة. كما أن هذه الشجرة تلعب دوراً مهاماً في اقتصادات دول المنطقة.

وقد أدت استثمارات الشيخ زايد الزراعية إلى اعتراف المنظمة في عام 2015 بواحات النخيل في الإمارات كمواقع للتراث العالمي الزراعي لمساهمتها في "الحفاظ الديناميكي" على الثقافة والتنوع البيولوجي.

وعلى مر السنين تشرفت المنظمة فاو بتكريم المغفور له الشيخ زايد والاحتفاء بإنجازاته في العديد من المناسبات. في عام 1995 منحت المنظمة الشيخ زايد الميدالية الذهبية للفاو للمنظمة تكريماً لإسهاماته العظيمة في التنمية الزراعية في الإمارات العربية المتحدة وغيرها من مناطق العالم. كما تم تخصيص جائزة الفاو المنظمة للأغذية العالمية للشيخ زايد في عام 2001 اعترافاً منها بمساهمته في مساعدة المحتاجين في جميع أنحاء العالم وجهوده الدؤوبة التي حولت الإمارات إلى واحة خضراء. كما قدمت المنظمة للشيخ زايد في 2002 تذكاراً تقديراً له على مساندته المساحات الخضراء وجهوده المتواصلة لحماية البيئة.

وفي شهر أيار/مايو الماضي نظمت الفاو أقامت المنظمة احتفالية فعالية للاحتفاء ب"عام زايد" وللاعتراف برؤية الشيخ زايد الرائدة في مجال الزراعة المستدامة. وخلال الاحتفالية الفعالية جددت أكددت المنظمة مجدداً التأكيد على دعمها لإنتاج نخيل التمور في منطقة الشرق الأدنى.

وتقديراً لمؤسس الإمارات العربية المتحدة، افتتحت الفاو المنظمة "مركز الشيخ زايد الدولي للإعلام والمعرفة" في مقرها في روما في عام 2012. وقد تم تأسيس هذا المركز بتبرع سخي من دولة الإمارات العربية المتحدة لتجسيد الرؤية المستنيرة للشيخ زايد حول دور الزراعة في خدمة الثقافة والتقدم الإنساني.

وقد عزز زاد هذا المركز من قدرة المنظمة، فاو ليس فقط على تشارك مشاركة خبراتها ومعرفتها بشأن قضايا الزراعة والتطوير الريفي على المستوى العالمي، ولكنه عزز أيضاً اتصال المنظمة بالمؤسسات الحكومية ومراكز التميز والجامعات والمنظمات غير الحكومية حول العالم.

وبينما لكن ونحن نتذكر المغفور له الشيخ زايد لعلمه وتأثيره في جميع أنحاء العالم، يتعين علينا تجديد التزامنا بنشر وتعزيز التنمية المستدامة في الزراعة في المنطقة العربية وخارجها. وفي وقت سابق من هذا العام أطلقت المنظمة الفاو ومؤسسة الشيخ زايد والمنظمة العربية للتنمية الزراعية "التحالف من أجل التنمية المستدامة لنخيل التمور".

ويعمل هذا التحالف حالياً بخطى سريعة على تطوير إطار عمل لسلسلة قيمة نخيل التمور ومعالجة التهديد الرهيب لسوسة النخيل الحمراء. وكما تعمل المنظمة فاو حالياً مع دولة الإمارات العربية المتحدة والعديد من الدول الأخرى في المنطقة العربية لتطوير استراتيجيات مستدامة للمياه والزراعة تأخذ في الاعتبار تأثيرات التغير المناخي. ومع اقتراب نهاية عام زايد، تتعهد المنظمة فاو بأن تبقى شريكاً قوياً لدولة الإمارات العربية المتحدة ودول المنطقة الأخرى.

إسهامات المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الزراعة

البروفيسور إبراهيم آدم أحمد الدخيري
مدير عام المنظمة العربية للتنمية الزراعية

لقد احتلت الزراعة مكانة مرموقة لدى المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، باعتبارها من أولويات التنمية في الدول الناشئة وقد عبر رحمه الله عن ذلك بمقولته المشهورة **"أرني بلداً يتمتع بقاعدة زراعية قوية، أرك بلداً قوياً راسخاً"** وكذلك مقولته **«أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة»** وقد توجت جهوده الرامية إلى تحقيق تنمية زراعية مستدامة على مدى عقود طويلة من العمل الجاد وتحدي الصعاب، بنجاح دولة الإمارات في تحقيق نهضة زراعية كانت تبدو مستحيلة بالنسبة لكثيرين. وقد تمكن رحمه الله من تحقيق ذلك من خلال قيامه بتخصيص جزء كبير من موازنة الخطة التنموية الأولى لدولة الإمارات في سبعينات القرن الماضي لتطوير المرافق العامة والقطاع الزراعي، مما كان له كبير الأثر في زيادة الأراضي المستصلحة والمزروعة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وجدير بالذكر أن اهتمام المغفور له بإذنه تعالى بالقطاع الزراعي بدا مبكراً وذلك خلال فترة حكمه للمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي (1946 – 1966)، حيث حرص على تنمية الإمكانيات الزراعية للمنطقة الشرقية من خلال تبنيه لبرامج خاصة باستصلاح الأراضي الزراعية الجديدة، وبناء الأفلاج، وإنشاء قنوات الري، إضافة إلى توفير المياه من دون مقابل. وقد حرص رحمه الله على أن تتخذ دولة الإمارات العربية المتحدة مجموعة هامة من الإجراءات وبرامج العمل الخاصة بمكافحة التصحر ومنها على سبيل المثال لا الحصر الاهتمام بالمياه الجوفية وإنشاء السدود واستخدام مخصبات التربة وإنشاء مصانع الأسمدة والاهتمام بالزراعات المقاومة للملوحة.

وكان لجهود المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، دوراً كبيراً في تطوير زراعة النخيل من حيث زيادة الرقعة المزروعة وأعداد الأشجار المزروعة في مختلف أنحاء الإمارات، بالإضافة إلى زيادة الإنتاجية وتحسين نوعية التمور المنتجة. كما كان له دوراً مقدراً في توجيه الحكومة نحو الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والدعوة إلى تشجيع الاستثمارات الحكومية والخاصة في قطاع النخيل والتمور، الأمر الذي وضع دولة الإمارات في مكانتها المرموقة والريادية في مجال زراعة النخيل على مستوى العالم.

وبالإضافة للزراعة فقد أولى رحمه الله اهتماماً كبيراً بالمياه والبيئة ومكافحة التصحر سابقاً بذلك الكثير من دول العالم حيث أكد ذلك بقوله: **"إن اهتمامنا بالبيئة ليس وليد الساعة، إنما هو اهتمام أصيل وراسخ دَعَوْنَا له ومارسناه وطبّقناه"**.

وقد حظيت جهود الشيخ زايد باحترام وتقدير المنظمات والمؤسسات العربية والإقليمية والدولية في أكثر من مجال، فقد نال المغفور له الشيخ زايد العديد من الجوائز على المستويين العربي والدولي، حيث منحه مهرجان الشباب العربي الذي عقد في بيروت خلال شهر سبتمبر 1993 لقب رجل البيئة والإنماء لعام،1993، وذلك تقديراً لدوره الرائد في حماية البيئة ومكافحة التصحر، وفي نفس العام منحته جامعة الدول العربية وشاح رجل الإنماء والتنمية، تعبيراً عن اعتزاز كل الشعوب العربية والإسلامية بجهوده المقدرة في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية على مستوى الإمارات والدول العربية والإسلامية، وفي عام 1995 تم منحه جائزة مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات بجدة "الشخصية الإنمائية لعام 1995". وفي ديسمبر عام 1995 قدمت للشيخ زايد جائزة تقديرية وميدالية ذهبية من منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، تقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية داخل دولة الإمارات ومساهماته في عدد من الدول النامية في هذا المجال.

ونال المغفور له الشيخ زايد في مارس 1997 جائزة (الباندا الذهبية) من الصندوق العالمي لصون الطبيعة تقديراً للجهود التي بذلها في مجال الحفاظ على البيئة وحماية الحياة البرية، ليكون بذلك أول رئيس دولة يحصل على جائزة بيئية عالمية، وفي عام 1997م تم منحه شهادة الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة من جامعة عين شمس، تقديراً لجهوده الكبيرة في مشاريع التنمية الزراعية. كما اختارته منظمة المدن العربية في دورتها السادسة التي عقدت بالدوحة في مارس 1998 لنيل جائزة "داعية البيئة"، وفي نفس العام اختير كأبرز شخصية عالمية من قبل هيئة رجل العام الفرنسية.

وأخيراً فإنه لا يمكن للكلمات أن تُوفِي المغفور له الشيخ زايد حقه؛ حيث تقف عاجزة عن إبراز دوره الكبير في نهضة دولته وفي نهضة وتقدم العديد من الدول العربية والإسلامية وذلك لما كان له من دور كبير في تقديم الدعم المادي للعديد من المشروعات ذات العلاقة بالمياه والزراعة في تلك الدول وكذلك في تقديم النصح والمشورة لإخوانه رؤساء الدول العربية والإسلامية لما فيه خير دولهم بشكل خاص والأمتين العربية والإسلامية بشكل خاص.

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

علي أبوسبع
مدير عام المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة

بحكم أن المنطقة تقع في الحزام الجغرافي الجاف، حيث يعد مناخ منطقة الخليج العربي مناخاً صحراوياً، وذلك لتميزه بقلة سقوط الأمطار وعدم انتظامها، وإرتفاع درجة الحرارة في الصيف وإنخفاضها في الشتاء، تعتمد الزراعة قديماً في أرض دولة الامارات على مياه الأمطار، التي تُغذي الآبار الجوفية، والعيون والأفلاج. ويفضل المستهلكون المنتجات الزراعية المحلية، على تلك المستوردة، بحكم أنها طازجة، فهذا الإقبال الكبير، شيء طبيعي، لأن المستهلكين يسعون دائماً للأفضل من المنتجات الزراعية السليمة التي تضمن لهم الصحة والسلامة.

على الرغم من هذه البيئة الصحراوية القاسية وقلة مصادر المياه إلّا أن الإرادة تقهر كل هذه الصعوبات، وهكذا كانت إرادة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة "رحمه الله" الذي عرف باهتمامه الكبير بالزراعة والبيئة، وبحرصه الشديد على زراعة أكبر مساحة ممكنة من الإمارات، وتشير بعض التقديرات أن ما بين 100 و150 مليون شجرة تم غرسها في عهده، حيث كان لدى الشيخ زايد قناعة راسخة بأن الأشجار ليست أقل أهمية على صعيد البنى التحتية المدنية من الطرقات والأبنية.

ومن بين الأقوال الحكيمة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيّب الله ثراه»، المقولة "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة" التي أطلقها في بداية قيام دولة الاتحاد على أرض كانت بمثابة صحراء قاحلة لا خضرة فيها ولا ماء باستثناء بعض السيوح حيث تنمو الشجيرات الصحراوية مثل الغاف والسمر بالإضافة للواحات المتناثرة في عمق الصحراء حيث تتواجد أشجار النخيل. وكان لحرارة الجو التي لا تطاق وملوحة التربة وانعدام المياه الطبيعية الناتجة عن الأمطار والمجاري الطبيعية ،الأثر الأكبر في تلاشي فكرة زراعة الأرض وتعميرها. وفي هذا الاطار استدعى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في بداية سبعينيات القرن الماضي مجموعة من الخبراء والمهندسين العالميين وأخبرهم عن نيته في زراعة الأرض وإنشاء الغابات والتوسع في زراعة النخيل وعمل الحدائق والمتنزهات التي يغطيها العشب الأخضر بل وأخبرهم بأنه ينوي أن يجعل الإمارات تحقق

اكتفائها الذاتي من بعض المحاصيل الزراعية. ورغم استغراب الخبراء من هذه الأفكار نظرا لطبيعة الأرض القاحلة وقساوة المناخ وندرة وشح المياه وبالتالي استحالة تطوير الزراعة فيها، فإن للشيخ زايد "رحمه الله" نظرة بعيدة وثاقبة فاقت نظراتهم وأكد عليهم بضرورة القيام بالمحاولة والتجربة حيث كان يتطلع نحو الدولة العصرية التي تعتمد على نفسها في كل شيء وبالتأكيد فإن أول ما تتطلع له أي دولة هو تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي لشعبها ولو حتى وصل الحد إلى توفير جزء من هذا الاكتفاء أو إيجاد مصادر دخل جديدة للدولة والمواطن بدلاً من الاعتماد كلياً على ثروة النفط التي لن تدوم طويلاً.

وعلى أثر ذلك، وضعت الدولة كل إمكانياتها في استغلال الثروة الاستغلال الأمثل فبالإضافة إلى بناء الإنسان وبناء العمارات والأبراج الشاهقة قامت الدولة وبأوامر سامية من صاحب السمو الشيخ زايد باستثمار الأراضي وذلك بزراعتها وتخضيرها ومد الرقعة الزراعية فيها فتم تسخير المال والخبرات والإمكانيات لتطوير الزراعة.

وأصبحت اليوم جنان خضراء تسر الناظرين نتيجة للنظرة الثاقبة للمغفور له الشيخ زايد الذي عرف بحكمته كيف يستصلحُ الأراضي القاحلة ويدير موارد المياه التي جلبها من على بعد مسافات شاسعة، سواء من مياه البحر المكررة والمحلاة، أو من خلال حفر الآبار الجوفية، التي اعتمد عليها في التوسع الزراعي. وكان رحمه الله يؤمن بأن الحضارات القديمة اعتمدت في أساس معيشتها وتقدمها على الزراعة، فالزراعة هي الأساس القوي للصناعة والتجارة. وهذا ما أشار إليه المعنى الحقيقي لقوله: "إن الزراعة هي التي مكنت الأمم والشعوب من الارتقاء بحضارتها في مختلف الحقب التاريخية".

ومن المعروف عن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه أنه كان شديد الارتباط بالنخيل، لذا عمل على نشر زراعته منذ توليه الحكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية في منتصف أربعينات القرن الماضي كما أمر آنذاك بصيانة وحفر الأفلاج وتغيير نظام السقاية وإلغاء بيع حصص المياه للزراعة. ونتيجة لذلك، تطور عدد النخيل في الامارات العربية المتحدة بوتيرة سريعة من 1971 حيث يقدر عدد النخيل حاليا فيها بأكثر من42 مليون نخلة، كما ارتفع عدد المزارع الى حوالي 35704 مزرعة على مساحة تقدر بـ 105257 هكتاراً.

وقد وجه الشيخ زايد طيب الله ثراه بإنشاء مصنع تمور الإمارات سنة 1996 بطاقة تعبئة وتحويل تمور تفوق 100 ألف طن. وتصدر التمور الإماراتية الى أكثر من 103 دولة في العام. كما أنشأ محطات ومراكز البحوث المتخصصة في المجالات الزراعية المختلفة ومنها زراعة ووقاية النخيل. ويذكر أنه كان طيّب الله ثراه، يركز على تصدير الإنتاج المصنع، وكان يقول: "نبغي أن نقدم منتجاً يصل إلى كل دول العالم، بصرف النظر عن الكلفة، وأنتم سفراء لدولتكم، فحاولوا أن تنتشروا في كل العالم".

ويذكر أن جهود الشيخ زايد في تنمية الزراعة عديدة، من أبرزها عندما وجه بتوزيع مزارع على المواطنين، وشدد على زراعة 200 نخلة في كل مزرعة كحد أدنى، وهو ما كان سبباً في نمو أعداد النخيل في الدولة، كما كان يشجع التقنيات الحديثة التي تساعد على نمو أشجار النخيل وجودة التمور.

ومن المناطق التي شهدت نموا في زراعة النخيل العين ورأس الخيمة والفجيرة والذيد وليوا وغيرها. ويتواجد بالإمارات العربية المتحدة أكثر من 73 صنفاً من أجود أنواع التمور في العالم منها أصناف معروفة في الإمارات وبعضها الآخر أدخل من بعض الدول الأخرى المنتجة للتمور مثل منها: خلاص، بومعان، خصاب، خنيزي، برحي ومجهول. وأحدث كذلك مجمع للأصول الوراثية الذي يضم نحو 120 صنفاً من أنواع التمور المختلفة.

وتتواصل مسيرة العطاء والخير التي أسسها ودعّم خطاها المغفور له سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، حيث يولي صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، الزراعة عموماً وزراعة النخيل بشكل خاص اهتماما بالغاً ويضعها على قمة أولوياته. يأتي هذا الاهتمام من حيث الاستمرار في بذل الجهود وتسخير الطاقات في سبيل تطوير زراعة النخيل على مستوى زيادة عدد أشجار النخيل واتساع الرقعة المزروعة في مختلف أنحاء الإمارات بالإضافة إلى زيادة الإنتاجية وتحسين نوعية التمور المنتجة وكذلك الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والدعوة إلى تشجيع الاستثمارات الحكومية والخاصة في قطاع النخيل والتمور. مثل هذه الجهود وضعت دولة الإمارات في مكانتها المرموقة والريادية في مجال زراعة النخيل على مستوى العالم حيث يقدر عدد أشجار النخيل بالدولة بحوالي 42 مليون نخلة، 8.5 % منها في منطقة العين. وفي غضون السنوات الأخيرة، عكفت الإمارات على تنفيذ برنامج فعال لتنشيط واحات النخيل من خلال اعتماد تدابير مثل الحماية من الزحف العمراني، واستعادة النظم التاريخية للري (الأفلاج)، وإعادة تطبيق نظم الإدارة الزراعية التقليدية. ونتيجة مباشرة للانجازات العديدة التي حققتها دولة الامارات في هذا المجال، أعلنت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) أن نظام واحات العين وليوا نظاماً زراعياً ذا أهمية عالمية وتراثاً إنسانياً للجيل الحاضر وأجيال المستقبل وتمت اضافتهما إلى قائمة النظم الايكولوجية التي تقرّ منظمة "فاو" بأهميتها رسمياً على الصعيد الدولي باعتبارها مستودعات حية للموارد الوراثية والتنوع البيولوجي والتراث الثقافي.

ولا يخف على أحد الدور الهام لجائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي في النهوض بأبحاث تطوير نخيل التمر وتعزيز الأبحاث والمشاريع ذات الصلة بالابتكار الزراعي والدور الذي لعبته في مختلف الانجازات التي تم تحقيقها خلال السنوات الماضية. إذ واصل صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله مسيرة مؤسس الاتحاد في التنمية والبناء في كافة المجالات حيث حظيت شجرة نخيل التمر في عهده باهتمام كبير ورعاية خاصة وكانت الجائزة واحدة من مكارم سموه في هذا المجال.

شاهد آخر على حكمة رجل البيئة الأول

الدكتورة أسمهان الوافي
مدير عام المركز الدولي للزراعة الملحية

"إن اهتمامنا بحماية البيئة وصون ما فيها من نبات وحيوان، ليس وليد الساعة وإنما هو اهتمام أصيل راسخ، دعونا له ومارسناه وطبقناه قبل أن يبدأ الاهتمام به بسنوات عديدة "

من أقوال المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

سجلت دولة الإمارات العربية المتحدة منذ وحدتها المباركة في العام 1971 نقطة مضيئة في مجال الاهتمام بالبيئة على الساحتين الإقليمية والدولية، وصارت مثلاً يحتذى به ونموذجاً حاز على إعجاب العلماء والخبراء البيئيين، كما أصبحت الدولة مقصداً سياحياً هاماً للكثيرين من جميع أنحاء العالم. فقد زحفت الرقعة الخضراء خلال فترة زمنية قياسية في قلب الصحراء لتحولها إلى جنة خضراء تحارب عوامل التصحر الذي يضرب جذوره في المنطقة بفعل عوامل الجفاف وقلة الأمطار. وهذا لم يكن ليتحقق لولا الحكمة والدراية التي تمتع بهما رجل البيئة الأول المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" بتشجيعه ودعمه لإقامة الكثير من المشروعات الحيوية والتي تسعى كلها إلى حماية البيئة الحيوانية والنباتية على أرض الدولة. فمن المحميات الطبيعية إلى مراكز الأبحاث والهيئات التعليمية والتوجيهية التي تعمل على زيادة الوعي البيئي لسكان الدولة، نجد أنها تقف شاهدة جميعها على التطور الكبير الذي وصلت إليه دولة الإمارات العربية المتحدة وأن بذرة الخير والعطاء التي زرعها رجل البيئة الأول قد أينعت.

ولعل المركز الدولي للزراعة الملحية الذي تستضيفه دولة الإمارات العربية المتحدة هو شاهد واقعي على اهتمام رجل البيئة الأول بالمراكز البحثية العلمية. فبعد أن شجع المغفور له بإذن الله إقامة المحميات الطبيعية وبعض المراكز البحثية المتخصصة بالزراعات الملحية مع نهاية ثمانينيات القرن الماضي، أوصى بإقامة مؤتمر دولي حول هذا الموضوع. وسرعان ما استجابت جامعة الإمارات العربية المتحدة لهذا وعقدت المؤتمر الدولي الأول للزراعة الملحية عام 1999 استضافته جامعة الإمارات العربية المتحدة بمدينة العين بمشاركة أكثر من 200 باحث وعالم متخصص بالزراعة الملحية حول العالم، تمخض عن عدد من التوصيات ومنها الحاجة إلى إقامة مركز دولي متخصص بالزراعة الملحية. واستجابت دولة الإمارات لهذه التوصيات واستضافت المركز في إمارة دبي. ولم يجد البنك الإسلامي للتنمية وهو الممول الرئيسي للمركز أفضل من أرض الإمارات لتحتضن هذا المركز الوليد والذي جاء لعلاج مشكلة بيئية آخذة في التفاقم إقليمياً ودولياً على حد سواء ألا

وهي التناقص الحاد لمصادر المياه العذبة. فالإحصائيات تشير إلى أن أكثر من 97% من مصادر المياه في العالم هي مياه مالحة لا تصلح للزراعة وأن النسبة المتبقية تُستهلك بشكل حاد للأغراض الزراعية والصناعية مع الأخذ بعين الاعتبار التزايد في عدد السكان والذي يؤدي إلى تناقص نسبة الفرد من حصته من المياه العذبة. وإن كانت هذه المشكلة غير واضحة في عدد من الدول ذات الطبيعة الغنية بهطول الأمطار وبمصادر المياه العذبة فإنها واضحة بشكل جلي في منطقة شبه الجزيرة العربية ذات المناخ الجاف والتي يقل معدل هطول الأمطار فيها عن 200 مم سنوياً وهي نسبة لا تكفي لتغذية مصادر المياه الجوفية الآخذة بالتناقص تدريجياً.

ولمحاولة علاج هذه المشكلة تم توقيع اتفاقية إنشاء المركز الدولي للزراعة الملحية في العام 1996 آنذاك بين معالي سعيد بن محمد الرقباني وزير الزراعة والثروة السمكية ومعالي الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية. وقدمت بلدية دبي الأرض وجهزتها بالبنية التحتية من مرافق المياه والكهرباء، وموّل البنك الإسلامي للتنمية إنشاء المركز وتشغيله، ودعمت منظمات دولية أخرى كصندوق الأوبك للتنمية، والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، مشاريعه الأولية لثقتها في دوره المستقبلي.

بدأ المركز نشاطه الفعلي في العام 1999 بالتركيز في الفترة الأولى على دولة الإمارات العربية المتحدة ودول مجلس التعاون الخليجي لينطلق بعدها إلى بقية الدول الإسلامية والعالم أجمع بحيث يكون مقره في منطقة "الروية" بدبي حلقة اتصال مركزية دولية لتبادل المعرفة والتقانة. ويعتبر المركز الدولي للزراعة الملحية أول مؤسسة علمية بحثية تطبيقية دولية متخصصة في مجال الاستفادة من المياه ذات المستويات المختلفة من الملوحة في الزراعة بغرض مساعدة دول العالم العربي والإسلامي في التغلب على مشاكل تملح المياه والتربة وزيادة الإنتاج الزراعي فيها ومكافحة التصحر. ويركز المركز جهوده على تطوير نباتات الأعلاف والمحاصيل الحقلية بالإضافة لنباتات التخضير البيئي والساحلي المتحملة للملوحة بريها بالمياه المالحة لتخفيف الضغط على مصادر المياه العذبة ومنها شجرة النخيل المباركة.

كما اشتملت أبحاث المركز أبحاثاً متعددة عن شجرة النخيل المباركة التي أولاها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان اهتماماً كبيراً ليزيد عدد الأشجار في الدولة عن 40 مليون شجرة. فنفذ المركز منذ بداية تشغيله أبحاثاً لتحديد تحمل نخبة من أشجار النخيل في الدولة وشبه الجزيرة العربية للملوحة.

وهكذا فإن بذرة الخير والوعي البيئي التي زرعها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" في نفوس أبناء شعبه قد امتدت جذورها إلى بقية أنحاء العالم وتركت أثرها واضحاً في العدد الكبير من الهيئات والمؤسسات المحلية والإقليمية والدولية والتي تعمل جهدها لصون البيئة وأن النظرة الثاقبة لسموه وحكمته قد تركت صدى عالمياً واسعاً. رحم الله الشيخ زايد رجل البيئة الأول.

الجهود الرائدة للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في تطوير الزراعة وتعزيز الأمن الغذائي في دولة الإمارات العربية المتحدة

محمد بن عبيد المزروعي
رئيس الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعي

تجلى اهتمام المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، بقضايا الأمن الغذائي وتطوير الزراعة بدولة الإمارات العربية المتحدة من خلال الدعم المادي والفني للزراعة والمزارعين ومربي الماشية وتحديه للطبيعة الصحراوية القاسية وتحويلها إلى مروج خضراء يانعة، حيث حرص على تنمية الإمكانيات الزراعية عبر استصلاح الأراضي الزراعية، وبناء الأفلاج، وإنشاء القنوات وتوفير المياه وتشجيع نقل وتوطين التقانات الزراعية الحديثة، وتنفيذ الخطط الرامية لمكافحة التصحر، ووقف الزحف الصحراوي بزراعة الأحزمة الخضراء والغابات.

وانطلاقاً من مقولته الشهيرة "أعطوني زراعة... أضمن لكم الحضارة" يتضح جلياً النظرة الثاقبة والرؤية المستقبلية للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في شحذ الهمم لإرساء قواعد وأسس زراعية متطورة في دولة الإمارات ونشر الوعي بأن الزراعة هي الأساس في بناء الشعوب والأمم والارتقاء بحضارتها على مر الحقب التاريخية.

بفضل القيادة الحكيمة والرشيدة للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد تهيأت كل السبل اللازمة لتطور وتقدم وازدهار القطاع الزراعي بدولة الإمارات، فأرسى دعائم الانطلاق لآفاق التنمية الزراعية وأصبحت واقعاً ملموساً ومن القطاعات الأساسية في اقتصاديات الدولة، فقد تم استصلاح ما يفوق عن الـ 100 ألف هكتار من الأراضي الصحراوية إلى أراضٍ زراعية منتجة، وتضاعفت المساحات الزراعية وزُرعت مختلف أنواع الخضروات والفواكه وحقول القمح بالاعتماد على طرق الري الحديثة وتربية أصناف من الحيوانات لتوفير الاحتياجات المحلية من المنتجات الحيوانية، وأصبح القطاع الزراعي يتكون من 53 ألف حيازة زراعية كما تجاوزت أعداد أشجار النخيل الـ 42 مليون شجرة، منها 33 مليوناً في إمارة

أبوظبي وحدها، وتنتج هذه الأشجار أكثر من 73 نوعاً من أجود أنواع التمور في العالم وهنالك مجمع للجينات يضم ما يقارب 120 صنفاً، وهذه الجهود أهلت دولة الإمارات لدخول موسوعة «غينيس» للأرقام القياسية كأغنى دولة في العالم في أعداد أشجار نخيل التمر، وقد أعلنت منظمة «الفاو» في عام 2015 إضافة واحتين من واحات نخيل التمر بالإمارات إلى النظم الإيكولوجية، التي تقرّ المنظمة بأهميتها رسمياً على الصعيد الدولي، كونها مستودعات حية للموارد الوراثية والتنوّع البيولوجي والتراث الثقافي، ويعزى هذا التطور في زراعة النخيل إلى المغفور له بإذن الله الشيخ زايد وعشقه للنخلة روح الصحراء التي نشأ وتربى فيها.

تمشياً مع التوجيهات السامية للمغفور به بإذن الله الشيخ زايد تبنت المراكز البحثية إجراء العديد من التجارب البحثية لزراعة مختلف الأنواع من الفاكهة والخضراوات وتوطين التقانات الزراعية الحديثة لزيادة وتحسين الإنتاج وللمحافظة على تنوع واستدامة أنوع المحاصيل في بيئاتها الطبيعية، وقد تحققت نتائج باهرة بمكننة تلقيح النخيل واختبار أكثر من 30 نوعاً من الشعير والقمح ومكافحة سوسة النخيل، كما تبنت دولة الإمارات وعبر وزارة التغير المناخي والبيئة، تقنية الزراعة المائية (من دون تربة)، وهي أسلوب لاستزراع النباتات من دون تربة، يتم فيها استبدال التربة الطبيعية بأوساط نمو مائية أو أوساط صلبة، مثل التف البركاني أو البيرلايت أو الكوكابيت أو الرمل أو غيره مع إضافة العناصر الغذائية إليها، كنمط زراعي جديد، وذلك لمواجهة محدودية الموارد الطبيعية من ضعف التربة وشح المياه، وهذا النظام مكّن من تحقيق كفاءة عالية في استخدام المياه للري والإنتاج العالي مع تلافي مشكلات التربة. كما أن استخدام هذه التقنيات يقلل من استهلاك الأسمدة الكيماوية، ويحدّ من استخدام المبيدات الزراعية، ما ينعكس بالإيجاب على سلامة هذه المنتجات من متبقيات المبيدات.

في مجال تنمية الثروة الحيوانية قامت دولة الإمارات بإعداد البنية التحتية للصحة الحيوانية والوقاية متمثلة في العيادات البيطرية، والمختبرات، ومراكز الحجر البيطري، واهتمت بتحسين إنتاجية الحيوان حيث تم إنشاء مراكز التلقيح الاصطناعي لتهجين سلالات الأبقار المحلية وزيادة إنتاجيتها من الألبان، ونقل المعرفة والتقنية الحديثة لمربي الحيوان من خلال الإرشاد البيطري وذلك بهدف زيادة الإنتاجية، وإجراء التجارب بالتنسيق مع الايكاردا والمركز الدولي للزراعة الملحية لتوطين حشائش المراعي والتي تبشر بمحصول وفير من نباتات المراعي عالية القيمة الغذائية.

كما حرص المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه على غرس مفهوم الاستدامة وثقافة حماية البيئة ومواردها الطبيعية في نفوس وعقول أبناء الدولة، للحفاظ على توازنها وترك فيها ما تجد فيه الأجيال القادمة مصدراً للخير ونبعاً للعطاء، وأولى قطاع صيد الأسماك اهتماماً بالغاً،

من خلال دعم الصيادين المواطنين مزاولي حرفة الصيد بالقروض والمساعدات، التي تمكنهم من استمرار العمل بحرفتهم التي تعد امتداداً لإرث دولة الإمارات التقليدي وحرفة آبائها وأجدادها الذين تعاملوا مع هذه الموارد بحكمة للحفاظ على مصدر رزقهم، وشملت التنمية العمرانية منذ تأسيس اتحاد دولة الإمارات البنية التحية لقطاع الصيد، من خلال إنشاء موانئ لقوارب الصيادين مزودة بكافة المرافق، لاسيما محطات الوقود ومناطق إنزال القوارب وحفظ معدات الصيد وخدمات التبريد لحفظ صيدهم من الأسماك، وتوفير ورش صيانة قوارب الصيادين مزودة بخبراء لتسهيل عمليات الصيانة لضمان استمرارهم في مزاولة حرفتهم.

نجحت دولة الإمارات العربية المتحدة في الوصول إلى نسبة الاكتفاء الذاتي بنسبة 100% في العديد من المنتجات الغذائية كالتمور والأسماك، فيما بلغت نسبة الاكتفاء الذاتي في توفير الخضروات بنسبة أكثر من 50%، وبالنسبة للحوم الحمراء ولحوم الدواجن فقد وصلت نسبة الاكتفاء الذاتي إلى نحو 33%.

لقد استحق المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان جوائز دولية وأوسمة عالمية لما قام به في مجال تطوير الزراعة في دولة الإمارات وايجاد البيئة الصالحة لها وللإنسان بشكل عام وعلى أعلى المستويات، ولعل أهمها جائزة زايد رجل البيئة والإنماء، والميدالية الذهبية من منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، وكرسي زايد البيئي في جامعة الخليج العربي بالبحرين، وجائزة البانـدا الذهبية وجائزة أعمال الخليج عام 1996 وشهادة الدكتوراه الفخرية في الزراعة عام 1997 من جامعة عين شمس والتي تمنح لأول مرة لرئيس دولة، وجائزة زايد الدولية للبيئة عام 1998، وأبرز شخصية عالمية عام 1998، وزايد رجل البيئة عام 2000، وميدالية اليوم العالمي للأغذية، وجائزة "كان" الكبرى للمياه. كما تم تأسيس مركزٌ دولي للإعلام والمعرفة بمقر منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) بروما في إيطاليا وذلك تقديراً للرؤية المستنيرة للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لما تؤديه الزراعة من دور في خدمة الثقافة والتقدم الإنساني وقد سمي المركز باسمه.

وعلى المستوى العالمي فقد انبهر العالم بالتجربة الفريدة لدولة الإمارات في القطاع الزراعي، والجهود العبقرية للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد مفجر ينابيع العطاء ومحول الكثبان الرملية إلى تلال خضراء، ولقد ساهمت دولة الإمارات في نقل خبراتها وتجاربها للكثير من الدول مثل: غابة الشيخ زايد في الكويت، وغابة الشيخ زايد في ليبيا، وحديقة الشيخ زايد الصحراوية في ألمانيا، وحديقة الشيخ زايد في بريطانيا، ومشروع استصلاح الأراضي في النوبارية وقناة الشيخ زايد في توشكا. وترعة الشيخ زايد في سيناء بمصر، وإعادة بناء سد مأرب في اليمن 1984، ومشروع تنمية المرتفعات الجنوبية في اليمن، وكثير من مشاريع الري الزراعي والسدود في المغرب والسودان وباكستان. كما

اهتمت عدد من المؤسسات والمنظمات الدولية والعربية بالتجربة الرائدة لدولة الإمارات في مجال التنمية الزراعية وأنشأت مكاتب إقليمية لها داخل الدولة، فقد تم في عام 1989 إنشاء مكتب إقليمي للهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي، وبلغت جملة استثماراتها الزراعية بدولة الإمارات أكثر من 407 مليون درهم في مجموعة من الشركات الناجحة في مجالات الألبان (شركة الروابي للألبان) والدواجن (شركة الإمارات الحديثة للدواجن) وغيرها. كما تعمل الهيئة حالياً على بلورة مشروعات لزيادة إنتاجية المحاصيل الزراعية وترشيد استخدام المياه باستخدام تقنية الهيدروبونيك ونشرها بين المزارعين، وفي عام 1994 تم إنشاء مكتب شبه إقليمي للمنظمة العالمية للأغذية والزراعة (الفاو) الذي يقدم خدماته لدول مجلس التعاون الخليجي واليمن، وفي عام 1996 تم تأسيس المركز الدولي للزراعة الملحية «إكبا».

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

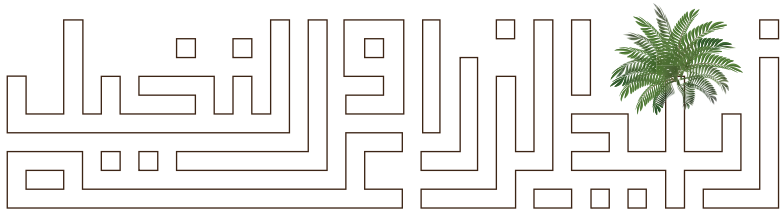

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان و الشيخ راشد بن أحمد المعلا و الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان وعبدالجليل الفهيم،
أثناء زيارة سموه لإمارة أم القيوين - فلج المعلا - 22/مارس/1978م.
المصدر: الأرشيف الوطني - جريدة الاتحاد

قالوا عن زايد...
في الزارعة والنخيل

شخصيات عاصرت الشيخ زايد, من أرشيف مجلة الشجرة المباركة

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي

- **الشيخ زايد..... اعتاد الخروج مبكراً مع العمال ليشاركهم زراعة النخيل، وكان حريصاً على العمل بيده... وتمتع بحكمة وعزيمة وبصيرة نافذة فكان الصدق سر نجاحه**

- **أتمنى أن نصل إلى اليوم الذي نرى فيه التمور هي الوجبة الأساسية لأطفال المدارس**

- **شبابنا ماضون قدماً على خطى الآباء والأجداد في حب النخلة ورعايتها**

مجموعة منتقاة من الحوارات الصحفية أجرتها إدارة تحرير مجلة الشجرة المباركة مع عدد من كبار الشخصيات التي عرفت عن قُرب المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه"، وكان لها رأي وذكرى حول علاقة زايد بالزراعة والنخيل بشكل عام. نعيد نشر أجزاء منها في عام زايد 2018 لأنها تمثل زاداً من المعرفة للأجيال القادمة.

ما من شيء أعز على الإنسان من ذكريات طيبة جمعته مع من يحب من أعز الناس تحت مظلة الوطن، خصوصاً إذا تقدم به العمر إلى موقع من التقدير والاحترام من مختلف فئات المجتمع لما قدمه للمجتمع المحلي بشكل عام وللشجرة المباركة بشكل خاص. إنهم رجال ينتمون إلى زمن الأصول والأصالة، رجال أحبوا زايد وحملوا المسؤولية معه وكانوا أهل لها.

رجال من الجيل الأول ممن رافقوا زايد في رحلة البناء والعطاء في مختلف أرجاء الإمارات، أحبوا النخلة وأخلصوا لها فأعطتهم من ثمارها الكثير فاضوا بها في طول البلاد وعرضها من أجل موقف نبيل كان قد سبقهم إليه زايد الخير. في هذا اللقاء الطيب سنتعرف عن قرب على بعض من هؤلاء الرجال.

لقد حظيت شجرة نخيل التمر باهتمام كبير ورعاية دائمة من الآباء والأجداد عبر تاريخ الإمارات حيث فازت بكثير من العناية والاهتمام من قبل أهل البلاد والرحالة، حتى المؤرخين.. أرخوا لمرحلة النخلة على الأرض وعلاقتها مع الإنسان على أرض الإمارات في حله وترحاله. ولم ينساها الشعراء فنظموا فيها الكثير.. الكثير من الشعر الجميل! وكلّ جزء من النخلة له فائدة عظيمة، ثمارها، ليفها، ساقها، سعفها، جريدها، وخوصها، ناهيك عن المواد الأخرى التي تُسْتَخْرَجُ من ثمار وأجزاء النخلة المختلفة. ثمرها غني بكل مقومات الغذاء اللازمة للإنسان، من ماء ومعادن وأملاح وفيتامينات وسكريات. فهي شجرة مباركة.

المرحوم / محمد بن سالم الظاهري

بحكمة زايد تحولت الإمارات إلى غابة خضراء

في حوار سابق مع المرحوم معالي محمد بن سالم الظاهري (مدير الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة ولصاحب السمو ولي عهد أبوظبي في العين على مدى 35 عاماً): إن دلالات المسيرة الخضراء واضحة على أرض الإمارات، وها هي المساحات الواسعة من الغابات والمزارع والحدائق وملايين الأشجار والنباتات من كل الأنواع باتت تنتشر بصورة متزايدة ومستمرة وسط الأراضي الصحراوية وتقف اليوم شاهداً على ضخامة الجهد المبذول وعلى عظمة الإنجاز الذي تحقق، حيث يرجع الفضل في هذه النهضة الزراعية الشاملة إلى زايد الخير الذي كان عشقه للأرض والزراعة لا حدود له، ودليلنا على ذلك المشاريع الزراعية في الدولة التي تحولت إلى غابة خضراء، تضم ملايين الأشجار، وهناك بساتين لزراعة المانجو والجوافة والحمضيات، خاصة مزرعة جزيرة صير بني ياس، التي تشهد على حكمة الشيخ زايد وفيها زراعة التفاح والأناناس والموز والزيتون.

وأضاف الظاهري في إحدى اللقاءات الصحفية العام 2003 "كان النخيل أهم ما يزرع في واحات منطقة العين، وكانت أغلب هذه البساتين من النخيل تعتمد في رييها من المياه الجوفية على الأفلاج المعروفة في العين وهي: الصاروج، الداوودي، الهيلي، المويجعي، القطارة، الجيمي، المعترض".

وأكد الظاهري أن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" هيأ للبلاد كل السبل التي تضمن التطور والتقدم والازدهار والتحضر في شتى مناحي الحياة، فأرسى بذلك دعائم الانطلاق الصحيح نحو آفاق النماء، فزادت

المصدر: كتاب أهل الإمارات، ثقافة المكان وذاكرة الزمان، الصحافي حسن بحمد، مركز عين للإعلام والتوثيق 2005

المزارع بنسب عالية، وزادت المساحات الخضراء وارتفع الإنتاج باستخدام أحدث التقنيات، وقد تحققت نتائج باهرة عن طريق إيجاد مراكز بحوث زراعية حكومية في كافة المناطق، واهتمت هذه المراكز بمكننة تلقيح النخيل وتوجيه المزارعين وإطلاعهم على نتائج بحوثهم والاستفادة منها. كما أن الشيخ زايد رحمه الله أسس قاعدة قوية للزراعة في منطقة العين وإمارة أبوظبي، ووزع الأراضي على المواطنين وتسهيل القروض الزّراعية والمعدات.

المرحوم / سالم بن حم

رحلتي مع زايد... حديث الذكريات

حفر الأفلاج لتلافي ندرة المياه

قبل أن يتولى زايد شؤون مدينة العين كان القوي يستغل الضعيف والناس يتناهبون بعضهم البعض.. ولما عُيِّـنَ زايد ممثلاً للحاكم أقام مركزاً بالعين للإصلاح بين الناس والفصل بينهم بالعدل حتى تزول الخلافات بين الجيران والقبائل ويتوجه الناس إلى التعاون فيما يفيدهم وينفعهم.. ولم تمض سوى سنتين حتى أصلح بين الجميع ولم يعد أحد يضر بأحد.

ومن أهم المسائل التي كان زايد يوليها اهتمامه الأول وقتئذ مسألة توفير المياه.. فندرة المياه وما يتبعها من مشاكل بين الأهالي كانت الهاجس الأول عند زايد.. فبادر إلى عمل كل ما في وسعه ليجعل الماء ينساب بوفرة وبدأ بإصلاح الأفلاج القديمة المهملة واهتم بمزيد حفر أفلاج جديدة تفي بالغرض المطلوب وكان فلج "الصاروج" أولها الذي استوجب حفره جهداً كبيراً وسنوات عديدة كان خلالها زايد من أول المشاركين بالعمل اليدوي أثناء الحفر ويسدي بأفكاره وتعليماته ليرشد إلى المسار الصحيح للفلج وتكللت أعمال زايد بالنجاح وانهمرت المياه غزيرة من فلج الصاروج وغيره من الأفلاج لينساب عبر السواقي بين المزارع ويصل إلى القاصي والداني.. الغني والفقير.. ومن هنا بدأت الخضرة والحياة تدب كما لم تكن من قبل مؤذنة ببداية عهد جديد مع الخصب والنماء. إلا أنه مع توفر الماء لا تزال-وقتئذ- معضلة تؤرق زايد وتحثه على إيجاد حل حازم وفوري لها، ألا وهي مسألة توزيع المياه أو "نظام السقاية".

عمد سموه على إصلاح نظام الساقية القديم الذي كان يستفيد منه الغني على حساب الفقير.. حيث كانت مياه الآبار أو حصة الماء من الساقية فقط من حظ الأغنياء الذين يقومون بشرائها أو ببيعها ورهنها للآخرين.

الماء والمرعى للجميع

إن حب زايد للناس وتوقه الى المساواة والعدل بين الجميع.. جعله يهتدي الى مبدأ إسلامي عادل وهو "الماء والكلأ لكل الناس" لينهي بذلك فكرة "تجارة الماء" وليضرب حداً للاستغلال والمحسوبية وقال قولته العادلة الناصرة **"إن مياه الأفلاج من جوف الأرض يجب أن تكون من** حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض" فطابت أغلبية النفوس وهنأت بهذا القرار التاريخي وأصبح الجميع ينعمون بهذه الثروة الطبيعية التي خصها الله تعالى بقوله: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ".

استصلاح الأراضي الزراعية

صفحة من استغلال المياه والاتجار بها قد طويت.. وصفحة جديد للتشمير عن السواعد والعمل من أجل استصلاح الأراضي الزراعية بدأ يدعو لها زايد بعد أن أصبح الماء مشاعاً للجميع ويصب في المنفعة العامة للشعب.

عمل زايد على اصلاح الأرض وتهيئتها لزراعة شتى أنواع المحاصيل الزراعية.. وقام بالإكثار من زراعة الأشتال المتنوعة من النخيل في كل مكان.. مؤمناً بأن الزراعة مهمة في حياة الشعوب وهي الكفيلة بتحقيق الأمن الغذائي وخلق فرص جديدة من العمل وتساهم بدور إيجابي في عملية التقدم والتحضير.؟. أليس هو القائل قولته الشهيرة

وهكذا تجمعت الأيادي على يد رجل واحد ضاربةً في الأرض مفجرة خيراتها.. وتجمعت القلوب على قلب رجل واحد هنيئة متأملة ألف خير.. تسأل الله دوام النعمة وطول العمر للقائد الفذ.. زايد الخير، وكان ذلك إيذاناً بمولد قائد عادل بين الناس يراعي المصلحة العامة على المصلحة الخاصة... معادياً للاستغلال، مجاهداً في سبيل إقامة العدل بين جميع الناس.

المرحوم / زهير أبو الأديب

الشيخ زايد زرع حب النخلة في نفوس أبناء الإمارات قبل زراعتها في الأرض

بدأ اهتمام المرحوم زهير أبو الأديب بالزراعة بشكل عام منذ نعومة أظافره فقد ولد في بيئة زراعية في منطقة حوران بمحافظة درعا جنوب سورية، وهي منطقة زراعية بامتياز تنتشر فيها سهول القمح والشعير والحمص وغيرها، ثم انطلق إلى الأردن الشقيق حيث الامتداد الطبيعي والتاريخي للعشائر العربية في منطقة السلط الجبلية التي تتسم بزراعة الخضار والفواكه، وأخيراً كانت محطته الثالثة والأخيرة في نوفمبر 1960 بمدينة العين. إن أول ما وقعت عليه عيناه هو شجرة نخيل التمر التي كانت تملأ الواحات والتي تشكل السمة الرئيسية لمدينة العين، وكانت تلك بداية المشوار الزراعي مع صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة "حفظه الله". فكان جل اهتمام سموه بزراعة أجود أصناف نخيل التمر حيث جلبها من مختلف أصقاع الأرض، حتى أضحت دولة الإمارات من أهم المناطق الزراعية التي ضمت على أرضها الطاهرة وبين جنباتها أكبر عدد من أشجار نخيل التمر في العالم.

وقد تحقق ذلك بفضل الدعم اللامحدود الذي نالته الشجره المباركة (نخلة التمر) من لدن المغفور له بأذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" وأبناءه البررة من بعده.

في بداية المشوار وخلال عقد السبعينيات من القرن الماضي أنشأ المرحوم زهير أبو الأديب مزارع للنخيل معتمداً في ذلك على الأصناف المحلية واتباع الطرق التقليدية في العمليات الزراعية بما في ذلك طرق الري المعروفة بالعامد (أو القناة).

وفي الثمانينيات أدخل أنظمة الري الحديثة بمختلف أنماطها والتي تتميز بكفاءتها العالية في توفير المياه والحد من نمو الاعشاب والادغال الضارة والارتقاء بنمو النخيل وإنتاج تمور عالية الجودة. ومن جوانب التطوير التي اعتمدتها إدخال أصناف جديدة ذات شهره عالمية وذات مواصفات عالية وذلك باستيرادها من دول الخليج العربي والعراق وإيران والباكستان والمغرب العربي وحتى من كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية. يومها كانت أصناف النخيل قليلة جداً تعد على الأصابع، والآن أقدر عدد الأصناف بأكثر من مائة والمهم في هذه الأصناف أنها صالحة وجيدة للتخزين وللأكل.

كما أنشأ مزارع حديثة لصاحب السمو رئيس الدولة تعتبر من أفضل المزارع وذلك لتطبيقها أحدث التقنيات الزراعية الموجودة آنذاك في مجال النخيل، بما في ذلك مزارع خاصة لفحول النخيل من أجود الأصناف العالمية لما لها من تأثير مباشر على مواصفات الثمار وتحسينها.

ولما وجد كمية التمور قد تضاعفت عدة مرات في السنين اللاحقة أنشأ معمل لتعليب التمور بعد تعقيمها وغسلها وتصنيعها وتخزينها بمبردات خاصة، وكان ذلك في عام 1986 حيث كان في زيارة خاصة مع سموه في ولاية كاليفورنيا ففي بعض المدن الداخلية التي فيها أشجار نخيل التمر وجد أن كل مزارع يمتلك 4000 نخلة تقريباً لديه مصنع خاص به، في حين كان لدينا في تلك الأيام أكثر من 20000 نخلة فأنشأ بمدينة العين أول مصنع خاص في تاريخ المنطقة ولا يزال حتى الآن يعمل بكامل طاقته الإنتاجية وبمواصفات عالية.

علماً بأن جميع التمور المنتجة في مصنع العين للتمور هي من مزارع صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) ويجري استهلاكها وتوزيعها كهدايا شخصية من سموه للأهل والأصدقاء والملوك والرؤساء العرب والأجانب والضيوف.

نصيحة للأجيال القادمة؟

تعتبر زراعة النخيل بالإمارات واحدة من أهم التقاليد التي تتميز بها الدولة وتتفوق على جميع دول العالم في حب النخلة من زايد إلى خليفة ومحمد إلى كل فرد من أبناء الوطن، فقد زرعوا حب النخلة في نفوس أبناء الإمارات قبل زراعتها في الأرض، وقد أعطت هذه الطريقة أُكُلَهَا حيث نرى النخلة في الشوارع والمزارع والمتنزهات والطرق العامة ولا يكاد يخلو مسكن من مساكن المواطنين إلا ونجد فيه النخلة. وفي هذه المناسبة أنصح أبنائي وإخواني محبي النخلة في اختيار الأصناف التجارية التي تفيدهم مادياً وغذائياً وأن يكرموا النخلة بتسميدها وريها ونظافتها لأنها هي أكرم منهم بعطائها لهم.

معالي سعيد بن محمد الرقباني

لايوجد قائد بالعالم اهتم بالنخلة مثل المغفور له الشيخ زايد

رجل من زمن زايد.. زمن النهضة الزراعية التي شملت كافة القطاعات الزراعية وكان أهمها زراعة النخيل وإنتاج التمور، هذه الزراعة التي أولاها المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) جل اهتمامه وتقديره لإدراكه أهمية الشجرة المباركة في حياة أبناء الإمارات عبر التاريخ خصوصاً تاريخ ما قبل النفط.

رجل عاصر زايد من موقعه الرسمي على رأس الهرم الزراعي في دولة الإمارات، حيث تبوأ منصب وزير الزراعة والثروة السمكية لمدة 29 عاماً (1977 - 2006) قضاها في تنمية القطاع الزراعي والثروة السمكية والحيوانية والمياه في دولة أثبتت وجودها بجدارة واقتدار على الساحتين الإقليمية والدولية بفضل حكمة وقيادة المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) الذي قال (أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة).

لقد حظيت النخلة برعاية خاصة من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) الذي أرسى قواعد هذه النهضة الزراعية والتي تواصلت واستمرت بثقة واقتدار للرؤية الحكيمة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) قائداً ومعلماً وأباً لكل أبناء هذا الوطن المعطاء، فنحن والجميع نسير على هديه في طريق النجاح والإنجازات المتميزة والقفزة النوعية التي حققتها الدولة في المجال الزراعي بصورة عامة ومجال زراعة النخيل وإنتاج التمور بصورة خاصة.

نصيحة للأجيال القادمة؟

أنصح كل أب أن يهتم بالنخلة وأن يقرب أبناؤه من شجرة النخيل لما فيها من البركة والغذاء، كما أنصح الجهات المعنية أن تنشر الوعي بأهمية الشجرة المباركة وتعزز ثقافة الحفاظ على النخلة بين مختلف فئات المجتمع خصوصاً عبر إدخالها ضمن المناهج الدراسية.

الشيخ هادف بن حميد الشامسي

لولا زايد لما زرعنا النخيل، ولولا خليفة لما استمرينا في حب النخلة

يقول الشيخ هادف بن حميد الشامسي بدأت في زراعة النخيل منذ ستينيات القرن الماضي في مدينة العين، وكان قدوتنا في زراعة النخيل هو المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" فلولا زايد لما زرعنا النخيل، ولولا خليفة لما استمرينا في حب النخلة، حيث قمنا بزراعة صنف البرحي ونبتة سيف والخلاص وغيرها من الأصناف التي أحضرناها من مختلف دول العالم المشهورة بزراعة النخيل آنذاك مثل العراق وغيره. والآن لدينا أكثر من 4000 نخلة بفضل الله وأنا مستمر في زراعة النخيل وأقوم باختيار أجود الأصناف وأفضلها مستفيداً مما تجود فيه مختبرات زراعة الأنسجة في جامعة الإمارات العربية المتحدة.

فالنخلة عزيزة على المواطن بالخليج العربي عموماً وعلى أبناء الإمارات بوجه خاص منذ زمن الآباء والأجداد وحتى الآن، فمن كان عنده نخلة فهو غني جداً فهي غذاء ودواء على مدار العام. فلم نكن نعرف المرض كما عرفناه اليوم بسبب الغذاء الصحي الذي كنا نأكله قديماً، فلم يكن لدى ابن البادية إلا النخلة واللبن وابن الساحل إلا النخلة والسمك فبهذه العناصر الغذائية الثلاث عاش آباؤنا وأجدادنا بصحة وعافية جيدتين حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم.

من هنا ندرك الأهمية الكبيرة لشجرة النخيل في الحياة الاجتماعية لأبناء الإمارات والجزيرة العربية عموماً. وهنا لابد أن نقف بكل فخر واعتزاز ونقدر الجهود الكبيرة التي بذلها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) وصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) وجهود صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، في خدمة تلك الشجرة المباركة فلولا جهودهم جميعاً ودعمهم الكبير للنخلة وثمارها الطيبة لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من ملايين أشجار النخيل بالدولة. فالفضل يعود إلى زايد ومن ثم خليفة في تشجيع الناس على زراعة النخيل.

معالي جمعة الماجد

أهم إنجازات الشيخ زايد تأسيس مختبر زراعة الأنسجة في جامعة الإمارات

يقول معالي جمعة الماجد، منذ طفولتي كان لدينا 3 مزارع نخيل في دبي وكنت ممن يذهبون إلى هذه المزارع في موسم القيظ لحمل الرطب من النخل إلى البيت على الحمار، وفي ذلك الوقت كان الناس في دبي لا يعرفون كيف يصنعون التمر بل يبيعونه رطباً وكنت كل يوم أذهب لإحدى هذه المزارع وهي في مناطق مختلفة. في الماضي كانت مصدر دخل للعائلة، فما تجنيه العائلة من محصول، تبيعه للعيش منه.

إن من خدم هذه الشجرة المباركة هو المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، من خلال اهتمامه الكبير بإكثارها وتطويرها وتشجيع المواطنين على الاعتناء بها. وكل ما وجد اليوم على أرض الإمارات هو من بركات الشيخ زايد، وإحدى أهم إنجازاته في خدمة النخلة هو مختبر زراعة النخيل النسيجية في جامعة الإمارات، حيث أحضر أفضل الأنواع وطورها، وما يزال الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله يتبع هذا النهج، ويولي النخلة كل الرعاية والاهتمام.

لقد أصبحت دولة الإمارات من الدول المتقدمة جداً في إنتاج التمور الفاخرة. وكما ذكرت سابقاً يعود الفضل في ذلك للشيخ زايد "رحمه الله" وصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة "حفظه الله". كما كان الفضل في ذلك أيضاً لكافة حكام الإمارات، فعلى سبيل المثال فإن اهتمام الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم بالنخلة دفعه لزراعة النخيل في خرّان في رأس الخيمة (لتوفر المياه الحلوة) ولما اطلّع على نخلة (البرحي) بعث بعض الأشخاص إلى العراق لشراء فسائل البرحي وكان غير موجود في الإمارات فانتشرت هذه النخلة الطيبة على يده. أما حكام الإمارات الأخرى فلقد كان لديهم مياه وفيرة فزرعوا على الأفلاج الكثير من النخل وكانت النخلة من الأشجار الهامة بالنسبة لهم.

سعادة سلطان خليفة الحبتور

تعلمنا من زايد أن نجرب ولا نستسلم ونجحنا مثلما نجح

يقول سعادة سلطان خليفة الحبتور لقد ورثنا حب النخلة من خلال الحياة العامة التي عشناها في كنف الآباء والأجداد، كما كان للتشجيع الخاص من الوالد الكبير المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) أبلغ الأثر حيث أرسى في نفوسنا علاقة حميمة مع هذه الأرض الطيبة ومن ثم مع نخيلها الباسق والشامخ شموخ أبنائها على مر التاريخ. فالنخلة رافقت حياة الإنسان في الإمارات والجزيرة العربية منذ القدم ولا زالت هي رفيقة الدرب والحياة والطعام والسكن.. فلولاها لما وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم من خير وعطاء ونعيم بتوفيق من الله عز وجل ورعاية شيوخ الإمارات الذين لم يدخروا جهداً في دعم وتنمية المجتمع المحلي خصوصاً قطاع الزراعة.

وأضاف سعادته بأن الثروة الوطنية الهائلة من أشجار النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة ما كانت لتتحقق لولا فضل الله سبحانه وتعالى وإصرار وعزيمة المغفور له بإذن الله زايد الخير والعطاء الذي نشأ على قيم الطموح والجد والمثابرة والتحدي أبى إلا أن يحقق المعادلة المستحيلة فأطلق مقولته في وجه كل المدعين باستحالة المشروع الزراعي في بلادنا حيث قال لهم (دعونا نجرب).. ومن هذا المفهوم الفلسفي التجريبي البحت تعلمنا منه الكثير فقد كان زايد الخير يعي ويثق تماماً بعطاء هذه الأرض فانبثقت من بين يديه أعظم تجربة زراعية، فتحولت بلادنا من صحراء جرداء إلى بلاد الظلال الوارفة والنخيل الممتد على اتساع خارطة الإمارات الفتية.

نصيحتكم لمحبي النخلة بالإمارات؟

من الحري بنا أن نعي قيمة هذه الثروة الوطنية وهذا المخزون الغذائي الاستراتيجي وأن نعمل على تنميته وحمايته وتشجيع المزارعين على توسيع رقعة الأرض المزروعة بأشجار نخيل التمر النظيف بعيداً عن استخدام المواد الكيماوية والتحول إلى الزراعة العضوية الخالية من الأثر المتبقي للمواد الكيماوية.

الشيخ محمد بن ركاض

زايد نشر الوعي بين الناس بأهمية الزراعة

يسترجع الشيخ محمد بن ركاض العامري، عضو المجلس الاستشاري الوطني لإمارة أبوظبي، الذي رافق المؤسس المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، في كافة مراحل حياته وفي حله وترحاله، شريطاً من الذكريات التي تعود إلى عقود مضت، حول حرص الشيخ زايد على نشر الوعي بين الناس لأهمية الزراعة ودورها في بناء الحضارة.

في إحدى مقابلاته الصحفية يقول بن ركاض: تحقق حلم زايد فتحوّلت الواحات إلى بساتين، وتم بناء السدود، وحفر البرك الكبيرة، وتقديم كل الدعم الممكنٍ للمواطن الذي يرغب بزراعة الأرض، فتضاعفت المساحات الزراعية وشملت مختلف أنواع المزروعات والفواكه والخضار. ويشير الشيخ محمد بن ركاض إلى إهتمام المغفور له الشيخ زايد بالزراعة والأرض، فيؤكد أن زايد الخير كان حريصاً على تشجيعنا على الزراعة وأعطاء المساعدات للمزارعين، وزراعة الأشجار المناسبة للمناخ الصحراوي بهدف زيادة المساحة الخضراء في الوطن، كما كان يشدد أولاً على زراعة النخيل، وفي كل زيارة لمجلسه كنت أسمع من الشيخ زايد مشروعاً جديداً في حقول الزراعة والمشاريع الكبرى في كل مكان، وكان يصر رحمه الله على انعاش المناطق البعيدة وتحلية المياه، وقد كنا في المجلس نستغرب كيف سيتم انجاز ذلك، وفي مخيلتنا أن ذلك صعباً للغاية، لكن إرادة الشيخ زايد رحمه الله كانت تحقق المستحيل.

المصدر: جريدة الخليج، العدد 14349 - 1 سبتمبر 2018 مقابلة منى البدوي

ومن المواقف التي لازال يذكرها بن ركاض: أن مواطناً جاء للشيخ زايد رحمه الله يطلب منه منزلاً ومزرعة في إحدى مناطق العين، فقال له الشيخ زايد انتظرنا أسابيع قليلة وسنعالج الموضوع بشكل عام لكافة أبناء هذه المنطقة بالعدالة والمساواة، وليس بالمفرد، وما هي إلا أيام قليلة حتى أصدر الشيخ زايد قراره الفوري بمنح منزل ومزرعة لكل مواطن على حد سواء في تلك المنطقة، فكانت فضائل ومآثر الشيخ زايد التي ما زالت موجودة في كافة مناحي حياتنا اليومية، هي إرساء المساواة والعدالة الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد، بل كان الشيخ زايد القاضي العادل وصاحب البصيرة النافذة، والراعي الصالح إلى جانب كل المواطنين دون استثناء.

المرحوم / عبد الله راشد الشامسي

التقيت بالشيخ زايد أول مرة في المعرض الزراعي الذي أقيم بالمغرب 1994

في حوار سابق يقول المرحوم عبد الله الشامسي التقيت بالمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه) في المغرب عام 1994 يومها كنت مشاركاً في المعرض الزراعي الذي أقامه الشيخ زايد يحتوي على الإنتاج الزراعي من أرض الإمارات ومزارعها، فاستغرب من وجودي وسألني هل هذا الذي بين يديك هو علبة فيها قرآن أم ماذا؟ فقلت له يا طويل العمر هذه علبة فيها تمور الإمارات. وهنا كانت المفاجأة أكبر وكان مسروراً جداً على هذه النقلة النوعية في إيصال تمور الإمارات للعالم بطريقة حديثة ومبتكرة. وشد أزري (رحمه الله) وشجعني كثيراً على المضي قدماً في إعلاء اسم الإمارات عالياً في مختلف المحافل العربية والدولية. ومنذ ذلك الوقت بدأنا ننتشر عالمياً علماً بأن إنتاجنا لا يكفي لسد الطلب المتنامي على التمور في السوق المحلية لدولة الإمارات والحمد لله.

تمر البلاد هو الأساس؟

إليك هذه القصة المعبرة، في الحرب العالمية الثانية كان لدينا طواش (تاجر لؤلؤ) اسمه عبد الله الأحشم الزعابي أخبره وقت ذاك سيف بن سلطان العواني قال له ليش ما تزرع نخيل، فرد عليه بأن نخلي من نخل الرجال أي أشتري النخيل والتمور من المزارعين وهذا يكفيني. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية حصل حصار ومقاطعة ولم تعد في الأسواق مادة غذائية نشتريها، وكل من كان لديه نخيل أو تمور قفل عليه ووقف عن بيعه ليسد به رمق عيشه مع أفراد أسرته. وعندما ذهب إلى السوق ليشتري لأسرته ما تيسر له من التمور بأمواله فلم يجد من يبيعه كيلو غرام واحد. وفي مجلس عبد الله بن حسن بن أحمد الزعابي شيخ قبيلة الزعاب بالجزيرة الحمراء جلس عبد الله الأحشم واخذ كمية كبيرة من التمر من الصحن ووضعه في وزاره وقال له الشيخ عبد الله لما فعلت هذا فقال له لا يوجد عندي تمر أُطعمُ به عيالي، فقال له هل تذكرت ما قلته لك أيام زمان "تمر البلاد هو الأساس".

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

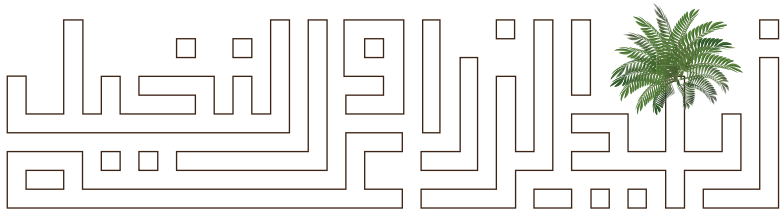

رحلتي مع الشيخ زايد

حوار خاص مع سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق

مستشار سابق بديوان صاحب السمو رئيس الدولة

حوار شيق، وموضوعات نادرة تروى لأول مرة من رجل عاصر الشيخ زايد «طيب الله ثراه» عن قرب وكلفه بالإشراف على عدد من المشاريع الحيوية في إمارة ابوظبي مثل توطين النباتات الملحية، وحفر الآبار باستخدام تقنية الأقمار الصناعية، والعمل على إنشاء أول خزان للمياه الجوفية الصالحة للشرب بالشرق الأوسط... إنه سعادة المستشار الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق.

يتذكر الدكتور عبد الخالق تلك العلاقة الحميمية الشفافة، رفيعة المستوى، وفتح لنا شريط ذكرياته مع الشيخ زايد «طيب الله ثراه» وجد نفسه أمام فترة زمنية تناهز الـ 45 سنة، قضى أغلبها جانب الشيخ زايد، كلفه بمهام كثيرة ومهمة، تعلم الدكتور عبد الرحمن من مدرسة زايد الكثير فهو القائد، الذي يملك حساً فطرياً ورؤية ثاقبة.

يقول الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق ... في أحد الأيام في بداية الثمانينات من القرن الماضي، كنت أرافق الشيخ زايد في رحلة بحرية على الكورنيش الشرقي لجزيرة أبوظبي، في منطقة تسمى «القرم» فشاهدت لأول مرة في حياتي أشجاراً كثيفة أوراقها خضراء داكنة تنمو في مياه البحر وتغطي المنطقة، فسألت الشيخ زايد «رحمه الله» وأنا في دهشة من أمري، ما هذه النباتات التي تنمو في البحر لم أراها من قبل؟ فقال لي هذه نوعية من النباتات تسمى أشجار القرم تنمو في المياه المالحة الضحلة، وهي تنتشر كثيراً على شواطئ إمارة أبوظبي. وأضاف سموه اكتشفنا أن الحيوانات تحب القرم لاحتوائها على نسبة عالية من البروتينات، لكن عندما تمشي الإبل حول أشجار القرم تؤدي إلى موت الأشجار ولا ندري السبب، ولهذا منعنا الاقتراب منها.

وتابعت الحوار معه بسؤال هل هذه النباتات هي الوحيدة التي تتميز بالنمو في مياه البحر بالإمارات؟ فقال نعم هي الوحيدة التي تنتشر بكثافة على شواطئ دولة الإمارات. ثم بادر سموه بالسؤال إذا كان عندي معلومات أكثر عن تلك النباتات الملحية، وكلفني أن أقوم بجمع المعلومات مع كمية من النباتات التي تتحمل الملوحة من مختلف دول العالم؟ كي نقوم بزراعتها في دولة الامارات وهي خدمة كبيرة للمنطقة.

لقد كان اهتمام سموه المبكر بالبيئة والاستدامة؛ كبير جداً فقد حرص الشيخ زايد رحمه الله على تشجيع زراعة أشجار القرم، حيث تغطي أشجار القرم مساحة كبيرة من أراضي الدولة، فإمارة أبوظبي لوحدها تحتضن نحو 110 كيلومترات مربعة من أشجار القرم الطبيعية والمزروعة، التي توفر موائل طبيعية ومصادر تغذية وتكاثر آمنة للعديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية، مثل السلاحف البحرية وأنواع تجارية مهمة من الروبيان وأسماك النيسر والنجرور (الفرش) والكوفر.

ويعد القرم الرمادي النوع الوحيد الذي ينمو على نطاق واسع في دولة الإمارات، كما نجحت هيئة البيئة بأبوظبي في إعادة استزراع نوع Rhizophora mucronata، وتمت زراعة عدد كبير من شتلات هذا النوع في مياه جزيرة رأس غناضة، بعد مرور 100 عام على انقراضها نتيجة الاستغلال. ويعد متنزه القرم الوطني، الذي يقع على الطريق الشرقي الدائري، أقرب غابة قرم لمدينة أبوظبي، وقد افتتح المتنزه للجمهور في الأول من أكتوبر 2014. كما أن هناك مساحات واسعة لغابات القرم في دلما، وجزيرة صير بني ياس وبوطينة والسعديات وأبوالأبيض، والأريام في أبوظبي. ويحتضن متنزه القرم الوطني نحو 60 نوعاً من الطيور مثل بلشون الصخور (طير الشاه) والبلشون الليلي وهازجة القصب الصياحة والفلامنجو الكبير والبلشون الأبيض الصغير والبلشون الرمادي وطيطوي الرمل والعقاب الأرقط بشكل موسمي، كما أنها تدعم كائنات أخرى مثل الأسماك والمحار والإسفنج، والروبيان، وشائكات الجلد والسلطعون.

وتنفيذاً لأوامر سموه فقد سافرت الى ألمانيا حيث اجتمعت هناك مع بعض دكاترة كليات الزراعة في عدد من الجامعات الألمانية المتخصصين بالنباتات الملحية فأخبروني بأن هذه النباتات تنمو بكثافة في عدد من دول العالم ذات الطابق البيومناخي شبه الاستوائي الذي يشبه ما هو موجود في الخليج العربي، مثل الهند والسودان وبانغلادش وأستراليا وبعض دول شرق آسيا وغيرها من الدول، لكن القرم المنتشر بكثافة على سواحل الخليج العربي هو من عائلة الـ Avicennia marina وهي السلالة الأكثر انتشاراً على شواطئ دول الخليج العربي.

ويتابع سعادة المستشار قوله بأنه زار بعض الدول بجنوب أمريكا اللاتينية ليرى بنفسه مختبر البحوث الخاص بالنباتات الملحية عن قرب، لكي يقوم باختيار وإحضار النباتات التي طلبها الشيخ زايد «رحمه الله» عندما كان معه على ظهر القارب على الشاطئ الشرقي في أبوظبي.

فأشجار القرم أو «المانغروف» (مانگروف MANGROVE) من عائلة نباتية كبيرة تعيش في نظام بيئي فريد من نوعه، تنمو عادة في المياه الضحلة بين منطقتي المد والجزر وتفضل العيش في المياه المالحة إلى درجة ملوحة 7000 (PPM) جزءاً في المليون، حيث زودت هذه النباتات بآلية خاصة تساعدها على أخذ مياه البحر المالحة، واستخلاص الماء العذب منه، ومن ثم إفراز الأملاح وطرحها خارج النبات أو الشجرة عن طريق الأوراق. وتعيش هذه الأشجار في التربة الطينية التي لا توفر تهوية كافية للجذور، الأمر الذي تغلبت عليه هذه الفصيلة من الأشجار بتنفس الجذور بواسطة جذور هوائية، تنمو فوق التربة وفوق مستوى الماء في بعض الأحيان. حيث يتميز هذا النوع من الأشجار بقدرته على امتصاص الغازات الدفيئة، بما يسهم في خفض نسب تلوث الهواء، وخفض تأثير ظاهرة التغير المناخي.

وأضاف سعادة المستشار أنه خلال حواره مع أحد الباحثين الألمان أخبرته باهتمام صاحب السمو الشيخ زايد «رحمه الله» بأشجار القرم كثيراً، وسبق له أن أصدر قانوناً يمنع قطع واحتطاب أشجار القرم واطعام الحيوانات منها، خصوصاً لو عرفنا أن الجمال عندما تمشي حول الشجرة تقضي على الجذور الهوائية فتموت الشجرة (وعرفنا السبب لاحقاً بأن أقدام الجمال تقضي على الجذور الهوائية لأشجار القرم التي تتنفس منها).

عند ذلك اتصلت من المانيا بالشيخ زايد واخبرته بما جرى من حوار بيني وبين الدكتور الألماني، طلب مني أن أسافر إلى جنوب أمريكا اللاتينية وأحضر له أكبر عدد ممكن من النباتات الملحية على أن ألتقي بسموه في قصره بالمغرب.

وفعلاً سافرت إلى مركز البحوث ويقع في إحدى الجزر النائية جنوب القارة الامريكية الجنوبية، واخبرت الشيخ زايد أنني استطعت أن أجد كل ما طلبه مني، فقال لي اشحن لي هذه النباتات إلى المغرب فقمت بجمع أكثر من 200 نوع من أنواع النباتات الملحية وشحنتها ضمن حاوية «كونتينر» إلى المغرب. وصلت المغرب واستلمت الشحنة وفق الأصول وادخلتها قصر الشيخ زايد في الرباط، وقمت بترتيبها بالشكل الذي يروق للشيخ زايد، وعملت له مفاجئة في الصباح الباكر (على الإفطار) فكان بالغ السرور عندما رأى 200 نوع من النباتات الملحية أمام عينيه، فقال نحن نريد زراعة هذه النباتات كلها في أبوظبي.

وفي حديث آخر جرى بيني وبين أحد خبراء الزراعة الملحية في ألمانيا بروفيسور«LEED" أخبرني أن هذه النباتات من الأفضل أن يتم عرضها ضمن نطاق مؤتمر علمي دولي مخصص للنباتات الملحية يعقد في أبوظبي ولأول مرة في العالم. عقب ذلك نبدأ بحملة لزراعتها. فكلمت الشيخ زايد عن تنظيم المؤتمر في أبوظبي، فوافق على الفور وكلف جامعة الامارات العربية المتحدة أن تستضيف هذا المؤتمر وتحت رعايته السامية.

شارك في المؤتمر الذي افتتحه سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان في مدينة العين بتاريخ 1990 أكثر من 200 باحث وعالم متخصص بالنباتات الملحية حول العالم، استمر لمدة أسبوع. ومن بين الأشياء التي تبرز اهتمام صاحب السمو الشيخ زايد بهذا المؤتمر فقد صدر عن مؤسسة بريد الامارات طابع بريد خاص بهذه المناسبة، وقام فنان بحريني بتصميم الطابع. وصدر بعدة فئات من الدرهم.

الشيخ زايد رحمه الله خلال استقبال العلماء المشاركين
في المؤتمر الدولي الأول للزراعة الملحية 1990

عقب الانتهاء من المؤتمر طلب مني الشيخ زايد أن أزرع هذه النباتات التي احضرناها من أمريكا الجنوبية فقال أريد زراعتها في أبوظبي. فوقع اختيار الشيخ زايد على قطعة أرض في "المصفح"، ثم أختار مكان آخر قرب غنتوت بالقرب من دبي. وفعلاً عملت مزرعة نموذجية بطول 1 كيلو متر على امتداد شاطئ البحر.

وعملت فيها مشتل ومزرعة نموذجية زرعنا فيها الـ 200 نبات من أشجار القرم وقمنا بريها من مياه البحر مباشرة. وكان يرعاها ويقوم بزيارتها دوماً سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان حتى انتهى بناؤها.

ونالت المزرعة استحسان أصحاب السمو الشيوخ، وكانت تحت اشراف مباشرة ومتابعة من سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، حتى أن سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير شؤون الرئاسة، طلب بناء خاص به إلى جانب تلك المزرعة. وفعلاً بنيت له المزرعة. بعد ذلك بدأ بعمل مشتل لإكثار معظم أنواع النباتات الملحية.

وقبل ذلك حصل شيء مهم جداً ألا وهو أن من بين الشخصيات الهامة التي حضرت المؤتمر العالمي الأول للزراعة الملحية الذي انعقد في جامعة الامارات بمدينة العين عام 1990، كان رئيس مجلس إدارة البنك الإسلامي للتنمية سعادة الدكتور أحمد محمد علي، فقد أعجبته فكرة إنشاء مركز بحوث علمية متخصص بالزراعة الملحية وأبدى رغبة في تمويل هذا المركز كي يرى النور من أجل مساعدة الدول النامية والفقيرة. وفعلاً تبرع بمبلغ مالي كبير لتأسيس المركز وكان لابد أن تستضيفه دولة الإمارات بصفتها المنظمة للمؤتمر الدولي الأول للنباتات الملحية وصاحبة الاهتمام في دعم ورعاية النباتات الملحية، فبدل أن يرسل البنك الإسلامي المنحة المالية إلى جامعة الامارات العربية المتحدة التي نظمت واحتضنت المؤتمر، ذهبت المنحة إلى وزارة الزراعة والثروة السمكية (آنذاك) نتيجة لخطأ ما أو سوء فهم ليس إلا. عقب ذلك جاء معالي الوزير محمد سعيد الرقباني وزير الزراعة والثروة السمكية إلى معالي الشيخ نهيان مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي الرئيس الأعلى لجامعة الامارات (آنذاك) واستأذنه بأن تتولى وزارة الزراعة متابعة هذا المشروع. فوافق الشيخ نهيان طالما الفكرة فيها فائدة علمية للإمارات والعالم أجمع.

بفضل الله لقد تم إنشاء المركز الدولي للزراعة الملحية عام 1999 ومقره في مدينة دبي في منطقة الروية على طريق دبي العين، وقام المركز بإنشاء توأمة بينه وبين المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ICARDA) بهدف تبادل الخبرات العلمية والفنية بين المركزين. حيث تمخضت المشورات بين الخبراء التي أطلقها البنك الإسلامي للتنمية عام 1992 عن وضع مخطط للأهداف والأنشطة التي ستضطلع بها المؤسسة الجديدة، حيث وافق مجلس الإدارة التنفيذية للبنك الإسلامي للتنمية في أكتوبر/تشرين الأول 1992 على تمويل عمليات إقلاع المركز. وجاءت نتيجة المشورات اللاحقة بين البنك والأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في اختيار دولة الإمارات العربية المتحدة لتكون البلد المضيف للمركز الجديد.

وفي عام 1996، أُبرم اتفاق بين البنك الإسلامي للتنمية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، لتأسيس المركز الدولي للزراعة الملحية "ICBA" واعتباره كياناً رسمياً. كما قدم الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وصندوق أوبك دعماً مالياً لتأسيس "ICBA". وفي عام 1997، منحت بلدية دبي مساحة 100 هكتار من الأراضي في الروية، التي أرسيت فيها أسس المقر الرئيسي لمركز "ICBA". حالياً يتولى ثلاثة ممولين أساسيين تمويل العديد من بحوثنا التطبيقية المبتكرة وهم: وزارة التغير المناخي والبيئة في دولة الإمارات العربية المتحدة وهيئة البيئة في أبوظبي والبنك الاسلامي للتنمية.

وقد أشار سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان رئيس مكتب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة (آنذاك) بفخر واعتزاز إلى أهمية ما حققته دولة الامارات من نجاح على صعيد الاستفادة من المياه المالحة في التنمية الزراعية،

في كلمة سموه خلال افتتاح الدورة التدريبية حول (الزراعة الملحية والإنتاج الزراعي المستدام) التي عقدت في طشقند، أوزبكستان 11 مايو 2003 ألقاها بالإنابة عن سموه سعادة المستشار الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق قال فيها:

سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان
نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير شؤون الرئاسة

"إن الزراعة بشتى مجالاتها تمثل شريان الحياة، لأنها توفر الغذاء والمسكن للشعوب، كما أنها تسخر الطبيعة وتجعلها أداة هامة للاستقرار، وبالنسبة لدولة الإمارات العربية المتحدة، فقد كان لزاماً الانسياق وراء هذا المفهوم الحضاري، والتوجه لإنماء القطاع الزراعي، رغم الظروف الطبيعية والمناخية القاسية التي تسود المنطقة. وقد أولت دولة الإمارات منذ السنوات الأولى لنشأتها اهتماماً بهذا القطاع، واعتبرته ركيزة من ركائز سياستها التنموية، وقد قاد هذه الجهود التطويرية الخيرة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله)، إذ استطاع من خلال فكره الثاقب ونظرته المستقبلية العميقة وضع تصور شامل لتحويل الصحراء إلى تلال خضراء، ومزارع، وحقول، وبساتين، وغابات. وقد انطلقت رؤية سموه من مبدأ التحدي والرهان، التحدي برغبة تغيير الواقع من صحراء جرداء، والرهان النابع من الإيمان بالله وقدرة الإنسان في أرض الإمارات على قهر المعوقات البيئية الصعبة. وبحمد الله تعالى تحقق الرهان فاخضرت الصحراء، وقهر اللون الأخضر اللون الأصفر، إذ بلغ عدد المزارع في الدولة حالياً 38 ألف مزرعة، على مساحة قدرها 270 ألف هكتار، كما ينتشر حالياً في ربوع الإمارات أكثر من 130 حديقة عامة، ونحو أكثر من 40 مليون شجرة نخيل، إضافة إلى أكثر من 120 مليون شجرة أخرى. بحيث أصبحت دولة الإمارات اليوم مثالاً يحتذى لدى الكثير من الدول ذات الظروف البيئية المماثلة، وقد تحقق كل ذلك خلال ثلاثين عاماً، وهي فترة زمنية قصيرة بكل المقاييس".

وأضاف سمو الشيخ منصور خلال كلمة افتتاح دورة الزراعة الملحية والإنتاج الزراعي المستدام في طشقند "بناء على توجيهات كريمة من صاحب السمو الشيخ زايد رجل البيئة الأول، لتعظيم الاستفادة من المياه المالحة باستخدام النباتات الملحية المناسبة، وتطوير نظم مستدامة للإنتاج الزراعي، تم انعقاد المؤتمر العالمي الأول حول الزراعة الملحية في مدينة العين في الإمارات العربية المتحدة، تحت رعاية سموه في عام 1990، وقد أصدر المؤتمر توصيات عدة منها إنشاء مركز متخصص للزراعة الملحية، وحديقة نباتية للنباتات الملحية،

وبتوفيق من الله تم تنفيذ التوصيات، إذ استضافت دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الدولي للزراعة الملحية، الذي تم إنشاؤه بدعم وتمويل كبير من البنك الإسلامي للتنمية، ودعمته عدة منظمات دولية، مثل صندوق الأوبك للتنمية الدولية، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ويعد المركز حالياً من أرقى وأحدث المراكز العلمية البحثية التطبيقية الدولية، المتخصصة في مجال الاستفادة من المياه المالحة في الزراعة، إضافة إلى ذلك قامت الدولة بإنشاء أول حديقة للنباتات التي تروى بمياه البحر، وقد تم تصنيف هذه الحديقة في كتاب جينيس للأرقام القياسية الدولية في عام 2002، ما يعتبر مفخرة وإنجازاً كبيراً لدولة نامية مثل الإمارات العربية المتحدة، كما أود الإشارة هنا إلى أن مكتب صاحب السمو يدرس حالياً مع المركز الدولي للزراعة الملحية إمكانية إنشاء بنك للمصادر الوراثية النباتية الملحية وإقامة حديقة نباتية كذلك".

GUINNESS WORLD RECORDS

CERTIFICATE

The world's largest gardens which are irrigated by saltwater is the Zayed Project for Seawater Irrigation, on the coast of the Arabian Gulf in Abu Dhabi, UAE.
The gardens measure 20,000 m² (215,278 ft²) and contain 22,000 specimens from 40 different types of plants, all of which tolerate pure saltwater or a salt/fresh water mixture, either naturally or from genetic modification

Keeper of the Records
GUINNESS WORLD RECORDS LTD

ويضيف سعادة المستشار عبد الخالق بأن كل ما ورد قد تحقق وأكثر بكثير على أرض الواقع، بفضل رغبة وعزيمة المغفور له الشيخ زايد "طيب الله ثراه".

خلاصة القول بأن المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" يعتبر أول رئيس دولة بالعالم اهتم بالنباتات الملحية وأسس لها بنية تحتية قوية بدأت بمركز علمي إلى إنشاء مختبرات لإكثارها ومن ثم مشاتل لتشتيلها وتهيئتها للزراعة في الأرض الدائمة بمياه البحر. بالإضافة إلى تبادل الخبرات بين مختلف دول العالم المهتمة بالنباتات الملحية.

وذات مرة كان الشيخ زايد رحمه الله يستضيف ملك البحرين في قصره بمنطقة "جبل الظنة" بالمنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، وطلب مني أن أحضر له عدداً من النباتات الملحية لإطلاعه على تجربة الإمارات في هذا الموضوع.

والطريف في الأمر أنني شخصياً عملت على زراعة إحدى شتلات نبات القرم في قصر سمو الشيخ نهيان مبارك آل نهيان وزير التسامح رئيس مجلس أمناء جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي. وما زالت الشجرة باسقة تسمو بشموخها تعانق السماء.

الشيخ زايد رحمه الله يستعرض أنواع النبتاتات الملحية خلال استقباله جلالة ملك البحرين بمدينة المرفأ

أبوظبي تعوم على بحر من المياه العذبة

ذات مرة كنت عند الشيخ زايد رحمه الله في قصره بالمغرب وقال لي أنا متأكد أننا في إمارة أبوظبي نعيش على بحيرة من المياه العذبة، لأن التاريخ القديم يحكي لنا أن جزيرة العرب كانت في يوم من الأيام منطقة غابات وأنهار ونستدل على ذلك من الاكتشافات الأثرية هنا وهناك بين الحين والآخر.

فطلب مني أن أبحث له عن شركات أوروبية تقوم بمهمة البحث فوجدت شركتين المانيتين الأولى شركة (GTZ) والثانية شركة (DORNER) المشهورتين في المانيا، هاتين الشركتين متخصصتين في التنقيب عن المياه الجوفية باستخدام تقنية الأقمار الصناعية. وأخبرت الشيخ زايد بالتفاصيل وقال لي أدعوهم إلى أبوظبي كي يعرضوا علينا وجهة نظرهم وما هي خطة عملهم لتحقيق الهدف.

ونزولاً عند رغبة الشيخ زايد رحمه الله قمت بالاجتماع مع الشركتين وطلبت منهم أن يعملوا أبحاثهم مستخدمين الأقمار الصناعية لاكتشاف المياه الجوفية العذبة في إمارة أبوظبي. وافقت الشركتين وقاموا بعمل دراسات علمية وفنية مع خرائط مائية للمياه الجوفية بإمارة أبوظبي.

وحضرت معهم إلى قصر الرئاسة في أبوظبي من أجل لقاء الشيخ زايد، وكان سموه للتو، قد انتهى من اجتماع لمجلس الوزراء، وطلب من كافة أعضاء مجلس الوزراء الموقر حضور الاجتماع الفني مع الشركات الألمانية لنرى ما لديهم. وبدأ الخبراء في شرح وجهة نظرهم، حيث أكد الخبراء فعلاً وجود خزانات للمياه الجوفية العذبة في إمارة أبوظبي، وبعد طول شرح وعرض لخطة العمل وإجراءات التنفيذ، أُعجِبَ

الشيخ زايد رحمه الله بالفكرة فوافق سموه على المشروع وأعطاهم أمراً لمباشرة العمل فوراً.

بدأ المشروع في مدينة زايد بالمنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، وفي منطقة الخزنة بالعين وغيرها من المناطق. وبدأت النتائج الإيجابية تظهر على أرض الواقع.

سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان يتابع التفاصيل الفنية لمشروع استكشاف المياه الجوفية بإمارة أبوظبي

وفي غضون ذلك كان الشيخ زايد كل شهر تقريباً يدشن أحد آبار المياه الجوفية التي تظهر الى سطح الأرض ويحتفل بها في كل مرة. كما نظموا احتفالاً كبيراً عندما وصلت تلك الآبار المكتشفة الى طاقة إنتاجية قدرها 10 مليون جالون باليوم الواحد. استمرت الشركات الألمانية في التنقيب والحفر عن المياه العذبة وحفروا مئات الآبار على مدى أكثر من عشر سنوات.

حيث أشاد دولة جيرهارد شرويدر مستشار جمهورية ألمانيا الاتحادية بالاهتمام والمتابعة التي يوليها الشيخ زايد للمشاريع التنموية وخصوصاً تعزيز موارد البلاد من المياه الجوفية، وجاء ذلك خلال الاحتفال الذي جرى يوم الثلاثاء 7 أكتوبر 2003 بمنطقة أم الحصن في ليوا بالمنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، خلال تردشين أحدث بئر مياه في اطار مشروع تقييم المياه الجوفية بأبوظبي بحضور سمو الشيخ حامد بن زايد آل نهيان.

استشراف المستقبل

وذات مرة كنت في أمريكا وفي زيارة لإحدى المؤسسات العلمية المتخصصة بالمياه، أخبروني أنه يوجد خطورة على مستقبل المياه العذبة في الجزيرة العربية ككل، والسبب لأن المياه الجوفية تستنزف بطريقة كبيرة لا تعادل كمية المياه الهاطلة على مدار العام، وإذا حصلت حرب "لا سامح الله" أو تلوث لمياه البحر في الخليج العربي (حيث توجد محطات تحلية المياه) أو تعطلت أي من محطات التحلية لأي سبب كان، ما هي كمية المياه المتوفرة لدى أي دولة، وكم من الوقت يمكن أن تكفيها؟ فأخبروني أن المخزون المائي من المياه الحلوة في دول الجزيرة العربية لا يكفيها أكثر من ثلاثة أيام؟ وهنا كانت الصدمة كبيرة.

أتيت للشيخ زايد في أبوظبي وأخبرته بالموضوع فطلب مني أن أقدم له مجموعة من الحلول الاستراتيجية المتاحة للموضوع. وقلت له بأن الخبراء الأمريكان اقترحوا أن نعمل خزان مياه جوفية في باطن الأرض في منطقة ما تكون فيها التربة أو الصخور كتيمة وغير نفوذة للمياه تستطيع أن تحفظ المياه بشكل كاف ولمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر.

وأضاف الخبراء يجب أن توضع في الخزان الجوفي مياه مصدرين الأول من المياه التي تأتي من باطن الأرض، والثاني بضخ المياه المحلاة عقب ذلك نقوم بقفل البئر بشكل محكم ليوم الازمات. وهذا يعتبر خزان استراتيجي للمياه بالإمارات.

محلـ ـيات

مشيداً باهتمام رئيس الدولة لتأمين مستقبل مشرق لشعبه

سرويدر يفتتح أحدث بئر في مشروع المياه الجوفية في ليوا

وافق الشيخ زايد على الفكرة وطلب من الشيخ خليفة بن زايد بالإشراف على المشروع، بدوره قام سمو الشيخ خليفة بن زايد بتكليف شركة أدنوك بتنفيذ المشروع بالتعاون معنا، إثر ذلك قمت بتجميع الخبراء المختصين من أمريكا وأوروبا، وقالوا للشيخ زايد بأنهم سيقومون أولاً بعمل دراسة علمية وفنية لاختيار المنطقة الجغرافية المناسبة من الناحية الجيولوجية استمرت الدراسة 2.5 سنة عقب ذلك باشروا بالتنفيذ. وهذا المشروع كان من بين الأماني التي كان يحلم أن يراها الشيخ زايد بعينه، وها هي اليوم ماثلة على أرض الواقع، أصبح لدينا خزان استراتيجي للمياه العذبة يكفي ثلاثة أشهر نستخدمها في حالة الطوارئ والأزمات.

قال نائب رئيس المجلس التنفيذي لإمارة أبوظبي، الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان "إن الخزان الاستراتيجي الكبير الذي تم إنجاز معظم أعمال بنائه وتشغيله في ليوا بمنطقة الظفرة بأبوظبي هو إنجاز كبير وخطوة عملاقة نحو تحقيق الأمن المائي المستدام".

وأكد أن توجيهات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة "حفظه الله"، وولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ومتابعة ممثل الحاكم في منطقة الظفرة سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، كان لها الدور الأكبر في تحقيق مبدأ الاستدامة في قطاع الماء والكهرباء، بما يواكب خطة أبوظبي 2030 واستراتيجية الأمن المائي 2036 لدولة الإمارات العربية المتحدة الهادفة إلى ضمان استدامة واستمرارية توفير المياه وتحقيق رخاء المجتمع وازدهاره واستدامة نمو اقتصاد البلاد.

وشدد الشيخ هزاع بن زايد على أن مستقبل الموارد المائية في أبوظبي وتأمين المصادر لتوفير إمدادات المياه في الدولة يشكلان أحد الأولويات التي تحظى باهتمام القيادة الحكيمة ومتابعتها الدائمة.

وجاء ذلك في تصريح له بعد الزيارة التي قام بها بتاريخ 27 يناير 2018 لمشروع الخزان الاستراتيجي الكبير للمياه في ليوا بمنطقة الظفرة والذي يعد أضخم مشروع في العالم لتخزين المياه العذبة ويضم شبكة تتكون من 315 بئراً تمتد تحت رمال صحراء ليوا وبقدرة تخزين تتجاوز 5.6 مليار غالون من المياه العذبة.

ويوم تدشين المشروع قمت بقراءة الفاتحة عن روح الشيخ زايد "طيب الله ثراه" مستذكراً مساعيه الطيبة وأمانيه في هذا المجال.

من طرائف الأيام

طول فترة حياة الشيخ زايد "رحمه الله" كنت أتردد كثيراً الى مجلس سموه بحكم العمل والمهام التي كان يوكلني بها خاصة مشاريع المياه الاستراتيجية وحفر الآبار، وكان رحمه الله، يحب أن يتفقد تلك المياه بنفسه لمعرفة نسبة الإنجاز ونسبة الملوحة وهكذا... وكان يطلب مني على مدار الساعة ويسألني عن الجديد في عمليات الحفر وما هي نسبة الملوحة في هذا البئر أو ذاك. وهكذا... فكنت أحضر معي الى قصر سموه بشكل دائم عبوات من المياه (غرشة مي عادية) أضع فيها عينة من مياه الآبار وأكتب على العبوة نسبة الملوحة بحسب القياس والتحليل، وبعض الأحيان كان يحدث خطأ ما في كتابة نسبة الملوحة على العبوة. الذي حصل أنني في إحدى المرات قدمت للشيخ زايد "رحمه الله" عينة من المياه من أحد الآبار (بير كذا من منطقة كذا) وكانت نسبة الملوحة المكتوبة على العبوة هي 9000 جزء بالمليون (PPM) وأعطيت العبوة للشيخ زايد وكان رحمه الله يعمل على تَقدِير كمية الملوحة بطريقته الخاصة بأن يتذوق قدر بسيط من عينة المياه (بغطاء العبوة) فقال عندها أن تلك العينة ملوحتها 11000 جزء بالمليون وليس 9000 جزء بالمليون، وطلب جهاز فحص وقياس نسبة الملوحة، وتم قياس العينة وفعلاً أعطى الجهاز قراءته 11000 جزء بالمليون. فكان رحمه الله، خبير بالفطرة يعطي نصائح فنية في اختيار المواقع وأثناء حفر البئر، فيقول لهم اذهبوا الى التلال الرملية تحتها مياه حلوة ولا تذهبوا الى الأماكن المسطحة والأرض المفتوحة.

وفي ذات مرة كنت في زيارة للشيخ زايد "رحمه الله" ولم تكن تخلو جعبتي من عبوات المياه (تحوي عينة من مياه الآبار التي نقوم بحفرها وهي مالحة نوعاً ما) التي كنت أحضرها معي باستمرار الى مجلس الشيخ زايد وكان بحوزتي على مدار الوقت، ومن كثرتها كانت توضع للحفظ في أحد البرادات بقصر سموه للمتابعة.

وفي ذات مرة أخبرني سمو الشيخ منصور بن زايد أنه حضر الى القصر وكان عطشان جداً فذهب إلى البراد وأخذ إحدى عبوات المياه الموجودة فيه وشرب منها،

وكانت المفاجأة فالمياه مالحة وهي من عبوات العينات التي كنت أحضرها بنفسي للشيخ زايد "رحمه الله".

من جهة أخرى عندما يبدأ البئر بالنفاذ وتشح المياه فيه كان يقول للفريق الفني المشرف على عملية الحفر، اهدموا البئر وارجعوا احفروا من جديد وسوف تجدون مياه حلوة جديدة وفعلاً هذا ما كان يحصل معنا خلال عمليات حفر الآبار.

وكان يسأل دائماً "رحمه الله" ويتابع عمل الخبراء الأجانب في حفر الآبار الى أين وصلوا في هذا البئر والى أي عمق وصلوا وماهي نسبة الملوحة في هذا البئر أو ذاك. فكان الشيخ زايد "طيب الله ثراه" يريد أن يرى اللون الأخضر بدل اللون الأصفر في كل مكان من دولة الامارات.

ممنوع قطع الشجرة

أذكر ذات مرة كنت أسكن ضمن فيلا في منطقة المحاربة بابوظبي وكان أمام بيتي شجرة محروق نصفها وهي بحالة يرثى لها، فأخبرت عنها قسم الزراعة في بلدية ابوظبي كي يقلعوا الشجرة لأنها شبه ميتة، فلم يجرؤ أي من موظفي البلدية أن يقلع الشجرة أو يقطعها لأن لديهم تعليمات من الشيخ زايد "رحمه الله" بعدم قطع أو قلع أي شجرة مهما كان الأمر، وشوارع إمارة ابوظبي تشهد على ذلك وهذا ما رأيناه في أكثر من مكان في أبوظبي حيث قام المقاول بتحويل اتجاه الشارع من أجل عدم قطع شجرة اعترضت طريقه، أو ابقيت الشجرة الى جانب الطريق واستمر الطريق في مسيرته، وهكذا.... الشجرة كانت غالية على قلب زايد كثيراً. وذات مرة أخبرت الشيخ زايد بهذه القصة بأن موظفي حكومة أبوظبي يرتعشوا من قطع شجرة محروقة لا أمل فيها، لأن لديهم تعليمات ولا أحد يستطيع مخالفة تعليماتك فضحك كثيراً.... وقال ليس إلى هذه الدرجة فعلى المسؤولين تقدير الأمر وأهمية التنفيذ.

ومن طريف القول أني عندما كنت أرافق الشيخ زايد "رحمه الله" في جولاته كنت أرى بأم عيني أنه عندما يرى أي أنبوب مياه مكسور أو يتسرب منه المياه في أي شارع أو مزرعة أو منطقة ما، كان يزعل جداً ويتوقف ويصلح الانبوب بنفسه أو يأمر بإصلاحه فوراً لأنه كان يدرك قيمة المياه واهميتها لحياة الانسان والنبات والحيوان على حد سواء.

مزرعة الدود

كان الشيخ زايد "رحمه الله" شغوفاً بالزراعة ويحب أن يطلع على أي شيء جديد في عالم الزراعة حول العالم، سواء نبات جديد أو طريقة زراعة جديدة أو تقنيات زراعية حديثة أو ما شابه ذلك. لم يترك شيء إلا وعمله من أجل أن ينشر اللون الأخضر والخير على أرض الامارات. ففي ذات مرة من عام 1978 التقيت في ألمانيا بأستاذ جامعي متخصص بالزراعة بدون مياه في برلين و قال لي عندي طريقة لزراعة الصحراء بدون مياه ولدي تجارب كثيرة في هذا الموضوع أجريتها في الحرم الجامعي وحققت نجاحاً في زراعة النباتات ضمن تربة رملية وحرارة عالية بدون استخدام المياه، وهنا كانت المفاجأة فقلت له أريد أن أرى بأم عيني فأخذني معه الى مختبره في الجامعة فلديه صوبة زجاجية جعلها تشبه الصحراء من حيث الحرارة والرطوبة والرمال وما شابه ذلك، ووجدت فيها النباتات تنمو بكثافة عالية لكن بدون استخدام أي قطرة ماء فقلت له كيف تتم الزراعة بدون مياه؟ فقال لي اكتشفت في بحوثي وتجاربي نوع معين من الدود ينمو ويتكاثر بكثافة عالية وتراكمه يخلق بيئة أو تربة جديدة خصبة تنمو عليها النباتات وهذا ما حصل، الموقف مدهش حقاً عند ذلك اتصلت بالشيخ زايد وأوصلت لسموه المعلومة فدهش كثيراً وقال لي دعه يحضر الينا كي يجرب ما وصل إليه، لكن ضع عليه شروط أننا نوفر له كل شيء ولو حصل نتيجة إيجابية نتعاقد معه ونجزيه ولو لم ينجح نقول له يعطيك العافية ما قصرت، ويرجع الى بلاده بخفي حنين.

وصل الخبير الى أبوظبي صيفاً وكان الجو حار جداً، وقدم له الشيخ زايد قطعة أرض في ليوا، وتم تجهيز الأرض بالمواد اللازمة لتنفيذ التجربة، ثم بدأ الباحث بعمله وكان يصحب معه من ألمانيا "حاوية-كونتينر" من الدود الألماني الخاص بالتجربة التي حقق من خلالها نتائج إيجابية في برلين، فالدود بطبيعته سوف يتكاثر بسرعة فائقة لتشكيل التربة الجديدة التي سينمو عليها النبات.

وكان الشيخ زايد "رحمه الله" يسألني كل أسبوع ماذا حصل مع الباحث الألماني، بمزرعة الدود، وأنا بدوري أقوم بمتابعة الباحث أسبوعياً فكان يقول لي كلما وضعت الدود على الأرض ينشف بسرعة ويموت بسبب الحرارة العالية، فالحرارة الاصطناعية في المختبر بألمانيا مختلفة عن الحرارة هنا في أبوظبي، الرجل خلص الدود من عنده وقام بطلب الدود من ألمانيا ثلاث مرات لاستكمال التجربة فنجاح التجربة متوقف على الدود (كما حصل معه في مختبره الجامعي في المانيا) وفي كل مرة يحضر بها الدود من ألمانيا كان الدود يموت بسبب الحرارة أو ملوحة التربة...

في ذلك الحين قمت باطلاع الشيخ زايد "رحمه الله" على القصة والنتائج التي تحققت، فضحك الشيخ زايد كثيراً... لكن هذه القصة اعطتني لقب جديد عند الشيخ زايد فكلما دخلت عليه كان يقول لي تعال يا راعي الدود، تعال يا دكتور الدود تعال عبد الرحمن الدود. فالشيخ زايد "طيب الله ثراه" كان يعشق الزراعة بكل أنواعها وخصوصاً نخيل التمر وكان يساعد الناس لتمكينهم من زراعة النخيل وكان يحب أي واحد ان يزرع نخيلاً.

شجرة من النوع المتحمل للملوحة أحضرها الدكتور عبد الرحمن من جنوب أمريكا بتكليف من الشيخ زايد، قام بزراعتها منذ 20 سنة في قصر معالي الشيخ نهيان مبارك آل نهيان في أبوظبي، وقد أصبحت شجرة يانعة

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

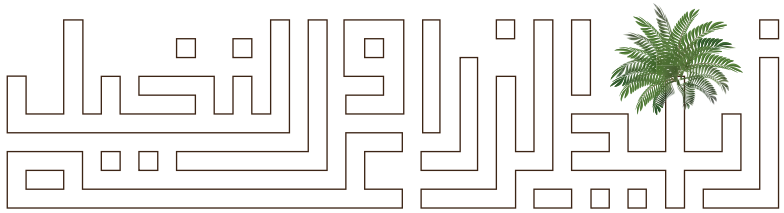

كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء؟
أعمال خضراء وأحلام كثيرة*

سعادة الدكتور هلال حميد ساعد الكعبي
أمين عام مجلس أبوظبي للجودة والمطابقة

زايد يستعين بالخبرات الأجنبية

منذ أن كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية والشيخ زايد "رحمه الله" يبحث عن الخبرات وذوي الاختصاص للاستفادة منهم في تطوير بلاده في مختلف جوانب الحياة. وعندما تولى حكم إمارة أبوظبي وحدد مسيرة الإعمار والتخضير، سعى إلى الاستعانة بالخبرات الأجنبية لوضع هيكل إداري للإمارة، والبدء بإدارة المؤسسات التي ستنشأ. ولقد أشارت التقارير البريطانية إلى ذلك التوجه للشيخ زايد وأوردته في تقاريرها السرية فيشير السيد لامب، المعتمد البريطاني في أبوظبي في تقريره عام 1966، إلى أن الأمر اقتصر في البداية على الخبراء البريطانيين والسودانيين، إلا أن الأمر كان فيه سعة أكبر، وعلى أي حال فلم يكن من ذلك الأمر بد حيث أن الظروف السائدة على أرض الإمارة -وكما أشرنا سابقاً- كانت غاية في الصعوبة وأنها كانت تفتقر لكل شيء ومن بينها فرصة التعليم، فلم يكن حول الشيخ زايد من أبناء وطنه من يحمل شهادات علمية في ذلك الحين.

ويُذكَر أن أول خبير زراعي استدعاه الشيخ زايد -رحمه الله- هو عبد الحفيظ خان وكان ذلك في عام 1962 عندما قرر الشيخ زايد تشجير مدينة العين، حيث وضع خطة زراعية لتشجير المدينة واستدعى هذا الخبير من باكستان ليقوم بهذا العمل تحت إشرافه، وكان الشيخ زايد يصرف راتبه من ماله الخاص.

وعندما تولى الشيخ زايد حكم الإمارة، واتسعت رؤيته في الزراعة قرر البدء في مسيرة الإعمار والتخضير وعلى نطاق واسع، ولم يكن على أرض الإمارة رجل واحد من المواطنين يحمل شهادة علمية في الزراعة أو عداها يمكن أن يشغل وظيفة من وظائف دائرة الزراعة التي بادر في تأسيسها مع بداية جلوسه حاكماً لإمارة أبوظبي في أغسطس 1966. لذا فقد قرر الشيخ زايد بدء مسيرته في التنمية الزراعية مستعيناً بمختلف الخبرات والكفاءات العربية والدولية، فاستعان بالخبرات الأجنبية لشغل الوظائف الفنية والإدارية في تلك الدائرة وعين السيد

* المصدر: كتاب عبقرية زايد في الزراعة والبيئة، الدكتور هلال حميد ساعد الكعبي، الطبعة الأولى 2008

خالد عبدالله الفياض مديراً عليها، وهو من كبار موظفي وزارة الزراعة في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو أول مدير يشغل دائرة الزراعة وباشر عمله في النصف الأخير لعام 1967. ثم خلفه في هذا المنصب الدكتور حسن رشيد الغرايبة في أواسط عام 1968، وفي أواخر عام 1969 طلبت حكومة أبوظبي من حكومة المملكة الأردنية الهاشمية اختيار خبير زراعي مقتدر يخلف الدكتور حسن الغرايبة، فكان ترشيح المهندس الزراعي السيد سامي علي بشناق. فكان توجه الشيخ زايد في تلك المرحلة دعم دائرة الزراعة بمزيد من الإخصائيين في مختلف العلوم والاختصاصات الزراعية لزيادة الفاعلية في تنفيذ المشاريع، والنهوض بمسؤوليات هذه الدائرة ومضاعفة الإنتاج.

عبقرية زايد في الزراعة والبيئة

والشيخ زايد "رحمه الله"، إذ أدرك مبكراً أهمية العلم والعلماء وإمكانية الاستفادة من الخبرات الأجنبية في شتى المجالات الزراعية في دعم توجهه الزراعي، فتح أبواب إمارة أبوظبي لكل الخبرات لتأتي إلى هنا وتشارك في التنمية والعمل على إقامة نهضة سريعة، ووجه المؤسسات الزراعية بالاستعانة بهؤلاء واستقدمهم إلى أرض الإمارة للعمل بها أو للاستشارة وتقديم المشورة، ولهذا قامت دائرة الزراعة في العين بعد تأسيسها بدعوة هؤلاء الخبراء في شتى التخصصات والحقول العلمية. ففي حقل تربية النباتات والتحريج والمتنزهات العامة زار البلاد في أواخر الستينات البروفوسور برايور، استاذ علم النبات في جامعة استراليا الوطنية، حيث قضى في الإمارة أسبوعاً من الزمن زار خلالها كافة المناطق الزراعية في المنطقة الشرقية وقدم تقريراً عن أفضل النباتات والأشجار الحرجية التي يمكن إكثارها في تلك المنطقة والتي يمكن أن تتحمل الحرارة وجفاف الطقس السائدين. ثم زار المنطقة الدكتور يحيى أمين صلاح، خبير البستنة في منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) بالقاهرة سيما في نباتات شبه

الاستوائية، ونصح هذا الخبير بأهمية وضع خطة متكاملة لأبحاث البستنة وتجربة الأشجار المثمرة التي أثبتت نجاحاً في المناطق الحارة وشبه الاستوائية. أما في مجال الإرشاد الزراعي وتحسين التعليم والخدمات الزراعية للمزارعين فقد زار البلاد السيد سعيد التاجي الفاروقي من منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) (القاهرة)، وقضى بضعة أيام درس خلالها إمكانية تأسيس مراكز إرشادية وقدم توجيهات تقضي بأهمية مباشرة الانتفاع من مختلف نشاطات المنظمة المذكورة وضرورة حضور الاجتماعات والمؤتمرات المختلفة، كما ساعد المذكور أيضاً في إيصال تقارير ومؤلفات المنظمة لهذه الدائرة بصفة دورية مستمرة.

الشيخ زايد يشاهد باهتمام عرضاً سينمائياً عن نشاطات خبراء جامعة أريزونا في إنتاج الخضار، وذلك خلال فعاليات المعرض الزراعي السنوي الأول عام 1969.

كما اهتمت حكومة المملكة المتحدة برغبة حكومة أبوظبي في استقبال الخبراء البريطانيين، فقامت بإيفاد الإخصائيين الزراعيين بشؤون الإنتاج والتصنيع والتسويق الزراعي، فزار الإمارة عدد من الخبراء من مصانع إنتاج الأدوية والعلاجات الزراعية والبيطرة مثل شركة كوبر وشركة الصناعات الكيماوية البريطانية، وكذلك السيد وورد زوبرث، خبير التسويق الزراعي بالشرق الأوسط، الذي نصح آنذاك بتأسيس الجمعيات التعاونية للتسويق ومراكز التسويق المركزية. وزار الإمارة المستر ستيفنس من جامعة دُرَم البريطانية حيث قضى ثلاثة أشهر في دراسة وتحليل التربة وقابليتها لإنتاج مختلف أصناف وأنواع النباتات. وقدم المذكور تقريراً قيما ضمنه نتائج أبحاثه ودراسته.

أما في مجال التحريج وإنشاء الغابات، فقد استعان الشيخ زايد -رحمه الله- وكخطوة مبكرة، بشركة فرنسية هي "شركة الاستشارات الزراعية الفرنسية (سوجريا)، وهي من كبريات الشركات العالمية ذات الخبرة في شؤون التحريج وزراعة الغابات، وكلفها بتشجير وإنشاء غابات من الأشجار التي تستطيع العيش في المناطق الصحراوية على طول وجانبي طريق أبوظبي-العين وفي مناطق طريف، وجبل الظنة وذلك بهدف وقف زحف الرمال على المناطق المعمورة وتوفير الظل والمراعي. وقد باشرت الشركة المذكورة عملها في عام 1969 وحققت نجاحاً أصبح يلاحظه المسافرون بين هاتين المدينتين. وقامت الشركة بزراعة مجموعة من الغابات على جانبي طريق أبوظبي-العين بمساحة إجمالية تقريبية قدرها 6 آلاف دونم والتي آلت العناية بها وصيانتها والمحافظة عليها إلى دائرة الزراعة بعد انتهاء عملها وعقد الشركة المذكورة.

ويمكن أن نوضح للقارئ هنا أن الخبراء والاستشاريين الذين قدموا للإمارة في ذلك الوقت فوجئوا بقسوة المناخ والذي على إثره كانت معظم توصياتهم زراعة أشجار يمكن أن تتحمل مثل تلك الظروف، أو عدم التفكير في الزراعة لعدم جدواها. وهنا أيضاً نلمس النضج الإداري الواضح من الإمارة في توجيه الدعوة لعلماء مختصين في النباتات والأشجار التي تتحمل الظروف البيئية الصعبة. وفي حديث لتلفزيون القاهرة في 25 يونيو 1976 قال الشيخ زايد -رحمه الله- في هذا الصدد: كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة، ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، فقلنا لهم دعونا نجرب، ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء، مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار، ونحن اليوم نباشر بتشجير المراعي وزراعتها للحيوانات، وأصبح لدينا الآن ما يزيد على مساحة 32 ألف هكتار مزروعة".

زايد يقيم المعارض الزراعية ويشجع المواطنين المشاركة فيها

البداية كانت في مدينة العين، فعندما كان الشيخ زايد ممثلا للحاكم في المنطقة الشرقية كان يشجع المزارعين ويأمرهم بعرض منتجاتهم الزراعية عليه، وكان يفرح بذلك أشد الفرحة. يذكر الدكتور ثابت، وهو أول طبيب جاء إلى مدينة العين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، أن أول شيء لاحظه في المدينة هو حب الشيخ زايد للزراعة، وأن من شدة ذلك الحب كان -رحمه الله- يقيم المعارض الزراعية البسيطة في المدينة، فيعرض فيها أصحاب المزارع إنتاجهم من الخضروات والفاكهة، وكان الشيخ زايد يشجع المشاركين في هذه المعارض ويكافئهم، ويقول راوي الحديث أن أول معرض زراعي كان في سنة 1963.

وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية الحكم في الإمارة وشكل مؤسساتها الزراعية شجع على إقامة المعارض الزراعية بشكل قوي ومنتظم بغية تحميس المزارعين على التنافس لإنتاج أفضل المحاصيل. وفي 2 مارس 1969 افتتح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي المعرض الزراعي الأول للزهور والخضروات والذي أقامته بلدية العين، ويعتبر هذا أول معرض من نوعه يقام في إمارة أبوظبي. ولقد وجه الشيخ زايد -رحمه الله- أن يقام المعرض سنوياً، فتوالى تنظيمه سنوياً، وكان الشيخ زايد يحرص أن يفتتحه بنفسه ويشارك فيه المواطنين. وفي 26 فبراير 1970 افتتح الشيخ زايد -رحمه الله- المعرض الزراعي السنوي الثاني الذي أقامته دائرة الزراعة بمدينة العين، واشترك فيه حوالي 52 مزارعاً و3 دوائر و5 شركات ومؤسسات زراعية. وقد لاقى هذا المعرض نجاحاً كبيراً، وعبر الشيخ زايد عن ارتياحه التام لما تم تحقيقه في مجال الزراعة وتحسين مستواها في إمارة أبوظبي الفتية. وبلغ عدد زوار المعرض أكثر من 5 آلاف زائر بالإضافة إلى عدد من الوفود التي كانت تزور الإمارة في تلك الآونة سواء من الإمارات المجاورة أو دولية ومنها وفود منظمة تنظيم المدن العربية، وقد أعجبوا كثيراً بما وصلت إليه إمارة أبوظبي على الرغم من الفترة القصيرة التي انقضت على نهضتها.

وفي 26 مارس 1971، شهد الشيخ زايد حفل افتتاح المعرض الزراعي السنوي الثالث الذي نظمته دائرة الزراعة في مدرسة مالك بن أنس بمدينة العين. وفي 17 مارس 1972 افتتح الشيخ زايد المعرض الزراعي السنوي الرابع الذي نظمته وزارة البلديات والزراعة وذلك أيضاً في مدرسة مالك بن أنس في مدينة العين. واستمر الشيخ زايد يقيم المعارض الزراعية ويفتتحها بنفسه سنين عديدة، وكان -رحمه الله- يبتهج ويسعد كثيراً بإقامة هذه المعارض والتي يعرض فيها المواطنون منتجاتهم ويشجعهم عليها ويفتخر بذلك. وقال -رحمه الله- عقب افتتاحه المعرض الزراعي السنوي الثامن في مدينة العين يوم 25 مارس1977: "إنني مسرور جداً بما شاهدته اليوم في هذا المعرض للمنتجات الزراعية التي تبشر بالخير، حيث أن المنتجات المعروضة في معرض هذا العام زادت أضعافاً مضاعفة عن الأعوام السابقة، وأنا فخور أيضاً بما رأيته اليوم من إقبال المواطنين على الزراعة واهتمامهم بها مما يجعلنا نواصل تشجيع ودعم المزارع بكل الإمكانيات المادية والمعنوية والفنية ليسهل عليه العمل ويزيد من الإنتاج. ونتيجة لمتابعتي الشخصية لكل ما يتعلق بالزراعة وتطويرها وتنميتها، وجدت اليوم أن حجم المنتجات الزراعية للخضروات والمحاصيل الأخرى كالحبوب والنخيل يزيد ضعفين عما كان عليه في العام الماضي. واهتمام المواطن بالزراعة واضح من زيادة الطلبات على المكائن والآلات الزراعية الحديثة التي تقدمها وزارة الزراعة للمزارعين. ونتيجة لاهتمام الحكومة ورعايتها للمزارعين فقد زاد عددهم في الدولة خمسة أضعاف عددهم قبل خمس سنوات، كما أنتجت أنواع جديدة كثيرة ومتعددة كالخضروات والمحاصيل الزراعية وأصبح إنتاجها يبشر بمستقبل زاهر".

وكان الشيخ زايد يهدف من تنظيم تلك المعارض الزراعية أولاً تشجيع المواطنين على الزراعة ورفع معنوياتهم وخلق روح المنافسة بينهم، وذلك لحثهم على الاجتهاد والاهتمام بمزارعهم وإنتاجهم أكثر فأكثر. كما كان يريد أيضاً من المواطنين الآخرين الذين يزورون تلك المعارض أن يتأثروا بتشجيعه لأولئك المزارعين فيحذوا حذوهم. فرحمك الله يا زايد الخير.

ومن الأشياء التي أولاها الشيخ زايد -رحمه الله- اهتمامه وأعطاها قدراً كبيراً من وقته جولاته وزياراته للمزارعين. فكان يزور المزارعين في مزارعهم ويسألهم عن إنتاجهم ويطلب منهم أن يروه إنتاجهم، فكان المواطنون يعرضون إنتاجهم فيفرح كثيراً بما يعرضونه عليه، ويجلس معهم ويأكل معهم ما أنتجت مزارعهم ويشجعهم فكان هذا العمل يؤثر فيهم كثيراً ويجعلهم أكثر ارتباطاً بأرضهم ومزارعهم، ثم يسألهم عن حاجاتهم وحاجات مزارعهم فيأمر بتوفيرها لهم.

الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي الرابع في مدينة العين عام 1972،
يرافقه أخيه الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان.

الشيخ زايد يستمع لشرح أحد المشاركين ويناقشه في
الزراعة، (المعرض الزراعي الرابع، العين 1972).

الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي السابع
العين (1976).

الشيخ زايد يطلع على المنتج الزراعي للمشاركين في المعرض الزراعي الرابع، مدينة العين، 1972.

الشيخ زايد يطلع على إنتاج مزارع المواطنين من المحاصيل الزراعية المختلفة، (1978).

الشيخ زايد يتجول في أحد المعارض الزراعية التي كان يوجه المؤسسات المختصة بإقامتها، ويشجع المواطنين المشاركة فيها، (5 مارس 1977).

زايد يخطط المشاريع الزراعية ويشرف ويتابع بنفسه

إن من أعظم الصفات التي تميز بها الشيخ زايد - رحمه الله - عن غيره من الزعماء أنه كان رجل الميدان، وأن أعظم مشاريع التنمية، سواء كانت زراعية أو بيئية أو في مجالات أخرى كمشاريع الإعمار والتعليم التي قامت على أرض دولة الإمارات، كانت من صنع فكره ويده، فهو الذي خططها، ووقف على مراحل إعدادها، وأشرف على تنفيذها، وإذا كان بعيداً عن موقعها كان يستخبر المسؤولين المكلفين عنها ليتابع أخبارها دون أن ينسى واحداً منها. لم يترك الشيخ زايد الأمور تسير بعيداً عن عينيه ورقابته الميدانية المباشرة، فقد حرص على الذهاب بنفسه إلى الميدان ليشرف ويتابع ويلتقي بالمسؤولين على كافة المستويات ليوجههم توجيه القائد الخبير ببواطن الأمور، الواعي بكل أبعاد الموضوع.

كانت تلك الصفة في شخصية زايد قديمة، فعندما كان ممثلاً للحاكم في العين رأينا في فصل سابق من هذا الكتاب كيف كان الشيخ زايد المخطط الأول لبرامج التنمية، والموجه الأول، والمشرف الأول على تلك الأعمال، بل كان القائد المشارك حيث شارك قومه الأعمال، وتجلى ذلك واضحاً عندما قاد ملحمة تطوير الأفلاج في مدينة العين، فكان ينزل في أعماق تلك الأفلاج ليطمئن إلى دقة العمل، وكان يشارك الناس الحفر وخاصة في حفر (فلج العين). وظلت هذه المنقبة معه طوال حياته حتى في أصعب الظروف وعندما ساءت صحته آخر عمره كان الشيخ زايد يخرج ويحرص على جولاته التفقدية، ويراقب سير العمل في المشاريع القائمة.

ويروي معالي علي بن سالم الكعبي، الذي عمل مع الشيخ زايد في سنواته الأخيرة كمدير مكتب صاحب السمو رئيس الدولة، فيقول: "كانت جولات الشيخ زايد صباحية ومسائية، وكان عند خروجه من القصر يحدد الاتجاه، لقد كان منظماً في كل شيء ويعرف إلى أين يذهب، وكان يستفسر خلال جولاته عن أدق التفاصيل من القائمين على تلك المشاريع، وكان يدخل في أسئلة غاية في التفاصيل حول المشاريع، سواءاً كانت زراعية أو سكنية أو شق الطرق أو تدخل ضمن مشاريع البنية التحتية، وكان يشرف -رحمه الله- بنفسه على إنشاء البيوت الشعبية وكان يقف على التصاميم قبل التنفيذ ويوجه المهندسين في توزيع الغرف وأبعاد كل غرفة ويطلع عليها لدرجة أنه يعرف غرف المساكن كم عددها وقياساتها بتفاصيل تذهلنا أحياناً، وكان يغضب كثيراً لو أحس بغش في عملية البناء، وكانت العصا التي يحملها طولها متر بالتمام والكمال لا تنقص مليمتر واحد ويحتفظ بها دائماً في سيارته وعندما نكون في أحد المشاريع العمرانية أو مشاريع (الدفان) يطلب منا أن نقوم بالتأكد من القياسات باستخدام العصا. وكان سموه عندما يشرع في التجهيز لأحد المشاريع قبل الرسم على الخرائط والتنفيذ كان يطلب منا أن نحدد المكان بوضع علامات مميزة عبارة عن أحجار كبيرة ثم يقف أمام الموقع ليحدد أماكن المساكن والأسواق والمساجد والحدائق، ثم يأتي بعد ذلك دور المهندسين ليضعوا ما خطط له الراحل الكبير على الأوراق ليبدأ بعدها المتابعة للتنفيذ وليتأكد بأن العمل يجري

كما خطط سموه. والذي يأتي بخارطة خاصة فيما يخص الإنشاءات يجب أن يعرف أدق التفاصيل في الخارطة و إلا تورط أمام زايد واعتبر غير متقن لعمله. كان كل هدفه في جولاته اليومية أن يتفقد المشاريع الجبارة التي يهدف من خلالها أن يرى شعبه والمقيمين في هذه الدولة سعداء، سواء المشاريع التخطيطية أو السكنية أو الزراعية أو الترفيهية والمشاريع التنموية بشكل عام".

ويؤكد ذلك معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السابق، السيد سعيد محمد الرقباني، والذي عمل بالقرب من الشيخ زايد في حدود سبع وعشرين سنة، فيقول: "الشيخ زايد كان دائم السؤال والمتابعة عن الزراعة والمشاريع الزراعية في الدولة، وما التقيته قط إلا وسألني عن أحوال الزراعة والمزارعين، وإذا أمر بمشروع زراعي كان دائم السؤال عنه ويريدنا أن نوافيه دائماً بالتقارير عنه، وكان -رحمه الله- ينزل الميدان ليراقب ويتأكد من حسن تنفيذ الأعمال، فكان يعشق الميدان وحريص على المتابعة".

وحدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي، وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، والذي عمل بالقرب منه مدة أربعة عشر عاماً فيقول: "لم يكن الشيخ زايد يغفل عن أي مشروع قد أمر به وحتى في أيام سفره للخارج. فكان يطلب منا موافاته بتقارير مفصلة عنها كل أسبوعين ليرى الفرق في العمل وحجم الإنجاز خلال هذه المدة. فكنا نقوم بتصوير تلك المشاريع من الأرض ومن الجو عن طريق طائرة الهيلوكبتر ثم نقدم له تقريراً مزوداً بالصور". ويضيف بن دري: "ولقد كنت أعجب كثيراً من شدة حرصه -رحمه الله- على الوقت فإذا كنا خارج الدولة وأمرني بالعودة للإمارات لمتابعة المشاريع الزراعية كان يريدني أن أرجع بأسرع وقت ممكن حتى أعود في أقرب وقت ممكن ليعرف المزيد عن تلك المشاريع. وكنت أشعر بعد أن يعطيني التعليمات أنه لا يريد أن يراني في مجلسه، وعندما كنت أعود كان يفرح بي ويقربني من مجلسه ليسمع بشوق لما أحمله له من أخبار. وكان يسأل بدقة متناهية عن تلك المشاريع".

وما يدهشني أكثر في هذا الموضوع ما سمعته من السيد سلطان هلال بن دري القبيسي وأشير إليه هنا ليتأمل في عظمته القارئ الكريم. يقول بن دري: "عندما كان الشيخ زايد في رحلة العلاج بأمريكا في عام 1997 والتي فيها أجرى عملية جراحية كان أول شيء سألني عنه بعدما أفاق من العملية هو المشاريع الزراعية التي كان قد أمر بها. وفيها أمرني أن أتصل بالشيخ طحنون بن محمد آل نهيان والسيد محمد البلوشي وأسألهم عنها. وعجبنا جميعاً من حرص الشيخ زايد على متابعة الأعمال وهو في تلك الظروف والتي كان حينها لا يزال في العناية المركزة".

ويضيف الوكيل المساعد في الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري، والذي عمل بالقرب من الشيخ زايد أكثر من ثلاثين عاماً أنه كان -رحمه الله- يتابع بدقة المشاريع التي قد أمر بها ويسأل عنها

باستمرار، وحتى في آخر عمره عندما بدأت صحته تتدهور". ويقول أيضا في شهادته أن الشيخ زايد كان يسأل عن كل شيء في الزراعة، ويسأل عن الأمطار ومكان سقوطها وكمياتها وفي أي مكان سقطت في الدولة".

كان الشيخ زايد يهدف من تلك الجولات تحقيق عدة أهداف أولها التأكد من سير العمل في تلك المشاريع وأنها قد تجري وتنفذ بصورة دقيقة وكما يريدها، ثانياً، أنه بهذه الصفة يقدم للمسؤولين الآخرين القدوة لكي يشرفوا بأنفسهم على المهام الملقاة عليهم، وفي هذا كان يقول: "إنني أريد أن يراني المسؤولين بأعينهم على رأس العمل، وفي أي وقت بدون التحضير لذلك، حتى يقتدي كل مسؤول بهذا الأسلوب في العمل، وصولاً إلى الكفاءة والاقتدار في كل إنجازات الدولة، وكيف يرتاح ضميري إذا لم ألاحظ وأتابع بنفسي سير العمل في مشاريع التنمية وغيرها، وما إذا كانت تسير بجدية أو بإهمال، ولهذا فإنني أفضل التعب والمشقة مكتفياً بساعات قليلة للراحة، في مقابل أن تتم إنجازات الدولة على الوجه الأكمل والصورة المُثلى". ثالثاً، أنه بهذه الجولات كان يلتقي المواطنين للاستماع إلى مطالبهم والنظر في احتياجات مناطقهم من مشاريع الخدمات. وكان - رحمه الله - يسعد كثيراً بلقاء رعيته ويقول في هذا الشأن: "إن الحاكم يجب أن يلتقي بأبناء شعبه باستمرار، ويجب ألا تكون بينه وبينهم حواجز مهما تكن الظروف".

وعندما طلب منه البعض عدم إجهاد نفسه بهذه الجولات والمتابعات المرهقة لمواقع العمل رد قائلاً: "لقد اقترح علي البعض شخصياً أن أترك متابعة سير العمل للمشاريع إلى المسؤولين المكلفين حتى لا أتحمل المعاناة والمشقة خلال وجودي في هذه المواقع وقت الظهيرة وفي فصل الصيف، وكان ردي عليهم إنني المسؤول الأول عن هذه الدولة فكيف اترك العمل للمسؤولين بدون متابعة مني لما يتم إنجازه خطوة بخطوة وذلك تحاشياً لأي خلل أو قصور. وبالفعل قد لاحظت قصوراً في بعض مواقع العمل والتي كنت أتطلع إليها بكل الأمل في أن يكون الإنجاز على الوجه الأكمل وبكل كفاءة". كما أضاف إلى ذلك وهو يعرف ويحدد مسؤولية الحكم وقلق الحاكم العادل فيقول: "وكيف يرتاح ضميري إذا لم ألاحظ وأتابع سير العمل في مشاريع التنمية وغيرها، وما إذا كانت تسير بجدية أو بإهمال، ولهذا فإنني أفضل التعب والمشقة مكتفياً بساعات قليلة للراحة في مقابل أن تتم إنجازات الدولة على الوجه الأكمل والصورة المثلى".

ولقد استمر الشيخ زايد -رحمه الله- يحرص على جولاته التفقدية حتى في آخر سنوات عمره. وفي هذا الشأن حدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي، وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، عن موقف جميل عايشه هو بنفسه مع الشيخ زايد، يقول فيه: "بعد أن رجع الشيخ زايد من فترة علاجه في أمريكا، باشر جولاته التفقدية في عدة اتجاهات وكان من بينها الذهاب إلى منطقة حزام الغابات، ليتفقد مشاريع الغابات التي أمر بها، وكنت أنا من يقود به السيارة في تلك الجولة. وكنت أتريث بالسياقة خائفاً على صحة الشيخ زايد من حركة السيارة

وهي تمر في الطرقات غير المعبدة في الصحراء. فكان الشيخ زايد يقول لي لماذا تتباطأ؟ ولماذا لا تريد أن تمر من هذا الطريق أو ذاك أتخشى أن تغرز؟ ويواصل -رحمه الله- لا تخشى شيء، إذا غرزت السيارة غيرك سوف يخرجها من الرمل. فعجبت من استمرارية الهمة الكبيرة في نفس ذلك القائد وفي ذلك العمر، وكيف أنه مازال لا يبالي بشيء في سبيل الإشراف على مشاريع التنمية.

وإن من الشيء الجميل والعظيم لتلك الجولات والزيارات التي كان يقوم بها الشيخ زايد لتطوير البلاد أنه ما نزل موضعاً إلا وتركه خيراً مما كان عليه، ولسوف نذكر كثيراً من القصص والمواقف في هذا المعنى في الفصل الحادي عشر (صور أخرى من العبقرية). وهنا أذكر قصة مختصرة رواها السيد خلفان مطر الرميثي رئيس الحرس الأميري السابق الذي قال: "تشرفت بالعمل مع الشيخ زايد سنين عديدة، ورافقته في جولاته الكثيرة، وأحياناً كان يخرج في عز الصيف (أي أشد أشهر الصيف حرارة) ويقف يخطط ويوجه في وسط الصحراء، وكنا نسائل أنفسنا ماذا يصنع الشيخ زايد في هذه الصحراء وفي هذه الأشهر الحارة؟ وبعد فترة كنا نكتشف أن المكان الذي كانت قدماه تقف وتمشي عليه قد تحول إلى بساتين وجنان خضراء يعيش فيها الطير والحيوان، ويستمتع برؤيتها الإنسان".

ويقول السيد محمد سلطان الدرمكي -رحمه الله- وهو أحد الرجال الذين كلفهم الشيخ زايد بمسؤولية دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، في السياق نفسه: "إن الشيخ زايد كان يشرف بنفسه على زراعة الشجر وكان يتابعها شجرة شجرة وكنا نشاهده يخرج تحت الشمس ويتحمل مشقة الحرارة والغبار ليشرف بنفسه على عملية التشجير مما أوجد لنا حافزاً وعزماً قوياً للسير على خطاه".

وهذه الصفة التي كانت بارزة في شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- هي صفة القياديين الصالحين، صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته العظام مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهنا حديث نبوي عظيم عن هذا المعنى: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ولا أريد الإطالة في الحديث عن هذه الخصلة التي بدأ بها الشيخ زايد مشواره التنموي على أرض الإمارات واستمرت معه طيلة حياته، وأني لأدعو القارئ للتأمل في هذه الصور وإنها لأبلغ أحياناً مما تخطه الأقلام. فلنتأمل فيها قليلاً لمعرفة أي رجل كان الشيخ زايد، وأي قائد هذا الذي يقف تحت الشمس، يراقب ويشرف ويوجه.

الشيخ زايد يشرف على تخطيط مشروع زراعي جديد، عام 1979.

كانت حياته مشواراً طويلاً من العمل الدؤوب المتواصل، وحلم تحويل الصحراء إلى واحات خضراء..أمر شَغَله طوال حياته، (1979).

الشيخ زايد في الحقل يشارك المواطنين تناول ثمار الفاكهة (الجح والتمر)
وقت استراحته أثناء عمل مشروع زراعي جديد، (1979).

رؤية زايد

لا يمكن لقائد حقق إنجازات عظيمة، وفي ميادين مختلفة نال عليها إعجاب أمته والعالم أجمع، فحصد بذلك الجوائز وشهادات التكريم، إلا كانت له رؤية واضحة، رسمها في ذهنه، وكانت له سياسة منبثقة من تلك الرؤية سار عليها بثبات وإصرار حتى حقق على أرضه ما كان يصبو إليه. والقادة المبدعين وأصحاب الإنجازات العظيمة نادراً ما يفكرون بالطريقة التي يفكر بها الناس العاديون، ولذا فهم يسبقون من حولهم في رؤاهم وأحلامهم. وفي هذا الفصل سوف نناقش رؤية الشيخ زايد من وراء التوسع في الزراعة وأعمال التشجير الضخمة التي غزا بها - رحمه الله - صحاري الإمارات.

فالشيخ زايد رجل من رجالات التاريخ العظام، وهو قائد غير تقليدي، وله رؤية وفلسفة في الحياة، وقبل ذلك كانت له أحلام وآمال لشعبه وأرضه وبطريقة مختلفة تماماً عمن عاصروه. نعم فقد بدأ الشيخ زايد مشواره السياسي بأحلام وآمال كبيرة، وفي سن مبكرة عندما تولى مسؤولية الشعب والأرض في مدينة العين والمنطقة الشرقية. بدأت أحلامه وآماله تجاه أرضه وشعبه تكبر يوماً بعد يوم، يصحبها في المستوى نفسه سمة الشخصية القيادية المتنامية، والتي كانت عاملاً من العوامل الأساسية التي أسهمت في تحقيق تلك الأحلام والآمال.

ففي العين حلم الشيخ زايد وتطلع أن يحقق لشعبه العيش الكريم والبيئة النظيفة، وأن

يشق الطرق ويحفها بالأشجار والأزهار، وأن يقتحم الصحراء فيزرعها ليوقف زحفها وتناميها. وهنا استشهد بكلمات قالها في ذلك الوقت المبكر عندما كان يمارس مهامه كممثل للحاكم في المنطقة الشرقية، قال لأحد أصحابه: "سترى هذه الصحراء من هنا إلى أبوظبي متصلة البنيان، متراصة الأشجار، وستكون مدينة واحدة". وفي العين كان للشيخ زايد أحلام وآمال كثيرة، ولقد ذكرت في موضع متقدم من هذا الكتاب ولا أريد تكرارها، إلا أنني أود أن أؤكد أنها كانت كثيرة وكبيرة في الوقت نفسه.

وبعدما تولى الشيخ زايد مسؤولية الإمارة كاملة كحاكم لأبوظبي، ثم مسؤولية دولة الإمارات العربية المتحدة كرئيس لها، أصبح للشيخ زايد رؤية وسياسة واضحة منبثقة من أحلامه وآماله الأولى التي تشكلت في تجربة العين. وهي واضحة في مختلف جوانب التنمية، وُضعت لها سياسات وخطط، وابتدأت رؤيته تكبر وتصبح ذات معالم واضحة لا يختلف عليها أحد، وعُرِفَ بها زايد، وهنا سوف نناقش تلك الرؤية ونحاول الاقتراب منها أكثر للتعرف على معالمها وأبعادها.

لقد برزت رؤية الشيخ زايد في التنمية الزراعية والبيئية فور توليه حكم إمارة أبوظبي، وهنا سوف نسترجع سريعاً بعضاً من أعماله وخطاه في تلك الفترة، لنقترب من رؤيته أكثر. لقد بادر الشيخ زايد في بداية حكمه للإمارة إلى توفير الدوائر الزراعية المختصة التي تعنى بأنشطة الزراعة المختلفة، مثل دائرة الزراعة التي أمر بتأسيسها في عام 1966. وكانت رغبة الشيخ زايد من تلك الدائرة واضحة وهي وضع وإرساء قواعد المتطلبات الضرورية للتنمية الزراعية. بعدها رأينا أنه أقام المحطات البحثية والتجريبية، كمحطة الأبحاث والتجارب الزراعية في العين عام 1968، وذلك لإجراء التجارب والأبحاث الزراعية العلمية على محاصيل الخضار والفاكهة الملائمة للبيئة، وإنتاج أشتال تلك المحاصيل، إضافة إلى أشتال أشجار الزينة والغابات. ثم سعى بعد ذلك لاستصلاح الأراضي وإقامة المزارع النموذجية وتجهيزها بما تحتاج من متطلبات زراعية ثم أمر بتوزيعها على المواطنين وبدون مقابل. بعد ذلك فتح أبواب أبوظبي لاستقدام الخبراء والمختصين للاستفادة من تجاربهم الزراعية. ثم أمر بإقامة المعارض الزراعية السنوية وحرص على أن يفتتحها بنفسه ويشجع المواطنين على المشاركة فيها ويكافئهم، وكان الثاني من مارس سنة 1969 موعد أول معرض زراعي يقام على الإمارة ويفتتحه الشيخ زايد ويأمر بإقامته سنوياً. ثم أمر بإنشاء الحدائق والاستراحات على الطرق الخارجية والتي

تربط مدن الإمارة ببعضها ببعض، وكان الثالث من أغسطس 1969 يوماً من أيام زايد في المسيرة الخضراء فيه حضر احتفالاً بتدشين الحديقة الواقعة على الطريق الرئيسي بين مدينة العين ومدينة أبوظبي - حديقة رماح - وهي الحديقة التي أنجزتها شركة بولينغ بمناسبة إنهاء الطريق المذكور، تلاها إنشاء حديقة واستراحة في منطقة أبو سمرة، بالإضافة إلى تبني تحريج مناطق أخرى في منطقة العين.

الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة، عام 1979.

ثم سعى مبكراً لإقامة الغابات والتشجير على أرض الإمارة، وكان أول المشاريع الكبرى التي بدأ بها الشيخ زايد -رحمه الله- عملية التشجير في عام 1969، فقد كلف وكخطوة مبكرة شركة فرنسية تدعى شركة الاستشارات الزراعية الفرنسية (سوجريا) إنشاء غابات من الأشجار التي لها قدرة على تحمل الظروف الصحراوية على طول وجانبي طريق أبوظبي-العين وفي مناطق طريف، وجبل الظنة وذلك لتحسين الطقس، ووقف زحف الرمال على المناطق المعمورة، وتوفير الظل وتحسين المراعي.

ثم بدأ مبكراً يحمي الحياة البرية وما تحويه من حيوانات ونباتات بيئية عندما رأى أنه لا يوجد الوعي الكافي والعناية المفروضة لصون الحياة البرية وكائناتها، لهذا أصدر أمره بتأسيس حديقة الحيوان بالعين في عام 1969 لحماية الحيوانات البرية من الانقراض، وتوالى بعد ذلك سن القوانين والتشريعات الداعمة للبيئة والكفيلة بحماية الحياة الفطرية.

وكل تلك الأعمال قام بها الشيخ زايد على أرض أبوظبي فور توليه منصب حاكم الإمارة لتدل على أن هذا القائد قادم ولديه رؤية زراعية وبيئية واضحة، وأنه يمضي على خطى هو وحده يعرفها بينما يجهلها الكثير ممن حوله في ذلك الوقت.

وفي تصريحه لمندوب الإذاعة والتلفزيون في الرابع من مارس 1973، بمناسبة زيارته لمنطقة الذيد بهدف تفقد المشاريع الزراعية، دليل آخر على وضوح رؤيته في الزراعة، نستشف منها أن من أهدافه المبكرة أيضاً توفير المياه التي يحتاجها المزارعون، وتوفير ما يحتاجونه من مواد زراعية لتذليل الصعاب التي تحد من تطور الزراعة، حيث قال: "إن هدف الزيارة هو تفقد المنشآت والمشاريع الزراعية التي تم تنفيذها، ومتابعة المشاريع القائمة والتي تعود بالنفع على المواطنين، وكذلك دراسة حاجيات المزارعين هناك، وتذليل العقبات التي تعترض تطور الزراعة

في منطقة الذيد، وتوفير المياه التي يحتاجها المزارعون من المناطق القريبة". كما أطلق الشيخ زايد نية أخرى يرمي إليها وهي التوسع في الرقعة الزراعية ومضاعفتها في أقرب وقت قائلاً: "إن في منطقة الذيد جميع أنواع الخضروات والفواكه، ونريد أن نوسع رقعة المساحة المزروعة حالياً ونضاعفها في أقرب وقت إن شاء الله".

ولتحقيق تلك الرؤية فقد ذهب الشيخ زايد إلى أن سياسة الحكومة يجب أن تكون: أولاً، زيادة مساحة الرقعة الزراعية بصورة مضطردة وذلك لرفع إنتاجية الأرض أفقياً. ثانياً: رفع إنتاجية الأرض رأسياً بتوفير الآلات والأسمدة، واستخدام الوسائل العلمية لزيادة المحاصيل ووقاية المزروعات من الآفات، والتوسع في الإرشاد الزراعي.

ومن رؤيته أيضاً أن التركيز على المشاريع الزراعية إنما يهدف إلى تنويع مصادر الدخل القومي، والحد من الاعتماد الاقتصادي على النفط، وهذا ما أكده الشيخ زايد في حديثه للوفد الإعلامي الجزائري بتاريخ 12 أبريل 1975 حول مسألة تطوير مصادر الدخل في البلاد فقال: "إن دولة الإمارات تحرص على تطوير الزراعة إلى جانب مصادر الدخل الأخرى غير البترول، وهناك دراسات مستفيضة لتنويع مصادر الدخل". كما أكد ذلك الهدف في حديث آخر أدلى به للصحفي الهندي كارنجيا بتاريخ 14 أبريل 1987 حيث قال: "بالفعل إن تخطيط الدولة يركز على ضرورة تنويع القاعدة الاقتصادية، عن طريق تطوير الصناعة والزراعة، لكي يصبحا مورداً إضافياً للدخل مع البترول ومورداً بديلاً إذا نضب البترول".

ويمكننا أيضاً أن نقترب أكثر لمعرفة رؤية الشيخ زايد وحلمه الكبير في الزراعة والبيئة وذلك بالتأمل في قصة الخبراء الذين استقدمهم في السبعينيات للاستعانة بهم في تحقيق تطلعاته وأفكاره. فماذا كان الشيخ زايد يريد من هؤلاء الخبراء؟.

عرض عليهم نيته ورغبته، بل رؤيته التي صنعها في فكره وأراد اليوم أن يظهرها لأهل الخبرة والاختصاص، لا ليصرفوه عنها وعما هو مقدم عليه، بل ليساعدوه في إظهارها وتطبيقها على أرضه. فماذا كانت تلك الرؤية؟ كانت تتلخص في أنه يريد زراعة وتخضير ما يمكن من أرض بلاده، وكان يعتزم إنشاء المزارع الكثيرة في جوف الصحراء وتوزيعها على المواطنين لإنتاج مختلف المحاصيل الزراعية، وكان يريد أن يتوسع في زراعة أشجار النخيل،وأن ينشيء الحدائق والمتنزهات التي يغطيها العشب الأخضر. وكان يريد أن يتوسع في زراعة أشجار النخيل، وأن ينشيء الحدائق والمتنزهات التي يغطيها العشب الأخضر. كان يريد أن يقتحم الصحراء ويوقف زحف كثبانها الرملية، وينشر فيها مشاريع الغابات والمحميات الطبيعية ويطلق فيها الحيوانات البرية، فيعيد الحياة البرية المفقودة لما كانت عليه في تاريخها القديم.

الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة في منطقة الذيد عام 1974.

تلك كانت رؤية القائد، وتلك كانت نظرته في السبعينيات من القرن الماضي. وعندما أجابوه بأن ذلك مستحيل، لأنه ضرب من الخيال، وأخذوا يرددون أن بيئة الإمارات لا تصلح لمثل تلك الأحلام، لم يعبأ زايد برأيهم قيد أنملة. وقال كلمة بسيطة جداً وإن كان خلفها فكر عميق جداً "دعونا نجرب"، ولقد حدثنا زايد عن ذلك الموقف فيما بعد فقال: "كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة، ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، فقلنا لهم: دعونا نجرب، ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء، مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار". لقد وضحت الرؤية عند الشيخ زايد ونضجت جوانبها، وإنه قرر ومنذ ذلك الحين أن يرسمها على صحراء الإمارات وبكل ثقة وإصرار. ولقد ذكر الشيخ زايد فيما بعد تلك التجربة وذلك الإيمان والعزيمة التي وجدها في نفسه نحو تحقيق هدفه، فقال في حديث له للوفد المغربي الذي زار البلاد في فبراير 1999 واستقبلهم في قصر حزام الغابات: "كان لدي إيمان بالله العظيم، ورغبة في التغيير، وعزيمة وإصرار على تحدي الصعاب، وسرنا على طريق الصلاح وأداء الواجب تجاه الوطن والمواطن، ووفقنا الله وأصبحنا قادرين على أن نغير الصحراء إلى جنان خضراء، وأن نغير حياة الإنسان ونوفر له الحياة الكريمة والرفاهية".

لقد تميزت رؤية الشيخ زايد الخضراء بأمرين إيجابيين. أولهما أنها كانت رؤية واضحة ومنذ البداية، وهذا ما تجلى في أعماله وخطواته التي خطاها فور توليه القيادة والمسؤولية، ورأينا ذلك واضحاً عندما تناولنا في فصل سابق كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء. ولسوف نلمس إشارات الرؤية الواضحة أيضاً في سياق هذا الفصل. ولا شك أن وضوح الرؤية لأي قائد سمة من سمات العبقرية، ولقد بدأ الشيخ زايد مشاريعه وبرامجه التنموية برؤى واضحة. وهو إذ يقول قولته الشهيرة "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة" فقد طرح فكراً وثقافة لم يتعلمها في جامعات الغرب المتقدمة، ولم يطرحها قبله أحد على تلك الأرض، ولكنها الحكمة والفطنة وبعد النظر التي اتسم بها.

والأمر الثاني، الذي تميزت به رؤية الشيخ زايد، أنها كانت رؤية موفقة وسديدة، بدليل نجاح ما انطوت عليه من أفكار وتمنيات، لمسها شعبه وكان يفتخر بها، كما أنه قطف خيرها. والدليل الآخر شهادة المراقبين الدوليين والمؤسسات الزراعية والبيئية العالمية المختلفة على نجاح تجربة الشيخ زايد في هذين المجالين، وهو ما عكسه التقدير العالمي الكبير منقطع النظير الذي نالته دولة الإمارات ورئيسها الشيخ زايد تُمثل في منحه أكثر من 18 جائزة ووساماً عالمياً في ذلك المجال وحده، تعبيراً عن التقدير الكبير لجهوده الكبيرة في التنمية الزراعية ومكافحة التصحر، والاهتمام بالبيئة على مستوى دولة الإمارات، وعلى مساهمته الدولية في ذلك المجال.

وبفضل الرؤية الحكيمة والواضحة للشيخ زايد فقد سبقت دولة الإمارات العربية المتحدة أقرانها من الدول في مجال الزراعة، وبرامج البيئة المختلفة، ومكافحة التصحر، بالرغم من أن كثيراً من تلك الدول قد نعمت بعائدات ثروة البترول قبل الإمارات بسنين طويلة، وأن كثيراً منها كان ذي إمكانيات أكبر وطبيعة وظروف بيئية أفضل.

تطوير ثروة النخيل

لقد رأينا عند مناقشة عبقرية الشيخ زايد في العين كيف اهتم -رحمه الله- بواحاتها ونخيلها. وبعد أن تولى حكم إمارة أبوظبي بدأ يكثف اهتمامه بتلك الشجرة المباركة، فأخذ يأمر بجلب أشجار النخيل وأصنافها المختلفة من مناطق الدولة المختلفة ويزرعها في أراضي واسعة لإكثارها، ولم يكتف -رحمه الله- بذلك بل أخذ يستورد أصناف النخيل الممتازة من مختلف الدول الزارعة للنخيل، ويدفع في ذلك أثماناً كبيرة.

وهنا أستشهد بأول مهندس زراعي عمل بالقرب من الشيخ زايد وكان شاهداً على ذلك العهد، وعاش تلك التجربة، وهو المهندس مجدي شعت الذي قال: "في الفترة الممتدة ما بين عام 1966-1970، وبتوجيهات من الشيخ زايد -رحمه الله-، قمنا بجلب كافة صروم النخيل من واحات ومزارع مدينة العين. ومن ثم قمت بجلب

أول شحنة من فسائل النخيل من الإحساء بالمملكة العربية السعودية، وبعدها من البحرين، ثم العراق وتونس والجزائر ومصر والمغرب وأمريكا". ويضيف: "في بداية العام 1968 تم استجلاب 600 شتلة نخيل من أصناف (خلاص، لولو، برحي، رزيز)، وكان ذلك من البحرين، وزرعت في شارع المطار القديم بدءاً من تقاطعه مع شارع الكترا (دوار المجمع الثقافي) وصولا إلى دوار أم النار سابقا (ساس النخيل حالياً)، وكان ذلك أول شارع يزرع بالنخيل في أبوظبي. وفي مايو 1969 وصلت إلى شواطىء أبوظبي (كورنيش دوار الساعة) ثاني شحنة من أشجار النخيل وهي عبارة عن 510 من أشجار النخيل هدية من العراق وقد جاءت من البصرة على متن السفينة وتمت زراعتها في شوارع أبوظبي الفتية".

كان ذلك الاهتمام الذي أولاه الشيخ زايد بالنخيل وفي ذلك الوقت المبكر يشف عن رؤية واضحة أيضاً ومنذ البداية بالاهتمام بثروة النخيل وتطويرها كماً وكيفاً، وتطوير صناعاتها المختلفة، وهذا أيضاً ما أكده الشيخ زايد - رحمه الله- في حديثه مع المسؤولين في وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) في أغسطس 1973، حيث قال: "ينبغي أيضاً الاهتمام بأشجار النخيل هي الأخرى والعناية بها، لأن نخيل التمر هو أهم أشجار الفاكهة في دولة الإمارات العربية المتحدة".

لقد أدرك الشيخ زايد مبكراً أهمية نخلة التمر ومستقبلها للمنطقة، وهو إذ جعلها في مقدمة مشاريعه الزراعية فقد أدرك ومنذ ذلك الوقت أنها الاستثمار الزراعي الأمثل لدولة الإمارات كونها شجرة من البيئة، وتتحمل الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة السائدة في الدولة.

واليوم تفتخر دولة الإمارات بما وصلت إليه من تطور في زراعات النخيل وصناعاتها بفضل الرؤية الحكيمة للشيخ زايد. ولسوف نرى في الفصل القادم كيف وضعت هذه الثروة دولة الإمارات في مقدمة دول العالم في زراعات النخيل، وكيف أصبحت هذه الثروة وبسبب النظرة الحكيمة للشيخ زايد محط أنظار المهتمين بزراعات النخيل.

اهتمام مبكر من الشيخ زايد بأشجار النخيل ونشر زراعتها، ويدل ذلك على رؤية واضحة ومنذ البداية نحو تطوير هذه الثروة وتنميتها، (1979).

مظاهر التنمية الزراعية

إنجازات زراعية

شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة في عهد مؤسسها وراعي نهضتها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي تولى مسؤوليتها منذ نشئتها في ديسمبر 1971 وحتى نوفمبر 2004، إنجازات خضراء عديدة وعظيمة سعد بها شعب الإمارات، وأصبح يتباهى بها بين الأمم، وأشادت بها شعوب العالم ومؤسساته وهيئاته المختلفة. وأقصد هنا بكلمة "الخضراء" الإنجازات الزراعية والبيئية التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة تحت قيادة الشيخ زايد راعي النهضة الزراعية، ورجل البيئة الأول رحمه الله.

وفي هذا الفصل والذي يليه سوف نستعرض تلك الإنجازات الخضراء استعراضاً مفصلاً لنقف على حجم التغيير الذي حدث على أرض الإمارات وتحويلها من أرض صحراء إلى جنة خضراء. وإنها لإنجازات لم تكن لتتحقق لولا فضل الله على هذه الأرض أولاً ثم وجود عبقرية فذة تقود هذه الأرض تمثلت في شخصية قائدها وراعي نهضتها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، ذلك الرجل الطموح ذي الإرادة العالية والنظرة الثاقبة، عاشق اللون الأخضر، الذي قاد بلاده إلى حضارة لم يكن أحد في السابق يتوقعها أو يمكن أن يتخيلها، فقد رسمها في عقله مبكراً، فوضع لها أساساً ثابتاً، ودعوة أوصلها لآذان أبناء وطنه عندما نادى: "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة". نعم لقد كان لتلك الكلمة الخالدة أساس قديم في فكره، ورسم لها صورة ذهنية واضحة في عقله، ثم أصبحت واقعاً في أرضه.

لقد باتت تلك الكلمة نبراساً تهتدي به كل المؤسسات ذات العلاقة، والتي تسهم جميعها في جعل الإمارات واحة زراعية انطلاقاً من المفهوم العالمي للتنمية الشاملة والمستدامة التي لا تخل بالتوازن البيئي.

الشيخ زايد في إحدى جولاته الزراعية في صيف عام 1979، ويبدو أنه يوصي المواطنين ويشجعهم على الزراعة.

عندما كان الشيخ زايد يردد أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة، فإن ذلك القول يدل على رؤية عميقة واضحة، وإيمان كبير بأهمية الزراعة عند الشعوب وتطورها، فكان يعي تماماً ما يقول، وكان يعرف حق المعرفة أن الحضارات لا تبنى إلا بالإنجازات. قالها لشعبه مبكراً، فساروا جميعاً على نورها، فحقق بذلك زايد الحضارة المنشودة، فكانت دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول ذات التجارب الزراعية والبيئية الرائدة سعى كثير من العلماء والساسة للتعرف عليها والعمل في هديها، فنالت أعظم الجوائز وشهادات التقدير كما نال قائدها العديد من الجوائز والأوسمة العالمية في هذا المجال، وبذلك صدق زايد وعده عندما كان يشجع شعبه ويقول لهم: "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة". وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: "النخل والشجر بركة على أهله، وعلى عقبهم بعدهم، إذا كانوا لله شاكرين".

لقد وصفت تلك الحضارة التي رسمها الشيخ زايد على أرض الإمارات بالمعجزة، وذلك لعدة أسباب أهمها: أولاً، أنها قامت في زمن قصير، ومن لاشيء (أي من الصفر)، فشعب الإمارات في الماضي لم يكن يعرف كلمة غابة ولا يتخيلها، والزائر لتلك المنطقة في الماضي لا يجد في طريقه إلا أشجار الغاف والسمر وسدر قليل. ثانياً، أنها حدثت على أرض صحراوية قاحلة، ذات طبيعة بيئية ومناخية قاسية، تجعل مجرد التفكير في الزراعة أمراً أشبه بالمستحيل، وهذا ما سوف نناقشة في فصل التحديات التي واجهها الشيخ زايد في سبيل تحقيق حلمه في الزراعة.

وهنا أود أن أذكر مقتطفات من التقرير المفصل الذي نشرته مجلة "الأزمنة الحديثة" السوفيتية واسعة الانتشار إذ تقول: "إن التقدم الذي حققته دولة الإمارات العربية المتحدة خلال فترة وجيزة بقيادة صاحب السمو الشيخ زايد يعد أحد ظواهر العصر الحديث ويتصدرها". وتضيف المجلة "إن شعباً يقارب تعداده سكان أحد أحياء موسكو قد استطاع أن يبني ويرسخ خلال ثمانية عشر عاماً حضارة جديدة من نوعها". وأشادت المجلة السوفيتية بروح الحكمة والفراسة البدوية التي تتميز بهما شخصية الشيخ زايد الذي قاد بتلك الروح الخبراء والمعاونين لتحقيق حلمه بتحويل الصحراء إلى جنان. وقالت في سلسلة مقالات نشرتها عن الإنجازات الحضارية التي حققتها الدولة إن الصورة التي تبدو عليها دولة الإمارات اليوم لا يمكن عكسها من خلال هذه المقالات، فالواقع يعكس معالم حضارة رائعة لا يمكن تصورها لدرجة أنه إذا قيل لأحد إن تلك المعالم الحضارية الموغلة في عصريتها قد تحققت منذ عقد ونصف من الزمان لظنوا أن ذلك ضرب من الخيال وسراب لا يمكن دخوله، فكيف إذا علمت أن هذه النهضة قد شُيدت خلال 15 - 18 عاماً فقط؟.

وفي المقارنة بين التطور الزراعي في دولة الإمارات والاتحاد السوفيتي، تقول مجلة "الأزمنة الحديثة" إن المقارنة تأتي لغير صالح الاتحاد السوفيتي، فالأراضي السوفيتية المشهورة في العالم بخصوبتها ضاعت ملايين الهكتارات منها ضحية للإهمال، بينما نشهد ثمار الإرادة القوية والعمل الدؤوب في أرض الإمارات. وتتساءل المجلة كيف تعطي هذه الصحاري كل هذا العطاء، وعندنا تتصحر جنان الماضي فتجف، فمن الأكثر تحضراً الآن نحن أم هم؟".

والمسيرة الخضراء التي قادها الشيخ زايد على أرض الإمارات، وأدت إلى استصلاح 723 ألف و737 هكتاراً من الأرض الجرداء، منها أكثر من 300 ألف هكتار هي مشاريع غابات إنجاز كبير أثار إعجاب المجلة السوفيتية سالفة الذكر والصحيفة البريطانية (التايمز) والعديد العديد من الصحف والمجلات العالمية.

لقد تفانى الشيخ زايد طيلة حياته في سبيل تحسين البيئة في الإمارات العربية المتحدة، ونشر الرقعة الخضراء في مدنها وصحاريها، وهذا نابع من حبه للطبيعة وإعمار الأرض، ومن مرجعيته الإسلامية التي تحثه على ذلك، إذ يدعونا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الاهتمام بالزراعة وغرس الأشجار حتى آخر لحظة في عمرنا إذ يقول: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها". ويقول صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرسُ غرساً، أو يزرعُ زرعاً، فيأكُلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة إلا كان له به صدقة". وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟" فقالت بل مسلم. فقال: "لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة". ولا شك أن هذه الخلفية الحضارية والمرجعية الفكرية الإسلامية تمثل رافداً هاماً من روافد اهتمام الشيخ زايد بالزراعة والبيئة.

وفي هذا الفصل سوف نناقش أهم مظاهر التنمية الزراعية التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في عهد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والتي امتدت قرابة ثلاثة عقود. وفيه سوف نشير إلى تطور أعداد المزارع والمساحات المزروعة، وتطور حجم الإنتاج الزراعي، وتطور أعداد النخيل وإنتاج التمور،

وتطور الصناعات الزراعية، ثم تطور الثروة الحيوانية والسمكية، وأخيراً مؤشرات الاكتفاء الذاتي في دولة الإمارات العربية المتحدة. أما في الفصل التالي فسوف نتحدث عن مظاهر التنمية البيئية، وهي إنجازات بيئية عظيمة حققها الشيخ زايد على أرض الإمارات كان من أهمها تطور مشاريع الغابات والتشجير، وتطور مشاريع المحميات الطبيعية، كما سوف نناقش عبقرية زايد في هذا الجانب ونقف لاستعراض لماذا لقب العالم الشيخ زايد بـ (رجل البيئة الأول)؟.

عبقرية زايد الزراعية في العين
1946 – 1966

العين.. التحدي الأول والمهمة الصعبة

لم تكن المسؤولية التي ألقيت على عاتق الشيخ زايد بن سلطان كممثل للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية بالمهمة السهلة، بل كانت عبئاً أكثر منها ميزة. فلقد ذكرنا في الفصل السابق، إضافة إلى عدم الاستقرار في تلك المنطقة، فقد كان شح الموارد عقبة رئيسية في سبيل أي تنمية، ويمكننا أن نقول إن الشيخ زايد - رحمه الله - قد تسلم العين بدون موارد تذكر.

فعندما تولى زايد مسؤولية العين تأمل واقع الحال في تلك المنطقة والظروف الصعبة التي كانت تسود المدينة ويعاني منها الناس، فوجد أنه مسؤول عن مدينة محدودة الموارد، اقتصادها ضعيف، شعبها يعاني الفقر والعوز وقلة التعليم، القوي يظلم الضعيف، والغني يستغل الفقير، ويكثر السلب والنهب، وتتوالى الصراعات القبلية إما بسبب تدخل الدول المجاورة والتي كان لها أطماع سياسية في المنطقة، أو بسبب التنافس على الموارد. كان الماء في العين شحيحاً، ويباع بأغلى الأثمان، فكان على زايد أن يفكر في كل ذلك وأن يواجه تلك الظروف.

لقد أحس زايد بمعاناة الناس فقرر ومنذ البداية أن يعمل بكل ما أوتي من قوة وإمكانيات لتخفيف تلك المعاناة ومهما يكلف الأمر. لقد أحس وأدرك حاجة الشعب إلى إصلاحات كثيرة ورغبتهم في مثل الحياة الطيبة التي بدأت تظهر حولهم في بلدان الخليج الأخرى، وكان زايد يحلم في تعويضهم عن سنوات الفقر والحرمان.

ولقد واجهته مشكلة قلة الإمكانيات بكل معناها وتمثلت في قلة المال، وشح الموارد، وكان لا يملك إلا القليل القليل من كل شيء، حتى من الماء مصدر الحياة وعمادها. لكن النفوس الكبيرة لا تعرف اليأس مهما صادفت من صعاب وعقبات. وكيف السبيل إلى تحقيق العيش الكريم لأبناء بلده ومواطنيه الذين ينتظرون منه الغيث ويرون فيه الأمل؟ لم يكن الاستسلام أو انتظار العون هو السبيل، شعر بحجم المسؤولية ووعى مبكراً أنه يحمل أمانة عظيمة تجاه ربه وتجاه شعبه، فأخذ على عاتقه مسؤولية البدء في التغيير مهما يكلف ذلك من جهد ومال. بدأ زايد يفكر ويضع الخطط لإصلاح ما يمكن إصلاحه بالمال القليل والجهد الكبير، وضرورة توفير الممكن، فانطلق وبإصرار يدخل إصلاحات هامة

ترضي آمال وطموحات المواطنين هناك، ولسوف نتتبع في هذا الفصل تلك الأعمال والإصلاحات التي بدأ بها زايد مشواره السياسي لتغيير واقع الحال الصعب.

إدراك مبكر لأهمية الزراعة في حياة الشعوب

كان أهالي مدينة العين ومنذ القدم يمتهنون الزراعة ويعتمدون عليها اعتماداً كبيراً كونها تشكل لهم مصدر الدخل الرئيس، ويكاد يكون المصدر الوحيد في تلك المدينة محدودة الموارد أصلاً، كما كانت التمور التي تنتجها واحات النخيل غذاءً رئيساً لأهالي المنطقة في تلك الفترة من التاريخ. ومنذ أن تولى زايد أمور العين أدرك بعبقريته الفذة وببصيرته الثاقبة أهمية الزراعة للمدينة، كما أدرك أن اقتصادها يمكن أن يتحسن بتحسن الزراعة، وهذا بدوره سوف يسهم في رفع جزء من معاناة الشعب وتخفيف وطأة الفقر عليهم. فوضع الشيخ زايد نصب عينيه ومنذ اللحظات الأولى لتوليه المسؤولية أهمية وضع خطة عمل لتطوير الزراعة في المدينة والتوسع فيها رغم معرفته المسبقة بالظروف القائمة على أرض هذه المنطقة، فالماء قليل لا يكفي لري الواحات القائمة، ناهيك عن التوسع بزراعة أراضٍ جديدة، والمال قليل لدى الحاكم والمحكوم، كما يضاف لتلك العقبات أخرى كانت قائمة وهي تجارة الماء التي كان يمارسها الأغنياء من سكان المدينة، فيتوجب التغلب عليها للحد من تحكمهم في مياه الأفلاج.

ولم تكن تلك المشكلات لتعيق طموح الشيخ زايد في تحقيق التنمية الزراعية للمدينة والتي يرى أنها سوف تسهم في رفع مستوى اقتصادها. فوضع زايد خطة واضحة لتحقيق ذلك الهدف تتكون من ثلاثة مهام رئيسة: الأولى، توفير الماء الذي يعد العصب الرئيسي للحياة في تلك المناطق، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بحفر أفلاج جديدة وإصلاح وترميم الأفلاج القديمة. والمهمة الثانية هو إصلاح نظام السقاية حتى يكون هناك نظام زراعي سليم قائم على مبدأ العدالة والمساواة. أما المهمة الثالثة، فهي التوسع في الرقعة الزراعية، ويمكن ذلك عن طريق استصلاح أراضٍ جديدة، وتشجيع الناس على الزراعة وحثهم على إحياء مزارعهم التي أهملوها بسبب ضعف تدفق الماء من الأفلاج وارتفاع سعره.

زايد.. يطور أفلاج العين

كان شُح المياه العذبة إحدى أهم المشكلات التي واجهت سكان أبوظبي قبل اكتشاف النفط، لذا نجد تركزاً للسكان في الواحات التي تتميز بوجود المياه الصالحة للشرب والزراعة مثل محاضر ليوا وقرى العين. وتعتبر مدينة العين من المدن الخليجية كثيرة الأفلاج كما في سلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية، وهي أكثر مدن الإمارات احتواءً لها، حتى إنها توصف بمدينة الأفلاج. وكما أشرنا سابقاً،

كانت تلك الأفلاج بمثابة شرايين الحياة لدى أهل العين، فلولاها لما كان لواحات العين وقراها السبع أن تقوم في هذه المنطقة الصحراوية، وهذه كانت نعمة وهبها الله لأهالي المنطقة، وصدق الله العظيم الذي قال:)وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

ومن أهم المسائل التي كان الشيخ زايد يوليها اهتمامه الأول في العين وتوابعها لدى توليه مسؤولية ممثل الحاكم مسألة توفير المياه لواحات العين، ولذا فقد حرص على تطوير أفلاج العين منذ اللحظة الأولى لتوليه المسؤولية، إدراكا بأنه لا يمكن أن يتحسن اقتصاد المدينة المعتمد في الدرجة الأولى على واحاتها إلا بتطوير إنتاجيتها من التمور والزراعات الأخرى وزيادة رقعتها الزراعية. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتطوير أفلاجها وزيادة إنتاجيتها من المياه. الأمر الآخر الذي جعل الشيخ زايد يهتم بالأفلاج هو ندرة الماء في المدينة حيث كان يباع بأثمان غالية لا يطيقها الفقراء، وكان الأغنياء يستغلون ذلك الأمر. لذا اهتم الشيخ زايد بحفر آبار المياه العذبة وإصلاح وتشييد الأفلاج خلال فترة حكمه للعين (1946-1966) وكان هذا نابعاً من إدراكه لأهمية المياه بالنسبة للسكان ولتطوير الزراعة في المدينة.

لقد أُهملت أفلاج العين في فترة ماضية، ودُمر عدد منها وذلك نتيجة للحروب والنزاعات القبلية الكثيرة التي وقعت في البريمي والتي تعد العين وواحاتها جزءً من المسمى القديم لتلك المنطقة، فيقول السيد أحمد بن محمود في مذكراته: "دفنت معظم الأفلاج نتيجة للحروب الكثيرة بين القبائل، وبدأت أشجار النخيل تموت بسبب شح المياه". كان السكان المحليون يعتبرون الأفلاج أشياء حية فيشيرون إلى موتها عندما كانت تمتلئ بالطمي ويقف تدفق ماؤها. ومن أسباب إهمال تلك الأفلاج أيضاً، حسب ما قاله الشيخ زايد -رحمه الله- في ذلك الحين: "أن عزيمة الناس قد ثبطت"، وهذا بلا شك يرجع أيضاً إلى فاقة الناس وغياب القائد المحفز، فسرى في جنباتهم اليأس والإحباط من إصلاح الواقع.

وهنا أتوقف قليلاً للتعريف بهذه الأفلاج ومدى صعوبة إنشائها لنعطي للقارئ والأجيال القادمة فكرة عنها وحجم المعاناة في إنشائها. يمكن أن نعرف الفلج بأنه نبع ماء يجري في قناة محفورة تحت سطح الأرض ثم يظهر ذلك النبع على سطح الأرض في نهاية تلك القناة لتروي الواحات. والأفلاج عبارة عن نظام معقد من القنوات المائية حفرها سكان مدينة العين منذ القدم، على أعماق تتراوح بين 90 إلى 95 قدماً من سطح الأرض من خلال آبار رأسية تسمى (ثقوب أو ثقاب) ثم تتصل في العمق عند النبع من خلال حفر قنوات أفقية تسمى (السل) فتتصل هذه الآبار بعضها ببعض تحت سطح الأرض فتبدو مياهها في العمق كنهر صغير يجري عدة كيلومترات. ولآبار الفلج فتحات تسمى (الثقاب) ومفردها (الثقبة) ويفصل كل اثنتين منها بضع مئات من الأمتار، و(الثقبة) هي فتحة البئر، وتحاط بالحصى والصاروج. ويتم إعداد الصاروج بإحضار جذوع

النخيل وعمل طابوق من الطين ثم يوضع الحصى على جذوع النخيل ويرص فوقها الطابوق الطيني، بحيث يترك به أربع فتحات من كل جانب. ومن خلال هذه الأفلاج ابتكر أهالي المنطقة نظاماً فريداً في هندسة الري، وللمزيد من المعلومات عن الأفلاج.

وعندما اتخذ الشيخ زايد قراره لتطوير الأفلاج وضع خطة لاستثمار المياه الجوفية في مدينة العين مبنية على أمرين، الأول إصلاح الأفلاج القديمة وصيانة الأخرى وتزويدها بآبار جديدة. والثاني حفر أفلاج جديدة. وبالفعل بدأ الشيخ زايد أولاً بصيانة الأفلاج القائمة وتنظيفها وإصلاح الأفلاج القديمة المهملة وتزويدها بالآبار الجديدة. وكان يقوم بنفسه بتحديد أماكن تلك الآبار (ثقاب) ويأمر بحفرها ثم توصيلها بالمجرى الرئيسي لتلك الأفلاج الميتة وذلك من أجل زيادة كمية مياهها، فبدأ - رحمه الله - حملة عمل منظمة لجعل الماء ينساب بغزارة في تلك الأفلاج المهملة.

ومن أعظم أعمال الأفلاج التي قام بها الشيخ زايد حفر فلج الصاروج ويعرف كذلك (بفلج العين أو العيني)، ويعد أكبر وأغزر أفلاج العين، والذي بني في ظروف صعبة كفيلة بأن تثني ذوي الهمم العالية عن مواصلة العمل، إذ تطلب حفره مالاً وجهداً كبيرين وسنوات من العمل كثيرة. بدأ العمل بحفر هذا الفلج العظيم عام 1948، أي بعد سنتين من تولي الشيخ زايد مسؤولية ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية، واستغرق حفره ثمانية عشر عاماً وبلغ طوله نحو 1500 متر.

وبسبب اهتمامه الكبير بإعادة العمل بتلك الأفلاج، أحضر الشيخ زايد بعض البدو من قبيلة العوامر من سلطنة عُمان، وكانوا متخصصين في حفر الأفلاج، واتفق معهم على حفر فلج الصاروج، وكان يشرف عليهم بنفسه، كما يقول السيد أحمد بن محمود الذي رافقه في تلك الفترة وكان سكرتيره الخاص. ويتابع بن محمود قائلاً: "كان يأمرني أنا والمرحوم محمد بن شيبان المهيري أن نقيس طول الحفر، لأنه متفق مع العوامر أن يدفع لهم على الباع (الباع: متر ونصف تقريباً). وكان زايد ينزل بنفسه في البئر ليرى مدى صلاحيتها رغم خطورة النزول إليها.

ولقد شارك الشيخ زايد -رحمه الله- أهالي العين في حفر الأفلاج، وخاصة فلج الصاروج، فلم يجلس زايد حينها في بيته أو في خيمة ظليلة يتابع منها أعمال الحفر من بعيد، بل كان يعمل مع الرجال يدًا بيد، وكان يسدي بأفكاره وتعليماته ليرشد القوم إلى المسار الصحيح للفلج. ويقول السيد أحمد بن محمود في هذا الشأن: "كان الشيخ زايد يشارك الناس في تجديد وحفر الأفلاج في العين، كان ينزل معنا إلى الفلج إما للحفر وإما للمتابعة والمعاينة".

(ب)

(أ)

(د)

(ج)

نظام معقد من القنوات المائية تجري تحت سطح الأرض حفرها أهالي المنطقة منذ القدم لري واحاتهم.
أ. عاملان يقومان بتنظيف الفلج تحت سطح الأرض، ب. صورة للفلج من الداخل،
ج. عامل يقوم يسحب الحجارة من فتحة الثقبة، د. فلج العيني يسقي واحة نخيل العين.

ولقد تحدث الشيخ زايد عن تجربته تلك باعتزاز والتي شارك فيها المواطنون وعن مشروع فلج العين وحفر الآبار الأخرى لتطوير إنتاجه من المياه قائلاً: "كانت مجالاً أظهر قيم التعاون والشهامة والعمل الكريم الذي يتمتع به أبناء الإمارات من العين". ويقول السيد محمد بن هلال الكويتي أحد المشاركين في ذلك العمل التاريخي: "عندما قاد زايد بنفسه عملية توسيع وحفر آبار الفلج العيني، كان لي شرف المشاركة مع غيري وراء الشيخ زايد -رحمه الله- بهذا العمل التاريخي لتوسيع هذا الفلج وزيادة كمية مياهه، لأن مياه هذا الفلج كانت في ذلك الوقت ضعيفة، ولم تكن تكفي لتحقيق طموحه الكبير في زيادة مساحات النخيل والرقعة الزراعية

على حساب الصحراء الشاسعة. ولقد كانت مشاركة الناس في العين مع زايد في هذا العمل تجربة اجتماعية وتاريخية رائعة لا ينساها المواطنون أبدا، والحمد لله بعد كل ما أنجز من عمل أصبح الفلج يغطي حاجة النخيل ويفيض".

وعن تجربة مشاركة الشيخ زايد قومه في أعمال حفر الأفلاج يروي السيد سلطان بن أحمد الكويتي، وهو أحد المسؤولين في لجنة الأفلاج في بلدية العين، فيقول: "وكان لزايد الفضل في إعادة تنظيف وصيانة أفلاج العين، وقد قام بنفسه في إحدى السنوات بالنزول إلى إحداها خلال عملية الصيانة، ليكون قدوة لأبناء المنطقة والدولة في الحفاظ على الإرث والموارد وفي التمسك بالعمل الجماعي". وهذا ما أكده أيضاً السيد محمد هلال الكويتي الذي يصف كيف كان الشيخ زايد مهتماً وحريصاً على أن يشرف بنفسه على أعمال حفر الأفلاج فيقول ذاكراً قصة تجربة خاضها بنفسه: "كان المفروض أن نحفر الفلج من تربين أي ممرين، نبدأ بالأول وننتهي بالآخر، ولكن وسط المسافة تهدم الترب الأول وخرجنا من الثاني بعناية الله وحفظه، وأذكر في تلك الأيام حضور الشيخ زايد -رحمه الله- عمليات حفر الفلج، وكان يزورنا دائماً ويشرف على الأعمال بنفسه، ويقدم لنا أطيب المأكولات والمشروبات، ويشد على أيدينا بالتشجيع والمثابرة، وعندما ننتهي من فلج نتوجه إلى فلج آخر".

ويذكر أحد الذين عاصروا ذلك التاريخ وشارك في تلك التجربة: "أن زايد هو الذي سهر وهو الذي تعب.. ومنذ زمن خليفة بن زايد الأول لم يطور الأفلاج سوى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان". ويذكرون أن الشيخ زايد -رحمه الله- هو الذي كان بنفسه يحدد أماكن حفر الآبار، وكانوا يقولون: "وفي كل ما أشار وما وجه به صدقت رؤيته".

ويصف السيد حامد النيادي، وهو أحد الذين شاركوا في فترة لاحقة في تقوية فلج العيني عندما خف ماؤه، كيف كان الشيخ زايد هو الموجه والمخطط والخبير لهذا العمل فيقول في روايته: "لقد تم توصيل الآبار الجديدة بالقديمة، واتجهنا إلى الجنوب لمواصلة توصيل الآبار الجديدة مع القديمة، وهذا كله حسب تخطيط وتوجيه الشيخ زايد عندما زار هذه المنطقة قبل 17 سنة وأشار بالحفر هنا قائلاً: إذا حفرتم هنا ستجدون ماء لأنها تحت الجبل". وهكذا نستشف من شهادات أولئك الرجال أن الشيخ زايد كان خبيراً وضليعاً في معرفة أماكن المياه الجوفية، كما أنه كان مهتماً في خدمة هذه الواحات وتوفير كل ما تتطلبه من احتياجات.

وهنا أستشهد بتقارير وشهادات الطرف الآخر، وأقصد المسؤولين البريطانيين، حيث كانوا قريبين من الأحداث الجارية في المنطقة ويتابعونها بدقة ثم يكتبون تقاريرهم لحكومتهم التي كانت تسيطر على المنطقة وترصد الأعمال الجارية فيها. كما أن مذكرات الرحالة الأجانب الذين مروا بالمنطقة وكتبوا عنها تشكل مصدراً آخر هاماً يمكن الاستشهاد والاستدلال به لمعرفة أعمال الشيخ زايد وتاريخ المنطقة في ذلك العصر. ففي تقرير للمقيم البريطاني بتاريخ 31 مارس

1957، أشار إلى أن أحد المسؤولين البريطانيين زار منطقة العين وتفقد جميع أفلاج الواحة وبساتينها، كما أشار التقرير إلى أن زايد بدأ العمل في اثنين من هذه الأفلاج الثلاثة بهدف زيادة تدفق المياه عبر تنظيم الأقنية الموجودة تحت الأرض وتوسيعها.

ويورد جوليان ووكر مساعد المعتمد البريطاني في كتابه "Tyro On The Trucial Coast" تفاصيل زيارته للعين مع العقيد بوستد (Boustead) عام 1954، ومدى اهتمام الشيخ زايد بالمياه والأفلاج، فيقول: "كانت واحة البريمي أحد المراكز الزراعية على الساحل، وبما أن الشيخ زايد كان مهتماً جداً وقلقاً فيما يتعلق بمواردها المائية، كان من الطبيعي جداً أن نأخذ العقيد ليزورها، وكان الشيخ زايد هو من سيستضيفنا خلال هذه الزيارة". أما العقيد بوستد الذي كان يشغل منصب الوكيل السياسي البريطاني في أبوظبي فقد كتب مذكراته لاحقاً في كتابه الشهير (رياح الصباح) ووصف فيه الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ زايد في هذا المجال والتي تدعو للفخر والدهشة قائلاً: "لقد شعرت بالدهشة عندما شاهدت أعمال زايد في العين والمناطق المجاورة لها والتي كانت كلها لمنفعة شعبه. لقد شق زايد الأفلاج لري البساتين وحفر الآبار، وأنشأ أحواضاً من الإسمنت في الأفلاج ليستحم فيها الرجال والنساء".

ويقول رانوب أحد المسؤولين البريطانيين في دار الاعتماد السياسي بأبوظبي، الذي زار العين في شهر نوفمبر 1958 مشيراً لجهود الشيخ زايد في إصلاح الأفلاج: "كان هناك الكثير من الكلام حول جهود الشيخ زايد المستمرة لتحسين أفلاج العين، وقد توجهنا بالسيارة إلى قرب المنبع الذي غَرَزَ فيه زايد في فترة سابقة من هذه السنة أربعة (ثقاب) أي آبار لتحسين مجراه، وهنا التقيت بسلطان العامري ملاحظ عُمال الشيخ زايد، فأرانا ثقابين إضافيين يجري غرزهما في تلك اللحظة.". ويبدي رانوب إعجابه بسخاء وكرم الشيخ زايد الذي شاع في المنطقة فيقول: "كان الشيخ زايد يدفع سبعين روبية عن كل خمسة أقدام يجري حفرها سواء في الثقاب العمودي أو القناة الأفقية تحت سطح الأرض التي تصل بين الثقابات، تمشياً مع كرمه المعهود، ويقدم أيضاً الطعام ووسيلة النقل مجاناً، ويعطي إكراميات إضافية، وعلمت أن الثقابات الأربع التي تم غرزها هذا الصيف وصلت تكلفتها إلى ثلاثين ألف روبية، وكان هذا أحد أسباب زيارة الشيخ زايد إلى أبوظبي للتأكد من أن الحاكم سيدفع المبلغ.".

وتشير الوثائق البريطانية الصادرة بتاريخ 3 ديسمبر 1958 إلى أن الشيخ زايد أمر بحفر آبار جديدة في فلج الصاروج لتغذية الفلج الأم. وقد تم توصيل هذه الآبار عبر قنوات تحت الأرض بالمجرى الرئيس للفلج القديم، وكان من نتائج ذلك أن زاد تدفق الماء بمقدار الثلث عما كان عليه في السابق. وأدت هذه الزيادة في المياه إلى تقلص دورة الري لبساتين العين إلى النصف تقريباً، فبعد أن كانت أشجار النخيل تروى كل ستين يوماً أصبحت تروى كل ستة وثلاثين يوماً.

ومن أجل توفير المياه، قدم الشيخ زايد الكثير من الجهد والمال في سبيل تحقيق ذلك الهدف، فبالإضافة إلى أنه كان يخطط ويشرف ويشارك بنفسه في ذلك المشروع، كان أيضاً يدفع مصاريف وأجور تلك الأعمال من ماله الخاص، فقد جاء في التقارير البريطانية الصادرة بتاريخ 27 مارس 1960 أن الشيخ زايد ومنذ عام 1955 كان يدفع ما يقارب 50 ألف روبية سنوياً من ماله الخاص، من أجل حفر وصيانة الأفلاج، وتذكر التقارير نفسها أن عملية حفر أفلاج جديدة وصيانة الأفلاج القديمة أدت إلى نتائج سارة. فعلى سبيل المثال كانت بساتين المويجعي حتى عام 1955 تروى مرة كل خمسة أسابيع، والثلث من هذه البساتين لم يكن بالإمكان سقايتها لضعف الفلج وقلة تدفق مياهه، الأمر الذي كان يؤدي إلى جفافها ثم موتها. ويضيف هذا التقرير قائلاً: "أما الآن فإن جميع البساتين أصبحت تتلقى من الماء مرتين أو ثلاث مرات أكثر من الكميات التي كانت تتلقاها في السابق، وبينما كان أصحاب المزارع في السابق يدفعون ضريبة (نوب) مقابل الساعات التي كانت تروى فيها مزارعهم، أصبح الماء مجاناً لجميع الناس وهذا السلوك الخير والكريم جزء من سياسة عامة انتهجها الشيخ زايد لتحسين الأوضاع المعيشية لشعبه بدون أي مقابل. ولم يكتف زايد بذلك بل قام بحفر الآبار للبدو القاطنين في المناطق القريبة من مدينة العين".

الشيخ زايد يراقب جريان الماء في أحد أفلاج العين.

ولقد أشاد إدوارد هندرسون، مبعوث شركة نفط العراق الذي زار العين في 27 مارس 1960، بجهود الشيخ زايد في تطوير الزراعة في العين، وقال في التقرير الذي التي كتبه إلى المقيم السياسي البريطاني في أبوظبي السيد لامب: "لقد أنفقت الحكومة البريطانية قرابة 5000 جنيه على تنظيف الأفلاج، ولكن الشيخ زايد أخذ يقوم بأعمال حفر بحثاً عن منابع جديدة إضافة إلى القيام بمزيد من أعمال التنظيف" وتابع هندرسون: "هذا يكلف مبالغ طائلة، وأعتقد أن زايد

ربما كان ينفق زهاء 50 ألف روبية في السنة منذ عام 1955". ويبدو أن ما أنفقه الشيخ زايد مبلغ كبير قياساً لإمكانيته في تلك الفترة، فإنفاق 50 ألف روبية سنوياً يعني أنه عند زيارة هندرسون للعين عام 1960 أنفق 250 ألف روبية لإصلاح الأفلاج وتنمية القطاع الزراعي، وهذه الأموال التي أنفقت أتت بمردود قوي، وبنتائج طيبة على أهالي العين عوضتهم عن سنوات الحرمان والقحط خلال فترة طويلة من الزمن منذ أن كانت العين وبقية واحات البريمي مسرحاً للقتال والسلب والنهب والخطف، ولم يسبق أن شهد أبناء تلك المناطق من يهتم بشؤونهم، وكانت زراعاتهم وأفلاجهم تصلح بجهودهم الذاتية وبمساعدة بعضهم بعضاً. وبعد خمس سنوات من الإصلاحات التي بدأها الشيخ زايد بعد انتهاء نزاع البريمي، بدأت نتائجها تظهر للعيان، ويعبر عن ذلك إدوارد هندرسون في تقريره لعام 1960 فيقول: "كانت نتيجة العمل الذي نفذ منذ عام 1955 مجزية جداً، فعلى سبيل المثال لم يكن بالإمكان ري جزء من مزارع المويجعي إلا مرة كل خمسة أسابيع، ولم يكن ممكناً أبداً ري ما يزيد على ثلثها في أكتوبر 1955، لذلك كانت الأشجار تموت، أما الآن فيمكن ري مزارع المويجعي كلها كل ثلاثة أسابيع تقريباً، وتحصل الآن المزارع الأخرى من قرى أبوظبي من الواحة على ضعفين أو ثلاثة أضعاف مما كانت تحصل عليه سابقاً من الماء، وربما تحصل قرية العين، وهي الكبرى، على أضعاف عديدة مما كانت تحصل عليه من إمدادات المياه عندما يتم وصل المنابع الجديدة بواسطة القنوات التي يتم شقها الآن تحت سطح الأرض".

الشيخ زايد والعقيد بوستد يراقبان جريان الماء في فلج الصاروج،
وفي أعلى الصورة يبدو الشيخ سالم بن حم العامري.

وهكذا قد نجح زايد في تحقيق هدفه الأول فانهمرت المياه غزيرة من فلج الصاروج وغيره من الأفلاج لتملأ قنوات الري وتصل إلى أقصى الواحات، ومن هنا بدأت الخضرة والحياة تدب مؤذنة ببداية عهد جديد مع الخصب والنماء. وبعد تلك الأعمال أصبح الفلج يغطي حاجة النخيل ويفيض، إذ كانت الدورة تدور كل 35 يوماً والآن كل 12 يوماً فقط، ويعني ذلك مياه أكثر تروي مساحات زراعية أكبر من الواحات، وبالتالي إنتاجية أفضل وأكبر.

زايد يمنع تجارة المياه ويصلح نظام الري

أشرنا سابقاً إلى أن من بين المعاناة أو المشاكل الزراعية التي كان يعاني منها سكان مدينة العين وتعوقهم عن التوسع الزراعي في تلك الحقبة هو قلة المياه لري أراضيهم الزراعية، وما زاد المشكلة سوءً مسألة توزيع المياه المجحف على المزارعين أو (نظام السقاية) المتبع في واحات المدينة، حيث كان يتم توزيع مياه الأفلاج على المزارع على فترات زمنية، بما يعني أن لكل مالك مزرعة في الواحة فترة يسمح له فيها بري مزرعته من مياه الفلج مقابل دفع الثمن، فكانت حصص الماء في ذلك الوقت يمكن شراؤها أو بيعها أو رهنها، فساد بذلك النظام ظاهرة (تجارة الماء)، وكان الأغنياء هم المستفيدين من هذا النظام وعلى حساب الفقراء، وبالتالي أدى النظام إلى ازدياد الأغنياء ثراءً والفقراء فقراً. لقد كانت تلك الأفلاج حكراً لنفر قليل يدّعون ملكيتها، بالإضافة إلى احتكار بيع الماء لمن يدفع، وغالبية الناس لا تحصل على ما يكفيها إلا بقدر ما يتوفر لديها من مال، فالأغنياء ممن يمتلكون مساحات واسعة من مزارع النخيل كانت مزارعهم تروى بوفرة، والذين يمتلكون مساحات صغيرة كانوا يعانون من نقص المياه للري، وهؤلاء كانوا يضطرون لشراء ساعات ري من الأغنياء، أو يتبعون نظام المشاع في ري نخيلهم. والمشاع عبارة عن تخصيص جزء من الماء للبيع، ويستثمر العائد منه في صيانة وترميم الأفلاج في حالة تعرضها للانهيار. كان الفقراء يبحثون عن حلٍ لهذا الظلم، ولكنهم لم يجدوا أحداً يناصرهم طيلة عهد طويل، فظل هذا الوضع سائداً دون أن يجرؤ أحد على تغييره. وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية الحكم رأى أن النظام المتبع غير عادل، ويتحكم به الأغنياء على حساب الفقراء المحتاجين، وأن هذا الوضع لا يتماشى مع مبدأ العدل والمساواة الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله، فكان هذا الأمر يؤرقه ويزعجه، لأن تلك الأمور تأباها نفس زايد الذي أحب الناس وأحب فقيرهم قبل غنيهم، وأحس بآلامهم ومعاناتهم، وشعر بما يشعر به هؤلاء الفقراء أمام نظام السقاية المجحف، فكانت كل تلك الأمور تحثه على إيجاد حل حازم وفوري لتلك القضية. عندها أعلن الشيخ زايد قراره الشجاع والحاسم الذي لا رجعة فيه، وهو إلغاء تجارة الماء، وقال قولته الشجاعة والحاسمة: "إن مياه الأفلاج الآتية من جوف الأرض هي من حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض". وجمع الشيخ زايد أصحاب المال والأرض الذين يتحكمون في مياه الأفلاج وكان قد انتهى من حفر فلج الصاروج تماماً، وعرض عليهم أن تكون السقاية حرة مشاعة للجميع وبلا استثناءات، وبدأ بنفسه وأسرته، وأعلن تنازله عن الحقوق المتوارثة له ولأسرة آل نهيان، وكيف لا وهو الذي نطق

بهذا القول: "إن القائد يجب أن يؤمن بأنه الأمين على الشعب وثروته وأن يطبق على نفسه ما يطبقه على شعبه". وأباح السقاية منها للجميع دون مقابل، عملاً بالحديث "المسلمون شركاء في ثلاثة: في الكلأ، والماء، والنار"، وقال: "إن الله هو الذي يفجر الماء من الأرض ليرتوي منها الإنسان والزرع والحيوانات، وكل كائن حي يعيش عليها"، وقرأ زايد -رحمه الله- عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ".

وبهذا أقام الحاكم العادل مبدأ العدل والمساواة وفضل الوقوف مع الضعيف والفقير مطبقاً مبدأً من مبادئ الإسلام وهو "الماء والكلأ لكل الناس" لينهي بذلك قصة تجارة الماء التي كانت تمارس، وليقطع مفهوم الاستغلال والمحسوبية بين أفراد المجتمع، وأصبح بذلك نظام الري عن طريق الأفلاج دورياً، فكل مُزارع ينتظر دوره حتى يسقي ثم يعطى المجال لغيره من المزارعين لكي يأخذوا دورهم.

ولقد فرح الناس بهذا القرار الشجاع، فطابت أغلبية النفوس وهنأت بهذا القرار التاريخي، وأصبح الجميع ينعمون بهذه الثروة الطبيعية التي لا يمكن أن تقوم زراعة إلا بها، وخصها الله تعالى بقوله: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ". ولقد أشاد الجميع بهذا القرار حتى البريطانيين، فقد جاء في تقرير هندرسون ما يشيد بقرار الشيخ زايد في إلغاء ضريبة الماء قائلاً: "هذا الموقف العطوف الخيري هو جزء من السياسة العامة للشيخ زايد بغية تحسين مستوى شعبه دون أن يتكبدوا أية تكلفة، ومن اللافت للنظر أن تمنح المياه مجاناً إلى المزارعين في بلد تكلفة المياه فيه باهظة جداً".

ويعبر ذلك العمل الذي قام به الشيخ زايد وبوضوح عن شخصية قائد تولدت فيه ثورة ضد الظلم، وضد القهر، وضد الاحتكار، وجعلته يتخذ قراراً شجاعاً في ذلك التاريخ الصعب وحجمه السياسي لم يزد عن كونه ممثلاً للحاكم في إمارة أبوظبي، إلا أنه كان بجانب شجاعته المطلقة في الحق والإقدام لرفع الظلم، كان حكيماً في قراراته ومواقفه والتي دائماً تجد القبول والرضا من المواطنين. وكان أيضاً يعالج القضايا والمشاكل من جذورها، فلم يتخذ هذا القرار قبل أن يحفر مزيداً من الآبار ويصلح الأفلاج القديمة فيتوفر الماء. لم تكن قضية السقاية في فكر الشيخ زايد قضية زراعية فقط، بل كانت أيضاً قضية سياسية، وموقفاً عظيماً شجاعاً يعبر فيه عن نظرته للعدالة الاجتماعية، ليس من منطلق الشعارات والأقوال بل من منطلق الأفعال، ومن واقع التطبيق العملي المؤثر في حياة الناس. كما أن قضية السقاية شدت انتباه الناس نحو قائد عادل مبدع يخطط وينفذ فينجح، قائد يراعي مصالح الرعية، قائد يستطيع أن يوقف الظلم والعدوان، ويتصدى لكل من يحاول استغلال الشعب، ولأية محاولة تستهدف إلحاق الضرر بالمجتمع.

زايد.. يتوسع في استصلاح الأراضي ويشجع الشعب

بعد أن أصبح الماء متوفراً ومشاعاً للجميع ويصب في المنفعة العامة للشعب بعد تطبيق مبدأ سامٍ وهو "الخير لكل الناس" راح الشيخ زايد يشجع المواطنين على مضاعفة الاهتمام بمزارعهم، وزراعة الأراضي غير المزروعة من الواحات والتي تركت أو أهملت في الماضي بسبب مشاكل قلة المياه، فصار الناس يتجاوبون مع طرح الشيخ زايد وتشجيعه، فأخذوا يجتهدون في مزارعهم ويزرعون كل أراضيهم، فاخضرت الواحات ولم تبقَ فيها رقعة بيضاء، بل كان على أثر هذا العمل أن توسعت أحجام هذه الواحات، وأصبحت تكبر يوماً بعد يوم، وتزداد إنتاجيتها بعدما كانت تنكمش يوماً بعد يوم قبل مجيء الشيخ زايد.

بعدها بدأ زايد -رحمه الله- مرحلة زراعية أخرى حيث شَرَعَ في استصلاح أراضٍ جديدة خارج حدود الواحات، وحفر الآبار فيها، كما أخذ يأمر الناس على فعل ذلك ويشجعهم عليه ويعرض عليهم الأراضي بالمجان لمن يريد منهم زراعتها، بل كان يحمسهم على ذلك ويمدهم بما يلزمهم من معدات زراعية ومضخات مياه ومن ماله الخاص، كما يؤكد ذلك تقرير للمعتمد السياسي البريطاني في أبوظبي (تقرير اقتصادي، إبريل-يونيو 1962): "إن زايد شجع سكان العين على استغلال مصادر المياه الوفيرة والتربة الخصبة لتحسين الزراعة فيها". وبسبب عدم قدرة معظم السكان على شراء المعدات اللازمة للزراعة، قام الشيخ زايد بشراء مضخات زراعية وتوزيعها عليهم. ويقول التقرير البريطاني نفسه حول ذلك: "صرف زايد مضخات معظمها من صنع هندي ويابانى لصغار المزارعين بطريقة التقسيط المريح جداً، وطلب جرارات وعدداً من المعدات الزراعية من إنجلترا"، ويتابع التقرير: "يجري أيضاً طلب بذور وأشجار الفاكهة لزراعتها في الخريف، وذلك من الولايات المتحدة والهند، وتجري مفاوضات لتعيين مستشار زراعي ومساعد له لكي يقيما في الواحة على نفقة الشيخ زايد"، ويختم المعتمد البريطاني تقريره بقوله: "هذه بوادر مشجعة جداً، ويؤمل أن تصل منطقة العين قريباً إلى مستوى إنتاجية رأس الخيمة المشهورة أصلاً في الإمارات المتصالحة بفاكهتها وخضارها".

وفي أواخر الخمسينات من القرن العشرين، يذكر أن الشيخ زايد أمر بزراعة العديد من أشتال الأشجار في أنحاء مختلفة من مدينة العين. كما قام الشيخ زايد -رحمه الله- بوضع خطة زراعية لتشجير مدينة العين، واستدعى خبيراً زراعياً باكستانياً يدعى عبد الحفيظ خان ليقوم بهذا العمل، ودفع له من ماله الخاص. وقد وصل خان إلى مدينة العين في سبتمبر 1962، وبدأ عمله في تشجير المدينة تحت إشراف مباشر من الشيخ زايد. ويروي أول طبيب جاء إلى مدينة العين، ويدعى الدكتور ثابت، حوالي منتصف الخمسينات من القرن الماضي، أن أول شيء لاحظه في المدينة هو حب الشيخ زايد للزراعة، فقد كان -رحمه الله- يقيم المعارض الزراعية البسيطة، يعرض فيها أصحاب المزارع إنتاجهم من الخضروات والفاكهة وكان زايد

يشجع المشاركين في هذه المعارض ويكافئهم، ويذكر الدكتور ثابت، أن أول معرض زراعي شهده كان في سنة 1963.

ويمكن القول هنا إن الخطة الجريئة التي وضعها الشيخ زايد -رحمه الله- لتحسين وتطوير الزراعة في مدينة العين قد تكللت بالنجاح. فبعدما كانت المساحة الزراعية في الواحات تتقلص سنة بعد أخرى قبل توليه المسؤولية، وإنتاجية النخيل تنخفض ويموت كثير من أشجارها، كان من نتائج جهود الشيخ زايد في تلك الفترة أن ازدادت الرقعة الزراعية في الواحات فزاد الإنتاج الزراعي من التمور والمانجو والخضار ومحاصيل الحبوب ومحاصيل أخرى، وكان وفيراً ويتم تصدير الفائض منه إلى أبوظبي والمناطق المجاورة.

لقد نجح الشيخ زايد -رحمه الله- في تحقيق أهدافه في تلك الفترة فتحسن اقتصاد المدينة، وتحسنت بذلك أحوال الناس، وأصبحت العين على إثر ذلك منطقة جذب سكاني وتبادل تجاري بعدما كانت منطقة طرد لضعف مواردها، وبدأت القبائل تهوي إليها من مختلف المناطق ليسكنوا فيها ويعيشوا تحت ظل هذا القائد العادل، الذي حقق في تلك الفترة إنجازات كبيرة بإمكانيات قليلة جداً.

ولقد آمن الشيخ زايد ومنذ البداية بأن الزراعة هامة في حياه الشعوب وكافلة لأمنهم الغذائي، وأساس راسخ لرقيهم وتحضرهم، فما ارتبطت الزراعة بقوم أو أمة حتى كانت عاملاً مهماً في بروز حضارة تلك الأمة، وهذا ما قرأناه في كتب التاريخ التي سردت كيف ظهرت حضارات الشعوب، فكان أساسها الزراعة، كحضارة الرافدين في العراق، والفراعنة في مصر، وسبأ في اليمن وغيرها كثير. وكما سنشاهد فيما هو قادم من فصول، فقد كان لفكر الشيخ زايد الزراعي المبكر واقع مستقبلي على أرضه، وأن الزراعة على أرض الإمارات سيكون لها شأن كبير في يوم من الأيام، وستكون محط دهشة وإعجاب العالم أجمع، وفي هذا المعنى صدح بكلمته الشهيرة: "أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة".

وفي العين، وفي ذلك التاريخ البعيد، بدأت عمليات التغيير والتطوير، وبدأت عجلة الإصلاح تنطلق وتتسارع في انطلاقتها، وحل الاهتمام محل الإهمال نظراً لوجود القائد الطموح، القائد العبقري، القائد القدوة. وأثبت الشيخ زايد وقتها أنه رجل الإصلاح والتطوير الذي يضع حقوق مواطنيه فوق كل اعتبار، ولهذا اجتمع المواطنون حوله وأحاطوه بحبهم وإخلاصهم، لأنهم عرفوه جيداً وقرؤوا أفكاره، وشاركوه آماله وأحلامه، ولم يبخل عليهم بشيء سألوه إياه. وهكذا فقد استطاع الشيخ زايد بالإمكانيات البسيطة في تلك الفترة تحقيق إنجازات كبيرة.

المياه تجري في فلج المشروع الزراعي التجريبي الذي أقامه الشيخ زايد في عام 1963
لاستصلاح أراض زراعية جديدة في المنطقة الشرقية.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في افتتاح المعرض الزراعي السابع في أبوظبي 20-/مارس/1976م
المصدر: الأرشيف الوطني - جريدة الاتحاد

زراعة نخيل التمر
في دولة الإمارات العربية المتحدة
الوضع الراهن والإمكانات المستقبلية*

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب زايد
أمين عام جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي

مقدمة

تُعدُّ شجرة نخيل التمر من أقدم الإشجار التي زرعها الإنسان ويرد بعضهم أصلها إلى بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) أو منطقة الخليج. وكما أثبت الكتابات القديمة، فقد عرفت منطقة الخليج زراعة نخيل التمر والممارسات الفنية الأساسية المرتبطة بها منذ عام 2500 من قبل الميلاد على أقل تقدير.

أما في دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد اقترنت زراعة نخيل التمر على الدوام تقريباً بزراعة محاصيل أخرى. وأما بالنسبة إلى وضعها فهي تشبه في صفاتها وسماتها العامة الزراعة المروية في المناطق الصحراوية.

وتتصف صناعة التمور المتطورة في دولة الإمارات العربية المتحدة بالصفات الآتية:

- الإسهام في الأمن الغذائي.
- القيم الغذائية الفائقة.
- التنوع في المحاصيل
- استصلاح الأراضي.
- احتمالات خلق فرص وظيفية.
- تحقيق الدخل.
- عائدات من العملات الأجنبية.
- الحد من التصحر.

* المصدر: تم نشر هذه الدراسة في كتاب منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة 2002 تحت عنوان زراعة النخيل

الإسهامات في الأمن الغذائي
لن يبقى الإنتاج الغذائي معتمداً بعد اليوم على الأمطار الموسمية، بل ستوفر التمور المخزنة مادة مغذية على مدار السنة.

القيمة الغذائية
تُعَدُّ التمور من الفواكه غير الاعتيادية، وهي معروفة بقيمتها الغذائية الفائقة وفاعليتها المليِّنة. كما تعد التمور مصدراً قيماً للطاقة. وبالإضافة إلى احتوائها على بروتينات وألياف معينة، فإن التمور تحوي العديد من المعادن والفيتامينات الأساسية. كما تضم التمور كمية فوق المتوسطة من الحديد وفيتامين "ب" وهي مصدر فائق للبوتاسيوم. أما الطاقة المخزنة في التمور فهي بشكل سكري مُحَوَّل (inverted sugar).

التنوع في المحاصيل
شجرة نخيل التمر متكيفة ومتلائمة مع الظروف المناخية القاسية السائدة في المناطق الصحراوية في دولة الإمارات العربية المتحدة. وفي الحقيقة، يمكن لأشجار النخيل أن تنمو في المناطق التي تكون فيها النباتات الأخرى هامشية في أحسن الأحوال. كما توفر أشجار النخيل لأشجار الفاكهة والمحاصيل الفرعية الأخرى الحماية من الظروف المناخية القاسية، ومنها على سبيل المثال الفِصَة (البرسيم الحجازي) والحُبوبيات (مثل الحنطة والشعير) والخضروات.

إستصلاح الأراضي
يوفر نخيل التمر، كما ذكر سابقاً، من حولهِ بيئة تنمو فيها الحياة في الظروف الجافة. وتعطي أشجار النخيل للمزارعين فرصة الاستقرار في الأراضي المستصلحة حديثاً، وتخلق لهم فرصة العمل، بل تزيد دخل المناطق الريفية.

وزراعة نخيل التمر مناسبة بشكل خاص في البيئات التي تعاني ندرة في المياه، إذ تقلل أشجار نخيل التمر من عملية التبخير- النتح (Evapotran-spiration)، كما أن لها القدرة على الاستفادة من المياه المترشحة إلى عمق يزيد على مترين، بالإضافة إلى قدرتها على تحمل المياه المالحة.

ويتطلب التحول في الري، من الري بالغَمْر إلى الري الموضعي، معرفةً جديدة وممارسات جديدة. وقد أدت إدارة الري بطريقة سيئة إلى زيادة في ملوحة التربة وانخفاض كبير في النطاق المائي في مناطق عديدة.

احتمالات خلق فرص عمل جديدة

تُعد زراعة النخيل صناعة، وهي تعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة، وستسهم بذلك في خلق فرص وظيفية في دولة الإمارات العربية المتحدة. ويمكن تطوير الصناعات الزراعية أو تعزيزها من أجل معالجة المنتجات الزراعية وتعبئتها، وخلق فرص وظيفية إضافية وفرص لتحقيق الدخل وخاصة للنساء. كما ستساعد زراعة نخيل التمر على تبني ممارسات زراعية حديثة، وهذا سيؤدي بدوره إلى زيادة إسهام الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي، بالإضافة إلى تحقيق عائدات متزايدة من الصادرات.

وفي حال تمت مكننة صناعة التمور ومراحلها كافة، فإننا سنحتاج إلى ما معدله سبعة أيام عمل سنوياً لكل طن من التمور يتم إنتاجه. وهذه التقديرات مبنية على النشاطات الحقلية فقط ولا تشمل المعالجة والتعبئة. وإذا ما نظرنا إلى زراعة النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي التي تعتمد اعتماداً تاماً على قوة العمل، أي دون أي مكننة،فإننا سنحتاج إلى 170 يوم عمل في السنة الواحدة لكل هكتار تقريباً. ولتأكيد أهمية قطاع زراعة نخيل التمر في خلق الوظائف، فعلينا أن نُذكّر بأن مزرعة تجارية للتمور تبلغ مساحتها 100 هكتار ستحتاج إلى 17,000 يوم عمل سنوياً.

توليد الدخل

يمكن للمزارع، بحسب ظروف السوق السائدة محلياً، أن يحقق دخلاً سنوياً قدره 1000 دولار أمريكي إذا كان لديه عشرة أشجار نخيل فقط. أما في حال تصدير ما يتم إنتاجه فيمكن للمزارع أن يحقق دخلاً قدره 25,000 دولار أمريكي للهكتار الواحد الذي يضم 120شجرة نخيل.

عائدات من العملات الأجنبية

يمكن إنتاج التمور بشكل جيد سواء في المزارع الصغيرة أو المزارع التجارية الممتدة على نطاق واسع. أما من حيث قابلية استمرارية بساتين النخيل، فمن المتفق عليه أن التمور هي أفضل محصول يمكن زراعته في المناطق الجافة، فهي تفوق في منفعتها الاقتصادية النشاطات الزراعية المختلفة.

الحد من التصحر

مزارع نخيل التمر، في حال إعادة تأهيلها و/ أو تعزيزها في المناطق الصحراوية المختلفة في دولة الإمارات العربية المتحدة، من شأنها أن تحسن البيئة المصغرة بشكل مذهل، ومن شأنها أيضاً أن تساعد على الحد من التصحر, وسينحصر تأثير الرياح بينما ستزداد خصوبة التربة.

ولشجرة نخيل التمر دور مهم من الناحية الاجتماعية - الاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة. بالأضافة إلى قيمتها الغذائية، فقد أضحت شجرة نخيل التمر وثمارها ومنتجاتها جزءاً من الحياة اليومية لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة. ومادامت لا توجد نباتات خشبية (مقارنة بالنباتات الحشيشية أو العشبية) خارج الأراضي الزراعية المروية الضيقة، فأن شجرة نخيل التمر تُعد مصدراً أساسياً لمواد البناء والطاقة والحِرَفِ اليدوية.

ومن المتوقع أن تحافظ شجرة نخيل التمر على مكانتها البارزة في دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك بفضل تكيفها وتواؤمها بشكل تام مع الظروف المناخية الصعبة السائدة في المنطقة، وكذلك بفضل استخداماتها التقليدية كمصدر رئيسي للطعام والمنتجات الفرعية، وعلاوة على منافعها البيئية في زراعة الواحات.

إنتاج العالم من التمور

يُعَدُّ إنتاج التمور صناعية زراعية عالمية، حيث يصل إنتاج العالم من التمور إلى نحو 5.4 ملايين طن متري. وقد زاد إنتاج العالم من التمور من نحو 1.8 مليون طن متري عام 1970، إلى 2.8 مليون طن متري عام 1985، وإلى 5.4 ملايين طن متري عام 2001 (انظر الشكل 1). وتمثل الزيادة التي بلغت 2.6 مليون طن متري منذ عام 1985 توسعاً سنوياً قدره 5 % تقريباً.

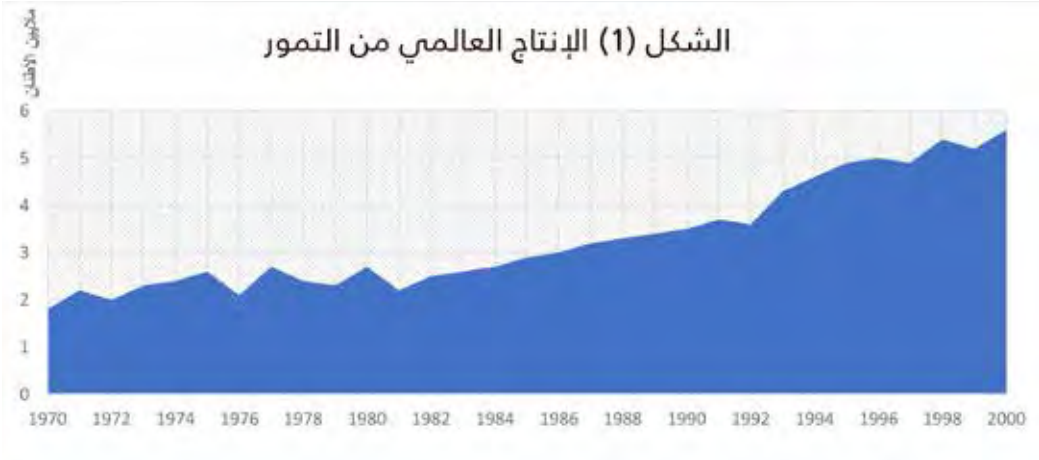

المصدر قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعية (FAO)

وتقع أهم دول العالم المنتجة للتمور في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ونستعرض في الشكل (2) توزيع أشجار نخيل التمر في أهم الدول المنتجة له في العالم. وفي المتوسط، استحوذت إيران والمملكة العربية السعودية والعراق على نصف مناطق حصاد التمور في العالم.وتشير الإحصاءات التجارية إلى أن نحو 93 % من محصول التمور يستهلك محلياً في كل دولة وحدها، وأن الغالبية العظمى من أشجار النخيل المزروعة ليست من الأنواع المعروفة التي تصدر ثمارها إلى الخارج.

المصدر: قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعية (FAO)

وفي عام 2001، وكانت دول العالم الخمس الأكثر إنتاجاً للتمور (انظر الجدول1) هي على التوالي: مصر وإيران والمملكة العربية السعودية وباكستان والعراق، وقد شكلت هذه الدول معاً ما نسبته 68.5 % من الإنتاج الإجمالي. إذا ما أضفنا الدول الخمس المهمة التالية من حيث المرتبة، وهي: الجزائر ودولة الإمارات العربية المتحدة والسودان وسلطنة عُمان والمغرب، فإن هذه النسبة تزداد إلى 90 %. وهذا يظهر بوضوح أن معظم إنتاج العالم من التمور متركز في عدد محدود من الدول المحصورة في منظمة واحدة.

	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001	نسبة مئوية من العالم	نسبة التغير 1991-2001
ألف طن													
العالم	3,717	3,664	4,387	4,568	4,849	5,015	4,953	5,425	5,354	5,307	5,353		43
مصر	603	604	631	646	678	738	741	840	906	1,007	1,102	20.6	67
إيران	634	578	716	774	780	855	877	918	908	900	900	16.8	42
السعودية	528	552	563	568	589	617	649	648	712	712	712	13.3	35
باكستان	293	275	577	579	533	534	537	722	580	550	550	10.3	88
العراق	566	448	613	676	881	797	625	630	438	400	400	7.5	29-
الجزائر	209	261	262	317	285	361	303	387	428	366	370	6.9	75
الإمارات	173	230	236	236	237	245	288	290	305	318	318	5.9	84
عمان	135	150	163	170	173	180	185	236	282	260	260	4.9	93
السودان	140	142	130	138	160	168	174	175	176	176	177	3.3	26
المغرب	107	82	111	62	98	80	110	85	73	74	32	0.6	31-

الجدول (1)

المصدر: قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعة (FAO، 2001).

لقد وسعت معظم الدول الكبرى المنتجة للتمور في العالم إنتاجها بشكل مطرد في الأعوام العشرة الماضية، وبزيادة قدرها 43 % في الفترة بين العامين 1994 و 2001.وخلال الفترة ذاتها، زادت صادرات التمور بنسبة مئوية قدرها 25 %. وكانت الزيادة سريعة في سلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة ومصر وباكستان. وبالمقابل، تراجع إنتاج التمور في العراق، بسبب الحظر التجاري الذي فرض في العراق، وتراجع في المغرب، بسبب خلل في الصحة النباتية.

صادرات العالم من التمور

بلغت كمية التمور المصدرة سنوياً ما معدله 500,000.00 طن في الفترة الزمنية 1998 - 2000، فيما بلغت قيمتها حوالي 258 مليون دولار أمريكي. وعند مقارنة هذه الأرقام مع الإنتاج الإجمالي، يظهر لنا بوضوح أن الغالبية العظمى من التمور المنتجة يتم استهلاكها في الدولة المنتجة نفسها. وكانت الهند قد استوردت 225,000.00 طن من الكمية المصدرة المذكورة، بينما استوردت دولة الإمارات العربية المتحدة 150,000.00 طن، والاتحاد الأوروبي زهاء 60,000.00 طن.

ويظهر الشكل (3) أن دولة الإمارات العربية المتحدة هي المُصَدِّر الأهم من حيث الصادرات الإجمالية. ولكن إذا طرحنا الواردات من الصادرات الإجمالية، فإن أكبر خمس دول مُصدِّرمنذ عام 1991 هي إيران وباكستان وتونس والجزائر والمملكة العربية السعودية. ومن بين هذه الدول الخمس، نجد أن دولتيين، هما تونس والجزائر، تحققان أسعاراً تصديرية عالية، إذ حققت تونس سعراً تصديرياً بلغ 1700.00 دولار أمريكي للطن الواحد، بينما حققت الجزائر سعراً تصديرياً بلغ 1400 دولار أمريكي للطن الواحد، حيث تقوم استراتيجية الدولتين المذكورتين على تصدير التمور إلى الأسواق الأوربية ذات القيمة العالية. وبالمقارنة مع ماسبق فقد حققت صادرات إيران من التمور - وهي أقل جودة من التمور التونسية والجزائرية بكثير - 240 دولاراً أمريكياً للطن الواحد عام 2000.

الشكل (3) تصدير التمور بين العامين 1998 و 2000

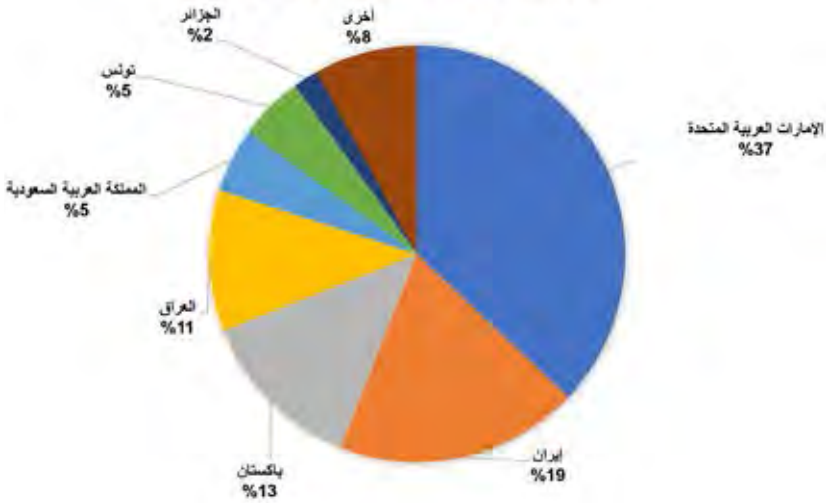

المصدر: قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعة (FAO).

ويظهر الشكل (3) أيضاً بوضوح هيمنة دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران في أسواق الصادرات من حيث الكميات المصدرة.

وإردات العالم من التمور

يعكس الجدول (2) متوسط خمس أعوام من واردات التمور الإجمالية لعدد من الدول المختارة منذ عام 1961. أما من أهم الدول المستوردة للتمور فهي: الهند ودولة الإمارات العربية المتحدة وأروبا. وفي الفترة بين عامي 1996 و2000 كانت الدول الخمس الكبرى المستوردة للتمور هي: الهند وباكستان وماليزيا ودولة الإمارات العربية المتحدة بالإضافة إلى الإتحاد الأروبي. ففي فترة السنوات الخمس بين عامي 1996 و 2000 استوردت الهند ما معدله 213,000.00 طن، على حين استوردت دولة الإمارات العربية المتحدة 139,000.00 طن، وهو ما يمثل 28 % من سوق واردات التمور. وفي المقابل، زادت دولة الإمارات العربية المتحدة صادراتها في أواخر تسعينيات القرن العشرين.

الجدول (2) واردات التمور في دول مختارة: معدل خمس سنوات منذ عام 1961م

الدول	الكمية /القيمة	1961-65	1966-70	1971-75	1976-80	1981-85	1986-90	1991-95	1996-00
فرنسا	الكمية: طن متري	20,049	18,326	15,253	17,195	14,212	15,802	18,586	21,227
	القيمة: آلاف الدولارات	6,417	7,094	11,880	18,270	22,085	33,863	43,923	42,332
الهند	الكمية: طن متري	53,869	60,158	41,226	32,692	33,066	74,526	73,793	213,199
	القيمة: آلاف الدولارات	5,332	5,238	5,993	10,037	13,934	21,624	19,979	48,654
الإمارات	الكمية: طن متري	-	577	2,876	3,140	13,298	87,577	82,013	139,000
	القيمة: آلاف الدولارات	-	66	369	777	3,805	28,275	23,535	41,271
المملكة المتحدة	الكمية: طن متري	13,654	11,976	13,009	9,707	9,421	9,455	11,630	10,666
	القيمة: آلاف الدولارات	4,921	5,020	7,207	10,767	13,666	15,207	16,355	16,846
العالم	الكمية: طن متري	329,612	343,763	364,723	290,835	205,455	360,471	324,043	602,957
	القيمة: آلاف الدولارات	48,781	52,853	78,168	136,602	162,573	224,588	270,311	310,868

المصدر: قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعة (FAO)

ويظهر الشكل (4) الحصة السوقية من الوارات لأهم الدول المستوردة للتمور في العالم في الفترة بين عامي 1998 و2000 من حيث كمية التمور المستوردة. وبرغم أن واردات الهند شكلت 36 % من الكمية الإجمالية المستوردة، فقد مثلت 15 %

فقط من الحصة السوقية من حيث قيمة الواردات بالدولار الأمريكي، على حين أسهمت فرنسا والمملكة المتحدة بنسبة 20 % من واردات التمور من حيث قيمتها بالدولار الأمريكي برغم أنهما استوردتا 6 % فقط من الكمية الإجمالية المستوردة.

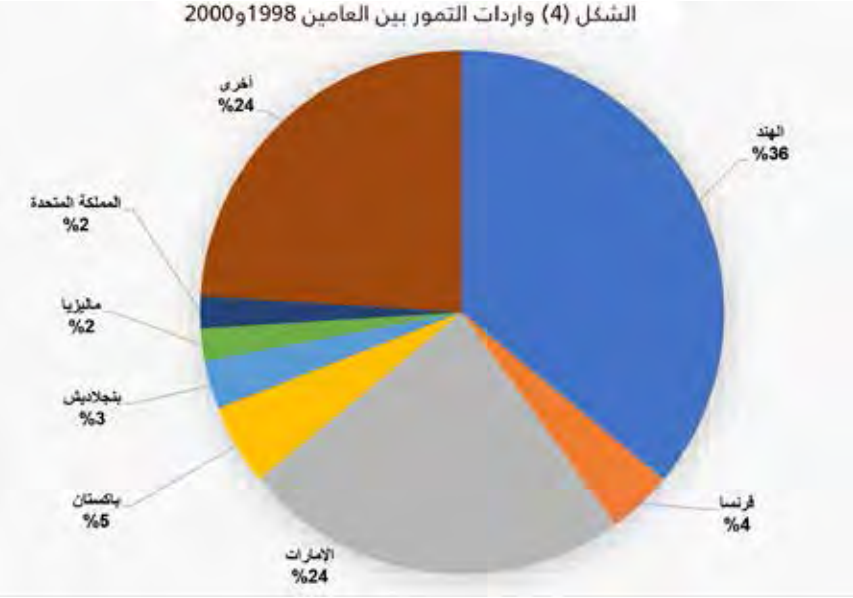

المصدر: قاعدة إحصاءات منظمة الأغذية والزراعة (FAO)

زراعة نخيل التمر في الإمارات العربية المتحدة: الوضع الراهن

بناء على الروايتين التاريخية والأثرية اللتين تصفان التطور التي شهدتها هذه المنطقة، يمكننا أن نقول: إن زراعة نخيل التمر بنمطية بسيطة، كما نراها في المنطقة اليوم، قد سادت على مدى خمسة آلاف سنة مضت. ويبين الجدول(3) المواقع الأثرية التي تم العثور فيها على نخيل التمر وتم إرجاعها 3000 قبل الميلاد.

الجدول (3) أشجار النخيل التي تم العثور ليها في مواقع أثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة

النوع	فترة أم النار*	فترة وادي سوق	العصر الحديدي	فترة مليحة / فترة الدور*
نخيل التمر phoenix dactylifera	تل أبرق	تل أبرق	تل أبرق	مليحة
	دلما			
	الهيلي		مويلح	الدور

المصدر: (E.Blatter, The Palms of the British, India and Ceylon London :Milford,1926)
*فترة أم النار (25000-2000 قبل الميلاد). *فترة وادي سوق (1300-2000 قبل الميلاد).
*فترة مليحة (300 قبل الميلاد 1- من الميلاد). *فترة الدور (1من الميلاد 200- من الميلاد).

ومن أجل تثبيت دعائم صناعية التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة تمت زراعة 40 مليون نخلة (انظر الجدول 4). وتضك الجمعية الجينية (gene pool) نحو 120 صنفاً من التمور. ومن الأصناف التي تم البدء بزراعتها: خلاص وبو معان وحلاوي وخصاب وخنيزي ونبوت سيف وجبري وهلالي ولولو وشيشي وخضوري وصقعي وسلطانة وبرحي.

الجدول (4) إحصائيات حديثة صادرة عن وزارة الزراعة والثروة السمكية (23 / 11 / 2001)

	عدد أشجار نخيل التمر	الإنتاج (طن متري)
إمارة أبوظبي	33,476,000 (*)	594,438
المنطقة الزراعية الوسطى	2,837,587	72,165
المنطقة الزراعية الشرقية	2,466,924	45,926
المنطقة الزراعية الشمالية	1,919,489	45,027
الإجمالي	40,700,000	757,601

14.5 مليون نخلة منها على الطرق الممتدة لمسافة 800 كيلو متر في أبوظبي والعين
المصدر جريدة الخليج، العدد 7763، وكالة أنباء الإمارات (وام) 20آب / أغسطس 2000 .

وقد قفز الإنتاج السنوي من التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة من أقل من 6000 طن متري عام 1961 إلى 318,000 طن متري عام 2001،أي بزيادة بلغت 5200 % (انظر الجدول 5)، ومن ثم إنخفضت الكميات المستوردة من التمور من 100,000 طن متري عام 1989 إلى 12,000 طن متري عام 1994، ويتفق هذا الإنخفاض في واردات التمور مع الزيادة الإنتاجية للدولة التي بلغت 100,000 طن متري خلال الفترة نفسها.

	1961	1970	1980	1990	2001	نسبة التغير% (1961 - 2001)
مناطق حصاد التمور (هكتار)	550	640	5564	22368	62000	11,172
محصول التمور (كجم / هكتار)	120000	125000	91943	63849	51290	-58
إنتاج التمور (طن متري)	6000	8000	51157	141463	318000	5200

المصدر : قاعدة الإحصاءات الزراعية لمنظمة الأغذية والزراعة (FAO) (2001)
(A.Zaid and E.J.Arias, Date Palm Cultivation Book (FAO Plant Production and Protection Paper No.156, 2001).

وقد قفزت صادرات الدولة من التمور من (صفر) عام 1971 إلى أكثر من 50,000 طن متري عام 1998، وقد بلغت قيمة هذه الصادرات 15مليون دولار وتصدر دولة الإمارات العربية المتحدة تمورها إلى الهند وإندونيسيا وماليزيا وباكستان. الجدول (5) مؤشرات زراعة نخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة خلال العقود الأربعة الماضية

ووفقاً لقاعدة الإحصاءات الزراعية لمنظمة الأغذية والزراعة (2001)، فإن المساحة المحصودة من التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة قد زادت من أقل من 600 هكتار عام 1961 إلى 62,000 هكتار عام 2001 (انظر الجدول 5 - 10)، وتمثل هذه الزيادة في المساحة حوالي 11,000 %، وقد تأهلت دولة الإمارات العربية المتحدة بفضل ذلك ليتم تصنيفها دولياً على أنها سابع أكبر دولة في العالم للتمور ، فهي تنتج 6 % من الإنتاج العالمي للتمور (انظر الجدول 1-10).

ونقارن في الجدول (6) بين دولة الإمارات العربية المتحدة والعالم من حيث مساحة حصاد التمور وإنتاجها في الفترة بين عامي 1961 و 2002 وتبين النسبة المئوية للتغير التي أعقبت هذه الفترة بشكل واضح الجهود التي نهضت بها دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال، فعلي حين بلغت النسبة المئوية للزيادة في المساحة المحصودة في دولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة المذكورة 11,000 %، بلغ الإجمالي العالمي في 34 دولة منتجة للتمور نحو 295 % فقط، ويتضح هذا الفرق في النسبة المئوية من حيث الزيادة في الإنتاج أيضاً ، حيث كانت 5,200 % بالنسبة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة مقارنة مع 189 % بالنسبة الى بقية العالم.

الجدول (6) مقارنة بين دولة الإمارات العربية المتحدة والعالم من حيث المساحة المحصودة (هكتار) والإنتاج (طن متري)*

		1961	1970	1980	1990	2001	نسبة التغير% (1961 - 2001)
المنطقة المحصودة (هكتار)	الإمارات	550	640	5,564	22,368	62,000	11,172
	العالم	239,972	264,265	357,455	624,536	945,762	295
الإنتاج (طن متري)	الإمارات	6,000	8,000	51,157	141,463	318,000	5,200
	العالم	1,852,592	1,887,730	2,661,406	3,433,407	5,353,090	189

(العالم) = معدل 34 دولة منتجة للتمور

المصدر : قاعدة الإحصاءات الزراعية لمنظمة الأغذية والزراعة (2001) (FAO)

.(A.Zaid and E.J.Arias, Date Palm Cultivation Book (FAO Plant Production and Protection Paper No.156, 2001

كما تظهر الزيادة الكبيرة في المساحة المحصودة وإنتاج التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة بوضوح في تغير النسبة المئوية لإنتاج التمور لكل ألف فرد (انظر الجدول 7) ويبلغ التغير في النسبة المئوية في دولة الامارات العربية المتحدة ضِعْفَ التغير في النسبة المئوية العالمية تقريباً (حيث بلغت 95 % في دولة الامارات العربية المتحدة مقابل 45 % في العالم).

الجدول (7) إنتاج النخيل (بالطن متري) لكل ألف فرد

	1961	1970	1980	1990	2001	نسبة التغير% (2002 - 1961)
الإمارات	61.22	35.87	50.40	70.24	119.82	95
العالم	0.60	0.51	0.60	0.65	0.87	45
النسبة الإمارات / العالم	X 100	X 70	X 83	X 107	X 137	الضَّعف

المصدر : قاعدة الإحصاءات الزراعية لمنظمة الأغذية والزراعة (2001) (FAO)
A.Zaid and E.J.Arias, Date Palm Cultivation Book (FAO Plant Production and Protection Paper No.156, 2001).

وكما ذكرنا سابقاً في الجدول (2) فإن دولة الإمارات العربية المتحدة قد زادت صادراتها الإجمالية في تسعينيات القرن العشرين وأصبحت مصدرة خالصة عام 1999. ويظهر الجدول (8) مسيرة صادرات دولة الإمارات العربية المتحدة وارداتها من التمور منذ عام 1970.

الجدول (8) واردات دولة الإمارات العربية المتحدة وصادراتها (1970 - 2000)

	الواردات		الصادرات	
	الكمية (طن متري)	القيمة (ألف دولار)	الكمية (طن متري)	الكمية (ألف دولار)
1970	1,479	144	0	0
1980	3,091	610	2,697	774
1990	65,000	21,600	57,000	15,400
1999	180,000	47,000	189,189	57,973

المصدر : قاعدة الإحصاءات الزراعية لمنظمة الأغذية والزراعة (2001) (FAO)
A.Zaid and E.J.Arias, Date Palm Cultivation Book (FAO Plant Production and Protection Paper No.156, 2001

الإمكانيات المستقبيلة لصناعة التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة

من الواضح أن دولة الإمارات العربية المتحدة تسير في طريقها صوب تحقيق الإمكانيات التي تطمح إليها في إنتاج التمور ومن الضروري الآن أن يتم ترسيخ أسس صناعة التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة ويجب أن تركز الجهود المبذولة على دراسة العقبات المختلفة التي تقف في طريق نمو صناعة التمور واقتراح الحلول المناسبة لها. ويمكن تطبيق هذا بطريقة سهلة من خلال إطلاق مشروع وطني للتمور يولي إهتمامه جميع أوجه تطوير صناعة التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة وهي الإنتاج والإكثار والحماية ونصف فيما يأتي أهم العوائق التي تقف في طريق تطوير صناعة التمور الإماراتية:

- وجود أشجار النخيل العتيقة والشجيرات الصغيرة بالإضافة إلى تراكم أشجار نخيل التمر في بعض المناطق وتزاحمها.
- النقص في المواد اللازمة لإكثار النخيل.
- ضعف إدارة مزارع النخيل وعدم ملائمة طرق زراعة النخيل وإنتاج التمور.
- الهجمات الأخيرة لسوسة النخيل الحمراء وقلة التدابير الملائمة لمكافحة الآفات والأمراض.
- غياب أنواع التمور الفائقة والمختارة التي يمكن معالجتها وتغليفها وتعبئتها.
- قلة الكوادر المدربة والمؤهلة وغياب المؤسسات المتخصصة في نخيل التمر.
- النقص في العمالة والتكلفة الباهظة للعمليات.

وجود أشجار النخيل العتيقة والشجيرات الصغيرة وتراكم أشجار نخيل التمر وتزاحمها

ما زالت أشجار نخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة تُزرع بطريقة تقليدية وهي في العادة تُترك للطبيعة لرعايتها وهذه المسالة من الأسباب التي أدت في الوقت الراهن إلى الإنتاجية المنخفضة لأشجار نخيل التمر في الدولة وتتصف معظم مزارع النخيل الحالية في الدولة بالصفات التالية:

- كون أشجار النخيل معمرة وشاهقة وقليلة الغلة ويبدو أنها فقدت قوتها وإنتاجيتها.
- وجود أعداد كبيرة من أصناف نخيل التمر والشجيرات ذات الجودة المتدنية (وهي تزيد على 90% من مجموع أشجار نخيل التمر) بالإضافة إلى عدد كبير من الأشجار الذكرية غير الضرورية.
- تراكم أشجار نخيل التمر وإزدحامها، إذ يبلغ عدد الأشجار في الفدان الواحد حوالي 200 نخلة، أي بمعدل 470 نخلة في الهكتار، وهذا ما تسبب في تقاربها وتلاصقها بطريقة خاطئة وفي بعض المزارع لاتزيد المسافة بين النخلة والأخرى على مابين ثلاثة أمتار وخمسة.
- عدم كفاية الأسمدة ومياه الري.

ندرة مواد الزراعة

ثمة نقص في إمدادات فسائل نخيل التمر ذات القيمة التجارية الفائقة وقد أضحت هذه المشكلة أكثر حدة في جميع المناطق المزروعة بنخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث أضحت فسائل نخيل التمر نادرة وقد تم إستيراد آلاف معدودة من أشجار نخيل التمر التي تم إكثارها بتقنية زراعة الأنسجة من الخارج، غير أن تكلفتها كانت باهظة، إن إنتاج مواد زراعية حقيقية ومطابقة يجب أن يلبي الطلبات المتزايدة في الدولة بتكلفة منخفضة على أن تتمتع الفسائل بمعدل بقاء عالي.

ضعف إدراة مزارع النخيل وعدم ملائمة طرق زراعة النخيل وإنتاج التمور

عرفت دولة الإمارات العربية المتحدة زراعة نخيل التمر منذ القدم وما زالت زراعتها تتم بطريقة تقليدية ، كما أن جميع الممارسات البستانية المطبقة في مزارع النخيل تتم لمصلحة البَيْنِيَة (المحاصيل الأخرى التي تزرع بيم صفوف النخيل) وليس لمصلحة أشجار نخيل التمر نفسها، أضف إلى ذلك أنه في حال كانت مناطق الإستهلاك بعيدة كثيراً أو في حال عدم وجود العمالة الكافية فإن مزارع النخيل في العادة تصبح مهملة وفي أحيان أخرى مهجورة، ولا يتم تطبيق الممارسات البستانية الملائمة لأشجار النخيل (مثل ريها في الأوقات المناسبة وتسميدها وترقيقها وتشذيبها وإكثارها خضرياً وغيرها الكثير) بحيث تستعيد مزارع نخيل التمر القديمة عافيتها وإنتاجيتها .

الهجمات الأخيرة لسوسة النخيل الحمراء وقلة التدابير الملائمة لمكافحة الآفات والأمراض

تم رصد أول هجمة لسوسة النخيل الحمراء (Rynchophorus Ferrugineus Oliv) على أشجار نخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1985 ومن المؤكد أن مصدر هذه الهجمة الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة العربية التي وصلتها هذه السوسة بطريقة عرضية في منتصف الثمانينيات من باكستان.

وقد تركزت كل الجهود على السيطرة على سوسة النخيل الحمراء من أجل المحافظة على إنتاج النخيل على ما كان علية قبل الهجمة وإذ ظل معدل الفقدان الراهن على حاله، وما لم يتم تطبيق طرائق متطورة للسيطرة على هذه السوسة بطريقة ملحة فإن من المتوقع أن تفقد دولة الإمارات العربية المتحدة مالا يقل عن 100,000 نخلة في السنوات العشر القادمة.

وتشمل الآفات الرئيسية الأخرى في دولة الإمارات العربية المتحدة وخاصة المناطق الساحلية، مرض التبقع الجرافيولي (Graphiola Phoenicis)، ومرض البلعت (Phy-tophthora SP) ومرض تعفن الثمار (Aspergillus Phoenicia) ومرض الدبلوديا (موت الفسائل) (Diplodia Phoenicia)، ومرض خياس طلع النخيل (Mauginiella Scaettae) بالإضافة إلى آفتي الحشرات القشرية البيضاء (Parlatoria Blanchar-di) وفراشة البلح او دودة البلح (Ephestia) التي تسبب تسوس التمور.

كما تعاني أشجار نخيل التمر البرية (غير الساحلية) الآفات الآتية : الحشرات القشرية البيضاء (Parlatoria Blanchardi) وعثه تمور العالم القديم (Olig-onychus afrasiaticus) ، وفراشة البلح (Ephestia) والبق الدقيقي (Mealy Bug) والنمل وتشمل الآفات الرئيسية الأخرى في دولة الإمارات العربية المتحدة وخاصة المناطق الساحلية، مرض التبقع الجرافيولي (Graphiola Phoe-nicis)، ومرض البلعت (Phy-tophthora SP) ومرض تعفن الثمار (Aspergillus Phoenicia) ومرض الدبلوديا (موت الفسائل) (Diplodia Phoenicia)، ومرض خياس طلع النخيل (Mauginiella Scaettae) بالإضافة إلى آفتي الحشرات القشرية البيضاء (Par-latoria Blanchardi) وفراشة البلح او دودة البلح (Ephestia) التي تسبب تسوس التمور.

كما تعاني أشجار نخيل التمر البرية (غير الساحلية) الآفات الآتية : الحشرات القشرية البيضاء (Parlatoria Blanchardi) وعثه تمور العالم القديم (Oligonychus afrasiaticus) ، وفراشة البلح (Ephestia) والبق الدقيقي (Mealy Bug) والنمل الأبيض واللفحة السوداء (Black Scorch) الذي يسببه الفطر (Thielaviopsis Para-doxa) ومرض الخامج (Khamedj) ومرض خياس طلع النخيل (Mauginiella Scae-ttae) ومرض تبقع سعف النخيل الذي يسببة الفطر (Mycosphaerella tissiana)، ومرض الدبلوديا (Diplodia) أو موت الفسائل، ومن أسباب شيوع هذه الآفات الإهمال في تنفيذ الممارسات المطلوبة في بساتين النخيل بالإضافة الى جهل المتخصصين في الإرشاد الزراعي و/ أو الحماية الزراعية بها.

قلة الأصناف الجديدة

كما ذكرنا سابقاً فإن نحو 90% من أصناف النخيل ذات جودة متدنية ولا يمكن الإستفادة منها في الوحدات المتطورة لمعالجة التمور وتغليفها والموجودة في دولة الإمارات العربية المتحدة ونوصي هنا بشدة باعتماد إكثار الأنواع المعروفة عالمياً من نخيل التمر وإدخالها على نطاق واسع.

قلة الكوادر المدربة والمؤهلة وغياب المؤسسات المتخصصة في نخيل التمر
برغم وجود عدد كبير من العلماء في دولة الإمارات العربية المتحدة فإن هناك ندرة في الكوادر المدربة القادرة على تولي الجوانب المختلفة من نخيل التمر مثل إنتاجها وإكثارها وحمايتها ومعالجتها وتغليفها وتسويقها ومن هذا المنطلق فان الدراسات الحالية غير كافية لتغطية الأعداد المتزايدة من المشكلات التي تعترض طريق الجوانب المختلفة من صناعة التمور.

إن المعرفة المنقوصة والمشروعات غير الكافية في قطاع نخيل التمر يمكن ردها جزئياً إلى غياب مؤسسات متخصصة للتعامل مع نخيل التمر ومشكلاته، كما ان قلة المعلومات حول الأوضاع الراهنة في قطاع التمور تجعل من الصعب تقديم مقترحات بشأن الأولويات على المستويين الإنتاجي والتجاري.

مشكلة العمالة
تتطلب زراعة نخيل التمر عمالة مكثفة بسبب الطبيعة الخاصة لكل صنف من أصناف نخيل التمر والإحتياجات الخاصة لزراعة كل منها ، فعلى سبيل المثال تشير التقديرات إلى الحاجة إلى تسلق شجرة نخيل التمر من ثماني مرات إلى عشر من لحظة التلقيح حتى بدء حصد التمور وتعاني بساتين النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة نقصاً في العمالة المدربة بسبب التغيرات السريعة في الأحوال الإجتماعية والإقتصادية في البلاد ويتوجه العمال ذوو البنية القوية إلى مناطق أخرى أو قطاعات أخرى توفر لهم فرصاً وظيفية طيبة ومستلزمات حياة الرفاهية الأخرى والوظائف الجديدة أكثر دخلاً من العمل في بساتين النخيل بل أقل ضجراً وملالاً ، لذا ترتفع التكلفة العامة للعمالة الزراعية في الوقت الذي يقل فيه عدد الرجال الماهرين القادرين على تسلق أشجار نخيل التمر وتلقيحها في العديد من إمارات الدولة ونتيجة لذلك ينزع المزارعون إلى إهمال مزارعهم بل هجرها أحياناً تاركين أشجار نخيل التمر في حالة سيئة وتاركين بعضها على وشك الهلاك.

مشروع مقترح للتنمية
يمكن أن يبدأ المشروع المقترح ومدته خمسة أعوام قابلة للتجديد والمسمى تنمية صناعة التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة ويهدف المشروع إلى إنتاج التمور والإستفادة منها إقتصادياً بما يحقق دخلاً وعائدات من العملات الأجنبية بالإضافة إلى توفير فرص للعمل والإستثمار معاً وسيتم توفير الخبرات الفنية والعلمية لصناعة التمور الإماراتية من خلال إدخال تقنيات الإكثار والإنتاج الحديثة وبناء إمكانات وطنية في هذا المجال، كما يهدف المشروع نفسه إلى مكافحة الأمراض والآفات الرئيسية وخاصة سوسة النخيل الحمراء وتطوير جودة إنتاج التمور سواء التي تباع في الأسواق المحلية أو التي تصدر إلى الأسواق الخارجية.

أهداف محددة

- زيادة المساحة المحصودة من نخيل التمر سواء في المزارع المملوكة للدولة أو المملوكة للأفراد.
- تعزيز المعرفة التقنية الخاصة بزراعة نخيل التمر.
- تطوير نماذج تجارية مستديمة قائمة على زراعة نخيل التمر.
- ضمان تدريب الأطراف المعنيين بتنمية زراعة النخيل من مؤسسات حكومية ومزارعين تجاريين بالإضافة إلى صغار المزارعين وذلك في مجالات زراعة نخيل التمر وإدارتها.
- ضمان إقامة ترتيبات فاعلة لتسويق ما يتم إنتاجه من تمور دولة الإمارات العربية المتحدة.
- زيادة دخل المزارعين.
- خلف الفرص الوظيفية للتخفيف من البطالة بين النساء وخفضها في المناطق الريفية.
- الحد من التصحر في دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال خلق نظم بيئية مصغرة والحد من انتشار الظروف الصحراوية.
- زيادة العائدات من العملات الأجنبية من خلال تصدير تمور القطاع التجاري.
- دعم جميع النشاطات المتعلقة بزراعة النخيل.
- وتعتبر المخاطر السابقة المحيطة بالمشروع محدودة نسبياً
- ترسيخ زراعة نخيل التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة، فالمزارعون على دراية بأهمية زراعة نخيل التمر وميزاتها، غير أن هناك عدم دراية بالمعرفة التقنية الحديثة المتخصصة وسيعمل المشروع المذكور على سد الثغرة وهذا يقلل الخطر إلى حد كبير.
- يتعلق هذا بخطر ثان وهو عدم مراعاة الصحة النباتية الخاصة بمواد زراعة نخيل التمر ومن أجل الحيلولة دون إنشار الأمراض والآفات، سيتم إستخدام المواد النامية من خلال زراعة الأنسجة فقط، ومن أجل تجنب المخاطر العارضة يمكن إختيار الأنواع التي سيتم استيرادها بدقة بالغة مع مراقبة شديدة لهذه النباتات.

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

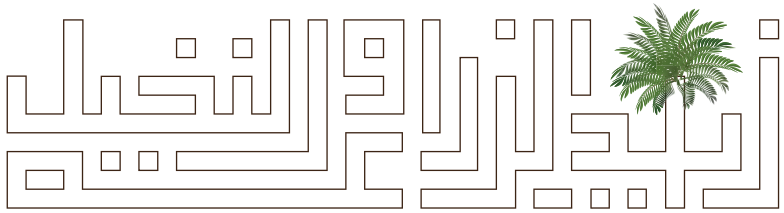

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، أثناء إحدى جولاته للمناطق الزراعية
المصدر: الأرشيف الوطني

أصول الريادة الحضارية

دراسة في فكر الشيخ زايد - التنمية الزراعية*

الدكتور نبيل راغب
باحث وناقد وروائي ومترجم

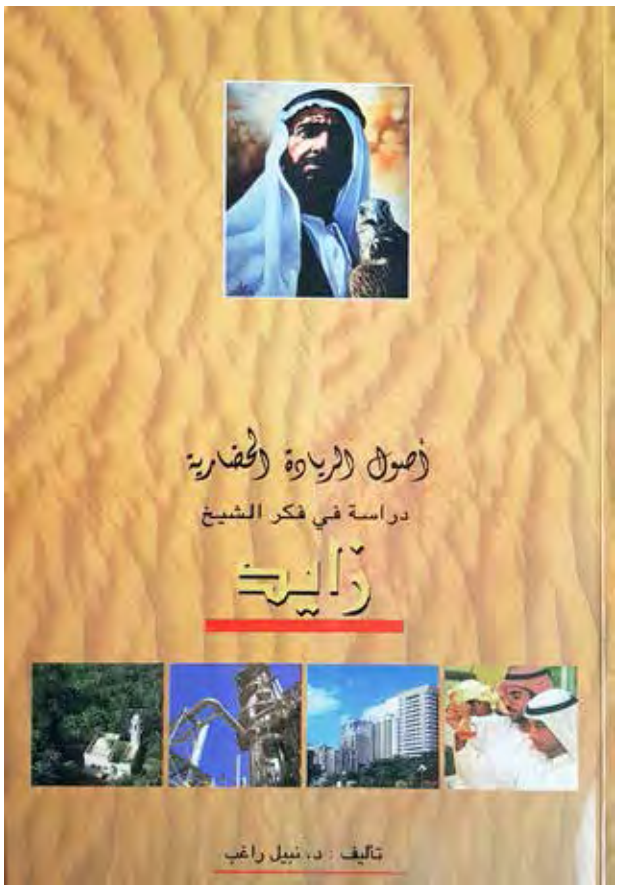

تشكل سياسة التنمية الزراعية التي انتهجها الشيخ زايد عنصراً من أهم عناصر التوجهات الاقتصادية عنده، خاصة وأنها تجسد جهد الإنسان وكفاحه وعلمه لترويض الصحراء من أجل حياة زاخرة بالرخاء والرفاهية. وهي بذلك تبدو أسمى مرتبة من الثورات الكامنة في بطن الصحراء والتي لم تأت نتيجة لكفاح الإنسان من أجل الحصول عليها. وكانت التنمية الزراعية من التحديات التي قبلها الشيخ زايد برغم أن الخبراء الأجانب الذين قدموا إلى البلاد عبروا عن يأسهم المطلق في مثل هذه التنمية. فلم يعبأ أو يتأثر بآرائهم التي ربما كانت مغرضة، وذلك لإيمانهم الراسخ بقدرات أبناء وطنه على خوض هذه التجربة الحضارية وعلى أساس أنهم أدرى بأمور بلدهم. صحيح أن أسس العلوم الزراعية واحدة في العالم كله لكن نوعية التطبيقات تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر طبقاً لإختلاف العادات والتنقاليد ومدى الإرتباط بالأرض والحمية الوطنية التي لا تعترف بالمستحيل. وهو ما عبر عنه الشيخ زايد في حديثه إلى تلفزيون القاهرة في 25 يونيو 1976 حين قال: تشكل سياسة التنمية الزراعية التي انتهجها الشيخ زايد عنصراً من أهم عناصر التوجهات الاقتصادية عنده، خاصة وأنها تجسد جهد الإنسان وكفاحه وعلمه لترويض الصحراء من

* المصدر: "التنمية الزراعية" الفصل الثامن من كتاب أصول الريادة الحضارية "دراسة في فكر الشيخ زايد" للمؤلف الدكتور نبيل راغب، رئيس قسم النقد الأدبي بالمعهد العالي للنقد الفني، جمهورية مصر العربية منشورات المجمع الثقافي بأبوظبي، الطبعة الأولى 1995 ص.404-383 .

أجل حياة زاخرة بالرخاء والرفاهية. وهي بذلك تبدو أسمى مرتبة من الثورات الكامنة في بطن الصحراء والتي لم تأت نتيجة لكفاح الإنسان من أجل الحصول عليها. وكانت التنمية الزراعية من التحديات التي قبلها الشيخ زايد برغم أن الخبراء الأجانب الذين قدموا إلى البلاد عبروا عن يأسهم المطلق في مثل هذه التنمية. فلم يعبأ أو يتأثر بآرائهم التي ربما كانت مغرضة، وذلك لإيمانهم الراسخ بقدرات أبناء وطنه على خوض هذه التجربة الحضارية وعلى أساس أنهم أدرى بأمور بلدهم. صحيح أن أسس العلوم الزراعية واحدة في العالم كله لكن نوعية التطبيقات تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر طبقاً لإختلاف العادات والتنقاليد ومدى الإرتباط بالأرض والحمية الوطنية التي لا تعترف بالمستحيل. وهو ما عبر عنه الشيخ زايد في حديثه إلى تلفزيون القاهرة في 25 يونيو 1976 حين قال: **"كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة والنمو إلا أننا قلنا لهم دعونا نجرب، فربما أفلحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة زراعية وبالفعل بدأنا التجربة ووفقنا في تجربتنا مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار، ونحن اليوم نباشر بتشجير المراعي وزراعتها للحيوانات لأن منطقتنا منطقة فيها الكثير من الحيوانات مثل الإبل والماعز والظباء".**

ونتيجة للمتابعة الشخصية للشيخ زايد لكل ما يتعلق بالزراعة وتطويرها وتنميتها، ونتيجة للمناهج والحلول المبتكرة ظل حجم الإنتاج الزراعي للخضروات والمحاصيل الأخرى كالحبوب والنخيل يتضاعف من عام لآخر. ونتيجة لإهتمام الحكومة ورعايتها للمزارعين فقد ظل عددهم في تضاعف مستمر عندما وجدوا أن الصحراء الجرداء القاحلة قد أصبحت تجود بأحسن الثمار وأينعها، وأن استثمارها يعود عليهم بأرباح مجزية، فضلاً عن أن الثروة الزراعية غير قابلة للاستهلاك وذلك على النقيض من الثروة الطبيعية الكامنة من باطن الأرض والتي لا يمكن تعويضها. أما سطح الأرض فكلما زاد العناية به زاد عائده من الخيرات والمحاصيل التي تشكل الدعامة الأساسية للأمن الغذائي. وهو ما حدث بالفعل إذ تم إنتاج أنواع جديدة ومتعددة من الخضروات والفواكة والحبوب يعد تزايد الطلب على الآلات الزراعية الحديثة التي تقدمها وزارة الزراعة للمزارعين.

وكانت المعارض الزراعية السنوية التي تقام بالإضافة إلى المؤتمرات العلمية التي يحضرها وزير الزراعة والثروة السمكية، ومدراء الزراعة والخبراء والمرشدون وبعض المواطنين، دليلاً حياً ملموساً على النهضة الزراعية التي تشهدها البلاد. ففي هذه المحافل العلمية تم بحث القضايا الزراعية، ومناقشة العوامل التي تساعد على تطوير تنمية الثروة القومية، ووضع الخطط الكفيلة برفع مستوى الإنتاج الزراعي.

وبعد ذلك تتخذ القرارات المناسبة بعد استطلاع وجهات النظر المختلفة. وكان الشيخ زايد حريصاً على إفتتاح هذا المعارض بنفسه وتشجيع ورعاية كل المؤتمرات العلمية في هذا المجال، بالإضافة إلى زياراته وجولاته التفقدية، المنتظمة، والمتتابعة لمواقع الإنتاج الزراعي بطول البلاد وعرضها، مثل زيارته لجزيرة أبو الأبيض لتحديد المشاريع التي يمكن إقامتها على الجزيرة.

كانت الزيارة في 29 مايو 1977 حين صرح الشيخ زايد أن زيارته لجزيرة أبو الأبيض ولغيرها من الجزر هو التعرف عن كثب عما يمكن إقامته في هذه الجزر من مشروعات أو عمليات التنقيب عن المياه التي تحتاجها الزراعة في تلك الجزر، وإمكانية تسكين صيادي الأسماك في هذه الجزر وإقامة مشاريع الكهرباء والتعليم والصحة فيها، وتشجير المراعي التي أنشئت لبناء مزرعة للحيوانات بهدف المحافظة على حيوانات البيئة من الانقراض.

ولم تتوقف رعاية الشيخ زايد وتشجيعة عند حدود المشروعات القومية بل شمل الجهود الفردية التي يمكن أن تضاعف من سرعة عجلة الإنتاج الزراعي. ففي 24 مايو 1980 قام بزيارة مزرعة المواطن عوض حميد في منطقة مليحة وذلك ضمن جولة تفقدية للإمارات الشمالية. وكانت الزيارة بمناسبة نجاح عوض حميد في تحويل سيارة لاندروفر عديمة الجدوى إلى ماكينة لضخ المياه بأقل التكاليف. وقد حرص الشيخ زايد على أن يقف بنفسه على الإختراع حتى يفجر طاقات الإبتكار بين أبنائه عندما يلمسون اهتمامه الشخصي بهم ورعايته لكل إبتكار جديد. وفي كل موقف من هذه المواقف كان يبلور الدلالة الفكرية الكامنة حتى تستقر في وعي المواطنين.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يشاهد نماذج من المنتجات الزراعية خلال جولته في المنطقة الغربية ويرافقه بالجولة سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان ، الشيخ محمد بن بطي ، الشيخ سرور بن محمد آل نهيان - 25 /يوليو/ 1986م
المصدر: الأرشيف الوطني

فمثلاً في هذه الزيارة أكد على أن العلم والإنتاج هما أساس التقدم. ودعا المواطنين إلى التسلح بالعلم وترجمة ذلك إلى خدمة الوطن، كما ودعا إلى تسخير الطاقات التي منحها الله للجميع فيما يصلح للجميع. وقال إن كل علم وتقدم لا يستفيد منهما المجتمع لافائدة فيهما، وعلى دعاة التقدم أن يسخروا العلم لخدمة الإنسانية. إن الله منحنا العقل والصحة ويجب أن نحسن استغلالهما ليرضي الله عنا ويبارك في أعمالنا ثم قال معلقاً على اختراع عوض حميد:
"إن على الأبناء معرفة ما عاناه الأجداد وما صنعوه لنا رغم قلة الإمكانات المتاحة، حتى يضاعف الأبناء من عملهم وإنتاجهم، ويطوروا ما قام به أسلافهم. إن الحاجة أم الاختراع وهي التي جعلت أهل المنطقة يستفيدون مما صنعه مواطن لري محاصيلهم الزراعية".

ولا شك أن رعاية الدولة لكل الجهود الزراعية تشكل قوة دفع ضخمة للمزارعين في كل مجال. وهي رعاية بدأت بتولي الشيخ زايد لحكم إمارة أبوظبي في عام 1966 ثم انتشرت لتشمل كل الإمارات منذ قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971. فقد اهتمت الدولة بمنح القروض للمزارعين وإمدادهم بالآلات الزراعية والخدمات الإرشادية. وتشرف على محطات الدقداقة والفلج وكلبا ومشروع مليحة الزراعي، ومحطات الإرشاد في مجال إنتاج الأشتال فى الفجيرة ودبا وخورفكان ومسافي والذيد وشمل ومصفوت. كما تقوم وزارة الزراعة والثروة السمكية بشراء البذور والأسمدة وبيعها للمزارعين بسعر التكلفة، وحفر الآبار الجديدة في كل المناطق الريفية وبصفة متجددة مع تركيب الماكينات وصيانتها وإصلاحها بانتظام، وتقديم قروض للصيادين لشراء ماكينات بحرية بأسعار مدعمة، مع صيانتها وإصلاحها في الورش الحكومة مثل تلك التي في رأس الخيمة والفجيرة.

وقد حرصت الوزارة على العناية بالثروة الحيوانية، وتقديم الخدمات البيطرية من خلال مراكزها المنتشرة في كل الإمارات، ومراقبة المسلخ، وإجراء التجارب لزيادة الإنتاج الحيواني، وتأسيس الغرف الزراعية في الإمارات، وإصلاح الأفلاج، ومد أنابيب المياه لتوفير المياه المعنية اللازمة للري، ومقاومة الآفات الزراعية بتوفير المبيدات وأجهزة الرش، ودراسة مخزون المياه وطرق توزيع المياه، وعمل تعداد زراعي ومسح التربة والمياه، وإعداد كوادر الخبراء والأخصائيين الذين يمدون المزارعين بالخبرة والرأي والمشورة.

وفي زمن قياسي تم التغلب على الطبيعة الصحراوية القاسية فتبدلت الصحراء من أرض قاحلة إلى أرض خضراء خيرة. وكثيراً ما عبر الشيخ زايد عن ارتياحه العميق لرؤية الأرض الصحراوية وقد أصبحت خضرة وزراعة، وعن أمله الوطيد في أن تصبح كل بقاع الوطن جنة خضراء بفضل الله وبجهد الإنسان المخلص. ومن هنا أطلق على الشيخ زايد لقب قاهر الصحراء. فكثيراً ما أمر بإقامة الحدائق العامة خاصة في المناطق التي يتوقف عندها المسافرون على الطريق وذلك للراحة وتناول المرطبات والطعام في الكافتيريات التي ألحقت بتلك الحدائق.

لكن المفارقة الطريفة أن الشيخ زايد عاشق للصحراء أيضاً. فهي تمنحه فسحة من المكان والزمان للتأمل، وفرصة اللقاء بالبدو الذين لايزالون يحملون في نفوسهم كل ملامح البراءة النقاء والصفاء وغير ذلك من الخصائص التي أوشكت على الاندثار في مجتمع المدينة. يقول في حديثه لمحطة التليفزيون الأمريكي سي. بي. اس. في 9 فبراير 1976:

"إنني أعشق الصحراء.. وكلما أحسست ببعض التعب ذهبت إليها لأسترد نشاطي وحيويتي.. حيث ألتقي بإخواني من البدو الذين أحبهم من كل قلبي.. لأن أفكارهم ما زالت صافية ونقية.. إنهم مازالوا يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم التي تنبع من الأصالة العربية وتعاليم الدين الحنيف.. وأنا أشجعهم على التمسك بهذه العادات.. لتظل أفكارهم صافية ونقية".

إن عشق الشيخ زايد للصحراء يرجع إلى ارتباطه بقيمها المتمثلة في الشهامة، والفروسية، وكرم الضيافة، والذود عن الحمى، والبعد عن الأنانية، والهدوء الذي يدعو إلى التأمل في القدرة الإلهية وإبداعاتها التي لا يمكن وصفها برغم الإحساس بها، وغير ذلك من القيم التي عانت كثيراً من صخب المدينة وضغوطها وصراعاتها المادية التي لا تهدأ.

لكن نظرة الشيخ زايد الموضوعية الشاملة لا تغفل الجانب الآخر المخيف من الصحراء والمتمثل في زوابعها وعواصفها وجبروتها ومناخها القاسي الذي لا يرحم، ورمالها المتحركة التي يمكن أن تتحول في لحظة إلى مقبرة لمن يطأها. فهي في حاجة إلى ترويضها حتى لا يرى الإنسان سوى وجهها الصبوح، السمح، المشرق بوميض الشمس الذهبية. وقد نجحت الخضرة التي تزحف على بقاع كثيرة في التخفيف من وطأة الصحراء والتقليل من مساحاتها الشاسعة التي كانت تتربع كالتيه الرهيب في الزمن القديم. لكنها تظل البقاع المهيبة التي توحي لعقل الإنسان بالحكمة التي يمكن أن تنير له الطريق في أحراش المدينة الحديدية والإسمنتية، ولذلك يقول الشيخ زايد في حديثه لجريدة "السياسة" الكويتية في 14 أكتوبر 1977:

"إن جوارحي تهدأ في أطراف البادية خارج المدينة. إنني اجتمع بالناس هنا، نتحدث عن ماضي بلادنا وأهلنا إن هذه القصص تعطيني معلومات نستأنس بها في بحث أمورنا الحالية، إن البادية في نظري عالم طبيعي نظيف على سجيته".

لكن هذا التوازي بين قاهر الصحراء وعاشق الصحراء في فكرالشيخ زايد يدل على النظرة الموضوعية الشاملة التي تستخرج الجانب الإيجابي المثمر من كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة التي لا تحتمل القبول المطلق أو الرفض المطلق بل تعتمد على التحليل العلمي الذي يمنهج العلاقة بين الإنسان والطبيعة بحيث يروضها ويأخذ منها أروع ما فيها. وهذه النظرة في حاجة دائمة لمراقبة تطورات الواقع حتى يظل دائماً تحت سيطرة الإنسان الذي أمده العلم الحديث بإمكانات لا حدود لها. وهو مفهوم بلوره الشيخ زايد في حديثه إلى إذاعة مونت كارلو في 6 يناير 1975 حين قال:

"العلم وصل إلى مجالات لم تكن في الحسبان. وتفكير الإنسان في التطور لم يقف عند حد منذ خلق الله الأرض ومن عليها والزراعة تحتاج إلى عنصرين أساسيين: الأرض الصالحة والماء، وبعد ذلك يأتي دورالعمل لشق قنوات الري والصرف . . . وإقامة المنشآت اللازمة وكل ذلك يحتاج إلى خبرة علمية. وأعتقد أن الدول العربية لديها الخبرات التي تستطيع القيام بهذه المهمة. وأعتقد أن دولة الإمارات العربية المتحدة هي في مقدمة الدول التي تحتاج إلى الزراعة. ولذلك فنحن الآن نبحث عن الشركات التي لديها الخبرة لتحلية ماء البحر وتملك المعدات والخبرة لاستصلاح الأراضي القابلة للزراعة . . . وسنصل إن شاء الله إلى ما نصبو في تحقيق اكتفاء ذاتي في المنتجات الزراعية".

قيل هذا الكلام في عام 1975 والآن في عام 1993 يؤكد الوجه الأخضر للإمارات أن الشيخ زايد قد وصل بفضل الله إلى ما كانت نفسه تصبو إليه. فقد أصبحت البلاد مرصعة بالمزارع الجميلة التي أمر باستصلاح أراضيها البور ليتحول لونه الأصفر الصحراوي إلى هذا اللون الأخضر الزاهي والنامي على حد قول إبراهيم سعدة في مقدمته لكتاب وجيه أبو ذكرى "زايد عن قرب":

"إن أهم ما شغل فكر وبال الشيخ زايد - وعلى مدى السنوات العديدة الماضية - هو أن يطارد اللون الأصفر في كل مكان داخل حدود دولته. الذين زاروا أبوظبي قبل تولي الشيخ زايد الحكم - ثم عادوا زيارته الآن لا يصدقون أعينهم، الصحراء الشاسعة أصبحت واحة جميلة تبهر الزائر وتدهشه في نفس الوقت.. فالذي قام به الشيخ زايد من أجل تحقق هذه المعجزة - بكل المقاييس - فيه الكثير، والكثير مما يقال".

وكان الشيخ زايد قد بلور استراتيجيته الزراعية عندما قام بزيارة لوزارة الزراعة والثروة السمكية في 20 أغسطس 1973 أوضح فيها:

"أن الطلب المتزايد على الخضروات والفواكه من السكان، يتطلب تحقيق، التنمية الزراعية، جنباً إلى جنب مع التنمية التي تشهدها البلاد في مختلف المجالات. إنا لا نهدف بالطبع إلى تغليب الطابع الزراعي على اقتصاد البلاد لظروف واعتبارات متعددة ... وكل ما نهدف إليه ونسعى إلى تحقيقه هو إقامة زراعة على قدر كبير من الكفاءة والتخصص لتلبية احتياجات المواطنين من المحاصيل الزراعية ... وذلك يتطلب رسم السياسات لتحقيق ما يلي:

1. **رفع إنتاجية الأرض أفقياً بزيادة مساحة الرقعة الزراعية بصورة مطردة.**
2. **رفع إنتاجية الأرض رأسياً بتوفير الآلات والأسمدة واستخدام الوسائل العلمية لزيادة المحاصيل ووقاية المزروعات من الآفات والتوسع في الإرشاد الزراعي".**

ومنذ ذلك الحين وسياسة إجراء التجارب والاختبارات لإمداد المزارع ببذور محلية مستمرة ومتطورة وناجحة، وقد لمسها المزارعون في مزارعهم وحقولهم التي تُنبت الطماطم والبطيخ واللوبيا والبطاطا والكوسا والكرنب والقرنبيط والخيار والشمام الباذنجان والفلفل الأخضر والبصل والسلق والخس وغيرها من الأصناف التي نجحت زراعتها. فقد كان هدف الشيخ زايد دائماً هو تحقيق التنمية الزراعية جنباً إلى جنب مع التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فإذا كان الاستقلال الاقتصادي شرطاً ضرورياً للاستقلال السياسي فإن الاستقلال الغذائي شرط ضروري للاستقلال الاقتصادي. والطريق إلى هذا الاستقلال الغذائي كان وعراً وشاقاً وطويلاً، لكن الشيخ زايد صمم منذ البداية على السير فيه، وكانت خبرته القديمة في هذا المجال ثم تجربته كحاكم لإمار أبوظبي خير دليل له عندما تولى رئاسة دولةالإمارات العربية المتحدة. وقد اتضحت هذه الخبرة منذ بداية فترة حكمه للمنطقة الشرقية حيث مدينة العين حين كانت الحياة قبل البترول قاسية للغاية، فقد بذل أقصى ما في وسعه حتى استقرت الأوضاع تماماً في منطقة العين ثم توجه بعد ذلك إلى عمليات الإصلاح والتنمية. وعن هذه الفترة المبكرة يحكي الشيخ زايد ذكريات جهاده لوجيه أبوذكرى فيقول إنه وجد أن مياه الري اللازمة للزراعة يمتلكها ويتحكم فيه أقلية أما الأكثرية من الناس فلا تملك المياه، وبعض من لديهم نقص في مياه الري ويريدون ري مزارعهم عليهم أن يدفعوا مبلغاً معيناً من المال لمن يملكون المياه حتى يتمكنوا من ري مزارعهم. ووجد الشيخ زايد أن هناك من النخيل وأشجار الحمضيات ما يعاني من نقص المياه، فاستدعى الذين يملكون المياه ويتحكمون فيها وطلب منهم المشاركة في المياه، مع العلم بأن الحكومة لها ملك فيها وأيضاً في المزارع، بحيث تكون عملية الري بالدور على الجميع لأن المياه للجميع. لكن أغنياء المياه رفضوا وقالوا له إنهم أحرار في مياههم كما هو حر في مياهه إذا قرر إشراك الفقراء معه شخصياً.

فما كان من الشيخ زايد سوى أن تركهم لحال سبيلهم واتجه إلى حفر الآبار لتوفير المياه لري المزارع. ومع انتشار الآبار الجديدة زادت المياه وارتفعت مناسيبها.

عندئذ جمع الشيخ زايد أغنياء المياه مرة أخرى بعد ثلاث سنوات ودعاهم للمشاركة في المياه الجديدة على أن تترك لهم آبارهم دون أن يمسها أحد من الفقراء، فوافقوا هذه المرة على الفور. فقد كانت آبارهم تمكنهم من ري مزارعهم مرة كل شهر ونصف أما الآبار الجديدة التي حفرت تحت رعاية الشيخ زايد فقد مكنت المزارعين من الري كل خمسة وعشرين يوماً فقط. وبمجرد أن وافق أغنياء المياه على مبدأ المشاركة طلب منهم أن يحضروا ما لديهم من أوراق ومستندات ملكية لتسليمها له ثم يقومون بحرقها أمامه بأنفسهم، فقد يوافقون على المشاركة وبعد ذلك يتراجعون اعتماداً على أوراق الملكية التي في حوزتهم. كان الشيخ زايد يريد الوضوح في كل خطوة يتخذها، وبالفعل رضخوا لرأيه العملي وأصبحوا جميعاً شركاء في المياه. ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن وحفر المزيد من الآبار أصبحت سياسة دائمة ومتجددة.

ولم يكتف الشيخ زايد بتشجيع حفر المزيد من آبار المياه للزراعة، بل قام بتوزيع مضخات لرفع المياه على المزارعين لكي يعملوا ويزرعوا ويستغلوا وقتهم بدلاً من الحاجة والبطالة. لكن الأمر لم يسر بهذه السهولة لأن الأطماع البشرية كانت تشكل عقبات في طريق المسيرة. وكان على الشيخ زايد أن يزيحها أولاً بأول. فقد أشاع أحد الحاقدين أن العمل في المزارع وشراء المضخات لم ينتج عنه سوى تراكم الديون والخسائر المتتالية، مما فقد المزارعين حماسهم للعمل الزراعي. وعندما سألهم الشيخ زايد عمن قال لهم هذا الكلام أخبروه بأنه واحد اسمه الدودة، فناداه وسأله عن السبب في هذه الدعاية المسمومة الفاسدة التي قام بها، فاعترف بأن عدد المزارع في ازدياد مستمر، وكذلك الإنتاج الغذائي مما أدى إلى انخفاض سعره وخسارة المنتجين. فواجهه الشيخ زايد بأنه لم يقل للمزارعين مثل هذا الكلام بل أشاع بينهم أن الديون تراكمت عليهم حتى يتوقفوا عن الزراعة وهذه جريمة كبيرة. فإذا لم ينقض هذه الدعاية المسمومة وينطق بالحق فلن يمنع قربه من الشيخ زايد من توقع العقوبة عليه. ولم يكن أمامه سوى أن يذهب إليهم ويعترف باحتياله عليهم، فعاد الناس إلى حفر الآبار واستخدام المضخات.

وكان هدف الشيخ زايد من هذا الكفاح أن تحل الزراعة محل البطالة لدرجة أنه كان يذهب كل يوم لينزل في الآبار التي تم حفرها لكي يتعرف على المياه التي تطلع بالقرب من سطح الأرض وتبين مدى صلاحيتها. لقد كان ينزل إلى عمق

أربعين متراً تحت سطح الأرض، وذلك بواسطة الحبال ثم يصعد بنفس الطريقة. هكذا منذ حوالي أربعين عاماً تعلم الشيخ زايد من أهل المياه ماهي الأرض التي تظهر فيها المياه عن قرب والأخرى التي لا توجد بها مياه. فالأرض التي تبدو طينتها طينية فودرية، ليست فيها مياه فيتركونها، أما الأرض الكونكري ذات الأحجار المخرمة فهي التي تحتوي على المياه المطلوبة.

وبذلك كان الشيخ زايد في مجال التنمية الزراعية خبيراً وأخصائياً وليس مفكراً استراتيجياً فحسب. فقد حدد الأهداف الأساسية لخطط التشجير ووقف زحف الصحراء في الأهداف التالية: توفير الأعلاف والمراعي للحيوانات، وتأمين مصدات للرياح، وتخفيف درجة الحرارة وترطيب المناخ بالإضافة إلى انتشار اللون الأخضر الذي يضفي على البيئة بهجة وجمالاً، ويوفر الأخشاب اللازمة للعمران والصناعة، وخاصة صناعة السفن وحطب الوقود. كذلك فإن الأشجار تشكل مصدراً هاماً لزيادة خصوبة التربة عندما تتساقط عليها أوراق الشجر وأغصانه وتختلط بالرمال مما يزيد التربة تماسكاً ونمواً. كما أن البذور التي تتساقط من الأشجار تتكاثر بفضل الأمطار إلى أشجار جديدة وتصبح الشجرة الواحدة عشر شجرات.

وكالعادة يحرص الشيخ زايد على أن يتابع بنفسه وفي مختلف المواقع والأماكن تفاصيل نمو مشاريع التشجير التي أمر بتنفيذها، ويعطي التوجيهات والنصيحة الصادرة عن خبرة فريدة ومعرفة عميقة بالبيئة واحتياجاتها، مع إصراره على ضرورة استخدام أحدث الأساليب العلمية في الزراعة والري، منها على سبيل المثال الري بالتنقيط الذي أثبت فعاليته سواء من ناحية توفير 60٪ من المياه التي يستهلكها الري التقليدي المباشر أو عدم جفاف التربة حول جذع الشجرة لدائرة قطرها حوالي 70 سم بصورة متصلة على مدار السنة مما يحافظ على تسوية التربة حول الشجرة.
وكانت النتيجة أن أصبحت أبوظبي غابة كبيرة، وأصبح بالإمارات 13 مليون نخلة و19 ألف مزرعة و 883 ألف شجرة فاكهة. وتم الاكتفاء الذاتي من الأسماك. وتوشك الدولة أن تحقق الاكتفاء في مجال الإنتاج الحيواني.

هكذا يبدو الفارق الشاسع بين الأمس واليوم. فمن حوالي خمسة آلاف مزرعة في عام 1973 إلى أكثر من 19 ألف مزرعة في عام 1990، بالإضافة إلى الزيادة المطردة في أعداد أشجار النخيل والتي بلغت أكثر من 13 مليون نخلة. ولعل

اهتمام الشيخ زايد بالنخلة منح قوة دفع كبيرة للاهتمام بهذه الشجرة المباركة التاريخية فأصبحت تزرع في كل منزل وشارع ومزرعة مما أدى إلى هذا التكاثر العجيب. كذلك فقد زادت مساحات وكميات الفاكهة بأنواعها والمحاصيل الحقلية، أما الحمضيات، وفي مقدمتها الليمون، فقد حظيت بنصيب كبير حيث تمثل 50% من إجمالي الأشجار.

وتأتي المحاصيل الحقلية ضمن أبرز نسب التطور الزراعي مع اتساع رقعة الأعلاف الخضراء، واتساع مساحة القمح، نتيجة للدراسات التي أجرتها وزارة الزراعة على بعض أصناف الأعلاف، وخاصة التي تتحمل الجفاف والحرارة من أجل الإكثار من زراعتها. كذلك شرع في إقامة مشروع تصنيف التمور والذي يشكل صرحاً صناعياً يحافظ على الإنتاج الوفير للتمور وذلك بالتعاون مع المصرف الصناعي. أما استخدام المبيدات الحشرية وتداولها فقد وضعت مجموعة تشريعات تعني بتنظيمها حرصاً على سلامة الإنسان.

أما الثروة الحيوانية فقد قوبلت باهتمام كبير من كثير من المزارعين ومربي الحيوانات، تمثل في تكثير عدد الرؤوس التي يمتلكونها. فقد بلغ عدد رؤوس الحيوانات حتى نهاية عام 1990 أكثر من مليون رأس بزيادة قدرها 100% عما كان عليه عام 1980. وكان من نتائج تنمية الثروة الحيوانية ارتفاع معدلات الإنتاج الحيواني مثل إنتاج الحليب الذي أصبح يشكل مساهمة واضحة في نسبة تغطية الاستهلاك المحلي والتي بلغت 85%. وكذلك فإن إنتاج لحوم الدواجن يغطي 26% من جملة الاستهلاك وهي نسبة تمثل خطوة كبيرة في مجال الاكتفاء الذاتي وتحقيق الأمن الغذائي. أما إنتاج البيض فأصبح يغطي 75% من الاستهلاك المحلي، أي قطع خطوات واسعة على طريق الاكتفاء الذاتي. أما عن الثروة السمكية فقد حققت الدولة اكتفاء ذاتياً من الأسماك نتيجة للتشجيع المتواصل للصيادين على تأسيس الجمعيات التعاونية، وتدريبهم على استخدام التقنيات الحديثة الصيد، بخدمات ومستلزمات الصيد اللازمة كدعم من الدولة وإمدادهم من قبيل القروض وخدمات الورش وهكذا. كذلك يقدم مشروع مركز أبحاث الأحياء البحرية من الدراسات والتجارب ما يساهم في الحفاظ على الثروة تلوث البيئة البحرية، واستغلال أشجار القرم لتغذية الأسماك وبالتالي تنميتها.

أما في مجال تغذية مخزون المياه الجوفية فقد زاد حجمه وبالتالي تحتم ترشيد استخدام المياه الجوفية حتى لا تتبدد فيما لا يفيد، كذلك يتم إجراء التحاليل اللازمة لعينات التربة الخاصة بالمزارعين لتحديد مواصفاتها وتركيبها ودرجة ملوحتها مع متابعة حركة الأرصاد الجوية الزراعية من خلال عشر محطات وأربعين جهازاً لقياس كمية الأمطار للأهداف الزراعية. كما تم إنشاء ستة سدود لتخزين المياه ثم أربعة كتبرع من أحد المواطنين، وذلك بالإضافة إلى استخدام أنظمة الري الحديثة، وإدخال نباتات لم تكن معروفة من قبل في الإمارات خاصة نخيل العصير الذي يعطي عصيراً غنياً بالبروتينات والسكريات والمعادن والحديد، ونجح إكثار المئات من أشتال هذا النخيل الذي دخل العالم العربي كله لأول مرة عن طريق الإمارات.

ويرسم وجيه أبو ذكرى صورة مبهرة لإنجازات التنمية الزراعية التي حدثت في الإمارات ويتخذ من أبوظبي نموذجاً لها من خلال زيارة قام بها لها في نهاية عام 1991 بدعوة من الأستاذ خلفان الرومي وزير الإعلام، ليصل الزمن القديم بالحاضر وليشاهد الدولة التي عاش فيها سنوات من عمره قبل تولي الشيخ زايد حكم إمارة أبوظبي في السادس من أكتوبر عام 1966. فقد كان أول انطباع له غير أناقة المطار الجديد الذي بدا تحفة فنية جمالية رائعة، ما قاله مرافقه مندوب وزارة الإعلام بمجرد خروجهما من المطار إلى طريق واسع، وعلى جانبيه غابة من الأشجار، وفي وسط أشجار نخيل قصير مثمر:

«إن زايد يفضل الأشجار المثمرة، ويترك الثمرة ليقتطفها سكان أبوظبي مجاناً، بشرط ألا يضروا الشجرة. إن حياة الشجرة لا تقل عن حياة المواطن عند رئيس الدولة».

ويحكي وجيه أبوذكرى كيف التهم اللون الأخضر اللون الأصفر تماماً، وتحولت المدينة إلى بستان أخضر، ونافورات جميلة، ونظافة تامة، حتى أن رائحة الهواء قد تغيرت، كانت رائحة الهواء معبأة بالرطوبة ورائحة البحر ولكن الآن وقد امتلأت أبوظبي بالحدائق فلقد امتزجت رائحة البحر برائحة الزهور والرياحين، الأشجار وثمارالأشجار.

ويعود وجيه أبو ذكرى بالذاكرة إلى الوراء عندما تولى زايد السلطة في إمارة أبوظبي في السادس من أغسطس 1966، فقد أعلن على الفور عن مشروع طموح لتشجير الطرق من مدينة أبوظبي إلى مدينة العين لقهر الصحراء. وتعتبر قصة تشجير هذا الطريق واحدة من ملاحم الكفاح الرهيبة التي خاضها الشيخ زايد مع البيئة حتى أصبح هذا الطريق الطويل بهذا الجمال، وهذه الكثافة من الأشجار سواء على جانبيه أو في منتصفه. وبعدها بدأ في تشجيع المواطنين على زراعة الأرض، أي أرض، حتى لو كانت عدة أمتار حول الفيلات أو البيوت. وتملك الناس الأراضي لزراعتها وشجعهم بالمال والحوار والدعم الفني.

ثم خاض الشيخ زايد معارك أكثر ضراوة عندما جاء بالعلماء من مختلف بقاع العالم لدراسة أرض جزيرة أبوظبي. وأكدت الدراسات أن الجزيرة تعاني من التصحر وانجراف الرمال نحو المزارع التي أقيمت فعلاً وتراكمها حول النباتات مما يؤدي إلى دفنها والقضاء عليها مما يهدد التنمية الزراعية بأسرها. لم ييأس الشيخ زايد بل استعان بنظرته الاستراتيجية وخبرته الزراعية القديمة التي تجعله أدرى ببلاده من العلماء الأجانب، وقام بتسطيح الكثبان والتلال التي تهب منها الرمال، وفرش طبقة جديدة

من الطين فوقها، وقام تقسيمها على المواطنين الذي أقبلوا على زراعتها بعد أن أقام الأحزمة الخضراء من الأشجار حولها كمصدات للرياح ولتنبيت التربة وتهيئتها للزراعة. بل أمر أيضاً بزراعة الغابات حول المدن لخلق جدار طبيعي يحمي الزراعات والمدن من هجمات الصحراء المحملة بالرمال وإضافة رئة طبيعية لامتصاص أية نسبة عالية من غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يرفع درجة حرارة الأرض ويغير المناخ.وكان توفير مياه الري إحدى المعارك التي خاضها الشيخ زايد سواء بالنسبة للآبار أو الأمطار وتحلية مياه الخليج. خاصة وأنه واحد من الخبراء القلائل في حفر الآبار، ومعرفة أماكن تواجدها في باطن الأرض، هذا بالإضافة إلى استخدام أحدث أساليب الحفر. أما بالنسبة لمياه الأمطار فقد أقام السدود لحجزها واستخدامها وقت الحاجة، خاصة في استصلاح الأراضي المحيطة بالسدود لزراعتها، أو إنشاء منتجعات وواحات سياحية تستقطب الزوار والسياح. أما مشروعات تحلية مياه الخليج فقد نجحت في إمداد الناس والحيوان والنبات بمياه الشرب والري. لكن الشيخ زايد لم يقتنع بهذا بل استغل مياه البحر المالحة نفسها في استزراع مساحات كبيرة من أشجار القرم التي تعتمد على المياه المالحة وتعطي بيئة صالحة لتكاثرالعديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية التي تجد في هذه الأشجار بيئة صالح لوضع بيضها على جذورها الممتدة داخل المياه. كما تجذب هذه الأشجار عدداً كبيراً من الطيور المهاجرة إلى الاستراحة عليها في رحلتها من الشمال إلى الجنوب في موسم الشتاء. وتسهم هذه الأشجار في تربية الأغنام والحيوانات االأخرى التي تتغذى عليها مما أدى إلى زيادة الثروة الحيوانية في أبوظبي. وهكذا كان الشيخ زايد رائداً في هذه التجربة الناجحة والفريدة من نوعها في العالم.

ولا يتوقف الشيخ زايد عن تشجيعه المستمر للمعاهد العلمية في أبحاث الملوحة. فهو يرى أن الخبرة المحلية القديمة لابد أن تتسلح بالعلم الحديث، ولذلك عقدت مؤتمرات علمية تحت رعايته، من أهمها مؤتمر الملوحة الذي يسعى لتسخير المياه المالحة في الزراعة ودراسة مدى الاستفادة من علوم الهندسة الوراثية الحديثة. وعندما انتهى المؤتمرالذي ضم خيرة العلماء في هذا المجال، عقد الشيخ زايد معهم اجتماعاً مطولآ ليستفسر منهم عن مدى الإمكانات التي يمكن استغلالها في ري الأرض الزراعي بالمياه المالحة، إذ أنها كفيلة بحل مشكلة الغذاء للعالم أجمع.

أما عن أشجارالنخيل فإن الشيخ زايد يكن لها عشقاً خاصاً. فالنخلة شجرة مباركة وترمز للحياة المتجددة المعطاءة عبر آلاف السنين، ولذلك يعتبرها جزءاً حيوياً من «أصالتنا ومن تراثنا ومن تكويننا الإنساني. ففضل النخيل على أجيالنا المتعاقبة لا تحده كلمات.. لقد كانت زادهم في كل المواسم. في الصيف والشتاء. في الخريف والربيع. لقدأعطت النخلة الكثير لأسلافنا في الماضي أيام الضنك وصعوبة العيش".

ويرى وجيه أبوذكرى أن الشيخ زايد يردُّ للنخلة هذا الجميل بنشر نفوذها على كثبان الرمال وسفوح الوديان. ولا يبخل عليها بالمياه المتدفقة التي تصلها من أماكن بعيدة وهو المعنى الذي يؤكده خلفان الرومي وزير الإعلام حين يقول:
«لقد لازمت النخلة إنسان الإمارات طوال سيرته في بطن الصحراء وعلى سفوح الوديان وسواحل الخليج.. قبل عصر النفط كانت الغذاء والظل والمأوى.. واليوم نرى زايد لايكتفي بالعناية بها ونشرها في مختلف الأرجاء البقاع بل نراه يسعى إلى استنباط أنواع جديدة منها مازاد من عدد أصنافها إلى أكثر من ثمانين صنفاً من أصناف الرطب الشهي الحلو المذاق، تحملها أشجار النخيل المتفاوتة من طول جذوعها وقدرة إغداقها على الحمل ونوع رطبها ولونه».

ولابد أن نسجل ريادة الشيخ زايد في مجال حماية البيئة أيضاً. فقد قام بحملة توعية إعلامية قادها بنفسه، وأصدر سلسلة من القوانين والإجراءات التي تحافظ على الطيور والحيوانات المهددة بالانقراض بل وأنشأ لها المحميات الطبيعية. وتجربته في الحفاظ على طيور الحبارى نموذج فريد لهذه السياسة. فقد كانت هذه الطيور مهددة بالانقراض نتيجة لانتشار صيدها في دول الخليج كلها. فقامت حديقة الحيوان بالعين بإنشاء مضخات مياه كبيرة تفتح على شكل مطر فوق أقفاص هذه الطيور لتشجيعها على التكاثر، حيث يشجع المطر على وضع البيض ويوحي لها بنمو العشب والحشرات التي تشكل طعامها الأساسي.. وقد أطلقت حديقة الحيوانات أربعين طائراً منها إلى ثلاث جزر قبالة أبوظبي لتعيش بيئتها الطبيعية في حيث تتكاثر بعيداً عن أشباح الانقراض.

وكان "مركز بحوث الصحراء والبيئة البحرية" الذي أمر الشيخ زايد بإنشائه ، منوطاً بإعداد البحوث والدراسات في مختلف مجالات البيئة، وتكوين الكوادر العلمية، وتعميق الوعى البيئي عند الجماهير، وإجراء دراسات عن النباتات الطبيعية ونباتات المراعي، ودراسة سلالات النخيل والعمل على تحسين خواصها والإكثار منها، وتنمية الثروة الحيوانية وترشيد استهلاكها، وإجراء المسح العلمي لمختلف الأحياء المائية من نباتات وحيوانات بحرية، وتنمية الثروة السمكية وإجراء بحوث

تلوث البيئة البحرية بالزيت، والحد من التلوث البيئي في المياه والهواء والأرض، وتحديد مصادره من مبيدات ومخلفات صناعية وبترولية وكيماوية ونفايات سامة.

ويستشهد وجيه أبوذكرى بتعليق تشارلز لابونيق الخبير الدولي والسكرتير العام للمنظمة الدولية لحماية الحيوانات والنباتات على هذه النهضة الإماراتية في مجال حماية البيئة حين يقول:
"لا يملك المرء إلا أن يشيد بالجهود المخلصة التى يبذلها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال توسيع الرقعة الزراعية ونشر الخضرة والتشجير في ربوع الدولة.. إن دولة الإمارات تعد في مصاف الدول المتحضرة التي تعمل على حماية البيئة والحفاظ على المواد الأولية في الطبيعة. ويمكنها أن تقدم درساً عظيماً لبقية دول العالم في أهمية الحفاظ على البيئة. وإني أطلب من الإمارات أن تمد المنظمة الدولية لحماية البيئة بخبراتها في هذا المجال لكي ينتفع بها العالم أجمع... وبعد أن قدمت حيثيات ترشيحي للشيخ زايد لجائزة البيئة العالمية ازددت إصراراً على ترشيحه فلولاه ما كانت كل هذه المشروعات الضخمة لحماية البيئة قد تحققت".

ومع كل هذا الإنجاز والإعجاز التنموي الزراعي، فإن حنين الشيخ زايد للصحراء لا يتوقف. فقد كانت المعلّم الأول الذي ألقى عليه دروساً عميقة تمثلت في امتدادها وصرامتها وصمتها. فهي بانكشافها ووضوحها وعريها لا تقبل أنصاف الحلول أو المساومات، كما أنها بحسمها وجديتها ترفض اللغو والهراء. وهي أكثر البيئات قدرة على تعليم فضيلة الاعتماد على الذات وشحذ إرادة الصمود والصلابة. كذلك فإن امتداد الصحراء الذي يبدو لانهائياً يوحي بالتواضع الإنساني مثلما يوحي بالحرية. كما أن قسوة المناخ في الصحراء توحي بعدم الإسراف، والحكمة في التصرف، خاصة عندما تكون قطرة مياه هي الحد الفاصل بين الحياة والموت.

كانت هذه هي الخصائص التي اكتسبها الشيخ زايد من الصحراء، وهي نفس الخصائص التي استخدمها في غزوها بعد ذلك حين جعل الخضرة تتسلل إلى معظم أرجائها، وهي نفس الخصائص التي يصر على تعليمها للأجيال الجديدة حتى لاتصيبها طراوة الرفاهية والرخاء فتقعد عن الانطلاق إلى آفاق جديدة، وتفقد صلابة الإرادة والكفاح والصلابة والصمود ، وهي نفس الخصائص التي تتجسد وتتجلى في قصص الآباء والأجداد الذين صمدوا بوجه التحديات واجتازوا كثيراً من العقبات برغم قلة الإمكانات حتى سلموا الأمانة لجيل زايد الذي يعد - بالعلم والخبرة والوعي - الأجيال التالية لحملها والارتفاع بها إلى قمم لم تبلغها الأجيال السابقة، خاصة وأن قوة الدفع الحضارية التي منحها الشيخ زايد للمسيرة القومية قد وفرت طاقات وإمكانات وقدرات لم تكن لترد حتى في أحلام الآباء والأجداد آمالهم وأمانيهم.

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

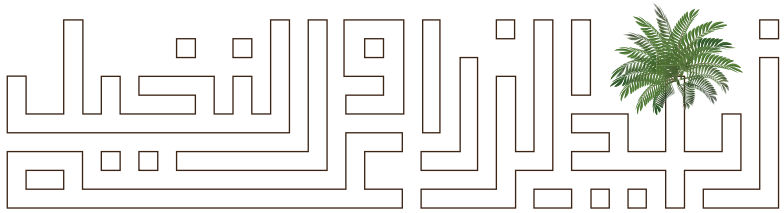

جهود زايد..
بداية النهضة الزراعية برأس الخيمة

الكتور محمد فارس الفارس
أستاذ مساعد, كلية الآداب بجامعة الشارقة

في الستينات من القرن العشرين، تطورت النظم الزراعية في الإمارات بفضل عاملين: الأول محطة التجارب الزراعية التي أنشئت بدعم من السلطة البريطانية عام 1956 بمنطقة الدقداقة برأس الخيمة، وكان لها دور كبير في إدخال الميكنة الحديثة في عمليات الري، وزراعة الكثير من الفواكه والخضراوات الجديدة، أما العامل الثاني فكان جهود المغفور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، في منطقة العين، ووفقاً لإحصاءات عام 1962، كان هنالك 1450 مزرعة في الإمارات المزروع منها ما مجموعه 6 آلاف فدان.[1] ويقول المعتمد البريطاني في أحد تقاريره إن تلك المزارع تنتج مختلف أنواع الخضراوات التي أصبح الطلب عليها كبيراً في إمارات الساحل ويؤمل أن تجد لها أسواقاً في دول الخليج.[2]

استطاعت محطة التجارب الزراعية بالدقداقة تحقيق الغرض من إنشائها بعد أربع سنوات من التجارب الزراعية في رأس الخيمة التي عممت على مناطق أخرى فيما بعد. ويشير أحد التقارير إلى استخدام جزء كبير من الأراضي في الدقداقة للزراعة المكثفة للخضار، وزراعة جزء من الأرض مداورة بمحصول من الحبوب أو العشب لتحلية التربة وتنظيفها، ويقول آير في تقرير له عام 1961 أوضحت لعدد من المزارعين، خصوصاً في رأس الخيمة، كيفية زراعة الأنواع الأوروبية من الخضار التي كان موظفو محطة التجارب يقومون بجمعها ووزنها ونقلها وبيعها، وكانت العائدات تدفع للمزارعين بعد خصم تكلفة النقل، وتطلب كل ذلك قدراً كبيراً من الوقت والعمل من جانب الموظفين. ويقوم الموظفون العاملون في محطة التجارب حالياً بجمع نحو طن ونصف الطن من الخضار أسبوعياً من 35 مزارعاً، ووزن المحصول، وإرساله إلى سلاح الجو الملكي لتوزيعه على الوحدات العسكرية، ويقوم كثير من المزارعين المواطنين بتسويق محصولهم بأنفسهم، ويجب تشجيع المزارعين على زراعة المزيد من أنواع المحاصيل التي لا تتلف بسرعة، ويمكن تخزينها مدة أطول، والتي يوجد طلب ثابت ومنتظم عليها، ويمكن زراعة كميات كبيرة من البطاطس الحلوة التي تستورد حالياً من إيران، ويمكن توسيع الإنتاج المحلي من البصل بشكل ملموس وتحسين زراعة الجزر، وزراعة تشكيلة أكبر من الشمام.[3]

---

* المصدر: جريدة الخليج: ملحق استراحة الجمعة تاريخ النشر: 17/02/2012

وكانت محطة التجارب بالدقداقة وسّعت من مجال عملها لبقية المناطق خارج رأس الخيمة تدريجياً، ومن خلال زراعة بعض الأماكن على سبيل التجربة، ويشير التقرير نفسه إلى أنه في ،1961 كانت الأراضي التي تزرع تحت إشراف محطة التجارب كالآتي:
في الدقداقة برأس الخيمة 12 فداناً، فلج المعلا 3 أفدنة، منطقة العين ثلاثة أرباع فدان، في منطقة السيلي نصف فدان[4]. ومع مرور الوقت، أصبحت هناك مناطق أخرى تشملها زراعة المنتجات الجديدة من الخضار والفاكهة بعد أن كانت تلك المناطق تقتصر على زراعة النخيل، وفي بداية الستينات، زارت بعثة مجلة العربي الكويتية المناطق الزراعية في الإمارات، ويقول محرر المجلة في استطلاعه في زيارة قمت بها لمزرعة في الدقداقة، وجدت العجب العجاب في استعمال السماد، قطعة كبيرة من سمك القرش كانوا يتركونها أياماً طويلة في مجرى مياه الري، إنها أفضل سماد لمزروعاتهم، وخاصة الغليون التمباك الذي لا يكون محصوله وفيراً إلا إذا تم تسميده بسمك العومة ومياه سمك القرش، ووقفت متعجباً أمام الأحجام الكبيرة الضخمة للبطيخ والشمام والبصل والكوسا والبندورة، حيث رأيت في مزرعة واحدة، النخيل العالي يحمي بظلاله أشجار الفاكهة التي بدورها تحمي الخضراوات المزروعة على الأرض، تشكيلة متنوعة ما كان يمكن أن تنجح لولا خصوبة الأرض.[5]

زارت بعثة مجلة العربي إمارة الفجيرة أيضاً عام ،1961 ويقول استطلاع المجلة هناك 30 وادياً خصباً في الفجيرة، والمحصول الأول في الإمارة هو الغليون، إنه بمثابة لؤلؤ الفجيرة، وأفضل أنواع الغليون ذلك الذي يزرع في جبال الفجيرة، ودرجة الجودة تقاس بمدى ارتفاع وانخفاض حرارة الغليون، وهذا أمر خاضع لكيف المدخنين، والمزارعون في الفجيرة عرفوا كيفية زيادة حرارة غليونهم، فقد رأيتهم يسمدونه بما يحب ويشتهي من سمك السردين المجفف العومة الذي كانوا يجلبونه على ظهور الجمال من دبي ورأس الخيمة، وبعدها تأتي عملية إرواء عطش الغليون بمياه الأفلاج العذبة، وأغلب الإنتاج يتم تصديره إلى الخارج، حيث تأتي سفن تجار البحرين والإحساء بالسعودية إلى ساحل المنطقة لشراء ربطات الغليون المجفف بالجملة، وكان يباع محصول المزرعة الواحدة بأكثر من 10 آلاف روبية، وفي الفجيرة 400 مزرعة غليون، أما أشهر إنتاج زراعي فهو الليمون الحامض الصغير اللومي الذي كانوا يجففونه قبل أن يذبل لعدم وجود طرق معبدة توصله طازجاً إلى الأسواق، وتحمل شجرة اللومي كمية هائلة منه سنوياً تقدر بما يراوح بين 15 و30 ألف حبة حسب قول المزارعين، أما منطقة مسافي فنصفها مخصص لزراعة المانجو الهمبة والتين، رأيت فيها أشجاراً عملاقة عمرها 500 سنة، تثمر كل منها بين 8 إلى 10 آلاف ثمرة، وكانت سابقاً تحمل 20 ألف ثمرة، ويبلغ عدد أشجار المانجو في الفجيرة حالياً 90 ألف شجرة، هذه هي أرقام المزارعين التي قيلت لنا، بالإضافة إلى 99 ألف شجرة لومي و7 آلاف شجرة جوافة وأكثر من 600 ألف شجرة رمان، ومليون نخلة . وللاستهلاك الخاص، كان الأهالي في الفجيرة يزرعون القمح والذرة والشعير معتمدين على الأمطار الشتوية، وعندما جاء المدرسون العرب إلى الفجيرة، بدأت زراعة الطماطم والبطيخ والباذنجان

وأصناف من الخضراوات لسد حاجة المدرسين. أما مدينة دبا التابعة للفجيرة فهي مشهورة بخصوبة أراضيها، ووفرة مياهها العذبة، ونخيلها المثمر، والليمون والرمان والفرصاد أي التوت والغليون، أما واحة الذيد التابعة للشارقة، فوجدنا فيها زراعة الجوافة والمانجو واللوز الهندي والبرتقال والليمون الحامض والموز والنخيل.[6]

مع بداية الستينات من القرن العشرين، بدأت الطرق القديمة في الري تختفي تدريجياً، حيث تعتمد على الثيران لجلب المياه، واحتلت المضخات الزراعية جانباً كبيراً من الأراضي الزراعية في رأس الخيمة والفجيرة ومسافي والذيد والعين، وكان للتطور الزراعي الذي لعبته محطة التجارب بالدقداقة دور كبير في تشجيع المزارعين على إدخال الميكنة الحديثة بعدما رأوا نتائج إدخال المحاصيل الجديدة للزراعة في الإمارات، والإنتاج الوفير الذي بدأت المزارع ترسله للأسواق المحلية، ويقول آير في تقريره عام 1961 يمكن استخلاص مؤشر معدل التنمية الزراعية في المنطقة من مبيعات المضخات والمحركات اللازمة للآبار، فخلال الفترة الممتدة من يوليو/ تموز 1959 إلى يونيو/ حزيران ،1960 باع تجار دبي نحو 750 محركاً ومضخة، وجرى تركيب بعض هذه المعدات لاستبدال الطريقة التقليدية في سحب الماء من الآبار، ومن المتوقع أن تكون مبيعات المضخات والمحركات أكبر في الفترة من يوليو/ تموز ،1960 وفيما كنت أتحدث مع التاجر الرئيسي الذي يبيع هذه المعدات، وصل رجل من ساحل الباطنة لشراء ثماني مضخات ومحركات، ودفع نحو 16 ألف روبية نقداً ثمناً لها[7]. ويبدو أن آير يقصد بالتاجر الرئيسي الذي يبيع هذه المضخات، ناصر عبداللطيف السركال الذي يقول في مقابلة معه قام بعض التجار المحليين بشراء المضخات منا بالجملة وبيعها للمزارعين، فأصبح لهذه التجارة سوق رائجة دخل فيه كثير من التجار في الستينات، وصاروا يستوردون المضخات بجانب بضائعهم في كل من الإمارات وسلطنة عمان، منهم الحاج موسى عبدالرحمن حسن، ومحمد وعبدالصمد الكيتوب، ومحمد عبدالرزاق بستكي وسعيد جمعة النابودة، وكانت لجهود الخبير الزراعي الإنجليزي هانتنغتن الذي كان يدير محطة التجارب الزراعية برأس الخيمة دور كبير في تطوير الزراعة ومساعدة المزارعين بالقروض وحفر الآبار، ولما كانت الزراعة قد اتسعت في الإمارات، وشملت مناطق عديدة، منها مناطق صحراوية

مياهها عميقة تصل إلى 100 قدم وأكثر، فإن المضخات التي جلبناها لم تكن قادرة على رفع المياه من أعماق تتجاوز 25 إلى 50 قدماً، لذا فإنني في عام 1962 جلبت آلة حفر للآبار العميقة، وشرعت بحفر أول بئر في مزرعتي.[8]

كان لتوفر المياه الغزيرة دور كبير في تحول العين وبقية القرى التابعة لأبوظبي إلى واحة غناء، وأدى الشيخ زايد الذي كان ممثلاً لشقيقه الشيخ شخبوط في العين في فترة الخمسينات وبداية الستينات الدور الرئيسي في تطوير نظم الزراعة، وهناك العديد من التقارير البريطانية التي تحدثت حول هذا الموضوع، ومنها تقرير كتبه هاولي المعتمد البريطاني بتاريخ 11 أكتوبر/ تشرين الأول 1958 يقول فيه سألت الشيخ زايد إذا كان قد فكّر في كيفية إنفاق العائدات النفطية إذا ما ثبت أن النفط المكتشف قبالة جزيرة داس يمكن استغلاله تجارياً، قال: إنه لم يفكّر كثيراً في المسألة، لكن الأشياء التي تجول في خاطره باعتبارها الأكثر إلحاحاً هي إقامة المستشفيات والمدارس وتحسين إمدادات المياه من القرى[9]. وبعد شهر من ذلك أي في نوفمبر/ تشرين الثاني ،1958 زار ورانوب أحد مسؤولي دار الاعتماد في أبوظبي، منطقة العين، وكتب يقول توجهنا بالسيارة إلى قرب المنبع الذي غرز فيه الشيخ زايد في فترة سابقة من هذه السنة أربعة ثقابات لتحسين مجراه، وهناك التقيت بسلطان العامري ملاحظ عمال الشيخ زايد، فأرانا ثقابين إضافيين يجري غرزهما في تلك اللحظة، ويدفع زايد 70 روبية عن كل خمس أقدام يجري حفرها، يقدم زايد أيضاً الطعام ووسيلة النقل مجاناً، ويعطي إكراميات إضافية، وعلمت أن الثقابات الأربعة التي تم غرزها هذا الصيف وصلت تكلفتها إلى 30 ألف روبية، ويشكل الثقابان الجديدان اللذان يجري إنشاؤهما جزءاً من خطة ترمي إلى غرز أكثر من 20 ثقاباً إضافياً تمتد إلى أكثر من ربع ميل إلى وادٍ قريب، وتصل تكلفتها إلى ما يقرب من 50 ألف روبية.[10]. . وكانت بعثة مجلة العربي الكويتية زارت العين في بداية الستينات، وكتب محررها يقول لولا مياه الأفلاج ما كانت العين ومزارعها ونخيلها، والأفلاج نظام فريد اخترعه الإنسان لاستخراج المياه الجوفية وتحويلها إلى مزارعه، وموقع العين تحت ظلال جبل حفيت الذي تتجمع مياه أمطاره في طبقات صخرية عند قاعدته، جعل من السهل سحب مياه الفلج من قاعدة الجبل، حيث تحفر البئر الرئيسة الأم بالقرب من هذه القاعدة، وبجانبها تحفر آبار عدة بين الواحدة والأخرى نحو سبعة أمتار، ومن فوهات هذه الآبار ينزل الحفارون لشق قناة أفقية تربط قاع كل بئر بقاع الأخرى بشكل انحداري تنساب فيه المياه لمسافة تصل أحياناً إلى

23 كيلومتراً حيث المزارع والبساتين، وهذه الأفلاج لها قصص مثيرة تختلط فيها الأساطير بالحقائق، فهي تكاد تكون إعجازاً في هذه المنطقة الصخرية النائية، وقابلنا سلطان العامري ملاحظ عمال الشيخ زايد الذي قال لنا إنهم ينزلون إلى عمق 14 باعاً تحت سطح الأرض، ويحفرون الآبار في الأرض الصخرية بالشاكوش والمسمار، وفي أعماق الأرض، يتم توصيل هذه الآبار ببعضها بعضاً بواسطة قنوات، ولمعرفة اتجاه القنوات الأرضية يتم تتبع أصوات الحفر التي تسمع من مسافة 13 باعاً، وشارك الشيخ زايد في حفر بعض الأفلاج بنفسه، كما أمر بإنشاء فلج العين وهو أكبر الأفلاج ويبلغ طوله 15 كيلومتراً، وتجري مياهه على عمق 22 متراً، وتقوم بتغذيته مياه 198 بئراً تم حفرها، وهكذا أصبح بالإمكان ري المزارع مرة كل 12 يوماً بعد أن كان كل 35 يوماً.[11]

وكتب هندرسون تقريراً في 27 مارس/ آذار 1960 يقول فيه خلال زيارة قمت بها في الآونة الأخيرة إلى منطقة العين، شاهدت بعضاً من العمل الذي يقوم به الشيخ زايد في أفلاج الري، فقد حفر عدة آبار جديدة، ويقوم بوصلها مع الأفلاج الموجودة حالياً، وكانت الحكومة البريطانية قد أنفقت منذ منتصف الخمسينات قرابة 5 آلاف جنيه إسترليني على تنظيف الأفلاج، لكن الشيخ زايد أخذ يقوم بأعمال حفر بحثاً عن منابع جديدة، إضافة إلى القيام بمزيد من أعمال التنظيف، وهذا يمتص مبالغ طائلة، وأعتقد أن زايد ربما كان ينفق زهاء 50 ألف روبية في السنة منذ عام ،1955 وكانت نتيجة العمل الذي نفذ منذ ذلك الوقت مجزية جداً، فعلى سبيل المثال، لم يكن بالإمكان ري جزء من بستان المويجعي إلا مرة كل خمسة أسابيع، ولم يكن ممكناً إطلاقاً ري ما يزيد على ثلثه في أكتوبر/ تشرين الأول ،1955 لذلك كانت الأشجار تموت، أما الآن فيمكن ري كامل البستان كل ثلاثة أسابيع تقريباً، وتحصل الآن البساتين الأخرى في تلك القرى على ضعفين أو ثلاثة أضعاف مما كانت تحصل عليه سابقاً من الماء، وربما تحصل قرية العين وهي الأكبر على أضعاف عديدة مما كانت تحصل عليه من إمدادات المياه عندما يتم وصل الآبار الجديدة بواسطة القنوات التي يتم شقها الآن تحت سطح الأرض، وفي السابق كان المزارعون يدفعون ضريبة الماء بما يتناسب مع عدد الساعات التي يتم فيها ري حقولهم وبساتينهم، وقام الشيخ زايد بإلغاء هذه الضريبة، وأصبحت المياه تدفع مجاناً، ومن اللافت للنظر أن تمنح المياه مجاناً في بلد تكلفة المياه فيه باهظة جداً.[12]

عبدالله هلال الكويتي كان أحد الذين تولوا مسؤولية الإشراف على الأفلاج، ويقول في مقابلة معه العين من أهم المراكز الزراعية، ومنذ القدم، كان النخيل أهم ما يزرع في هذه الواحة، وقدر عدد النخيل في العين بنحو 350 ألف نخلة، وكانت أغلب هذه البساتين من النخيل تعتمد في حصولها على المياه الجوفية على الأفلاج، والأفلاج المعروفة في العين هي: العين (الصاروج)، الداوودي، الهيلي، المويجعي، القطارة، الجيمي، المعترض، فريد، وتنتج هذه الأفلاج أكثر من 11 مليون غالون يومياً، وكل هذه الأفلاج جارية منذ مئات السنين ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاء، ويعتبر الصاروج أكبر الأفلاج وسمي كذلك لأنه كان مبيناً من الطين المحروق المسمى بالصاروج، وكان مزارعو العين يقومون شتاء كل عام بزراعة البر والحنطة حول مزارع النخيل، وفي مساحات واسعة وبكميات كبيرة تحقق الاكتفاء الذاتي لأهالي المنطقة طوال العام، كما أن كميات كبيرة منها كانت تصدر لأسواق دبي وأبوظبي، وكانت تنتشر بين أشجار النخيل، أشجار الليمون بأعداد كبيرة ويتم شحنها وتصديرها إلى الأسواق الساحلية في صيف كل عام.[13]

من ضمن المناطق الزراعية في الإمارات، واحة ليوا التابعة لأبوظبي، ويتحدث جابر بن راشد الهاملي عن ذكرياته في فترة ما قبل النفط، فيقول كانت واحات النخيل وثمارها اللذيذة الطازجة من مختلف أنواع الرطب والمياه العذبة والطقس العليل من أهم الحوافز الجذابة التي كانت تدفع العائلات للرحيل كل صيف إلى محاضر ليوا. وكان الكثيرون من أهالي أبوظبي يمتلكون مزارع نخيل خاصة بهم في ليوا، وكان هناك من يستأجر عدداً من أشجار النخيل ليستفيد من رطبها خلال فترة إقامته في تلك الواحات، وكانت الإقامة هناك في بيوت من سعف النخيل تكون كل عائلة قد اتفقت مسبقاً مع عمليها المزارع على أن يبني لها عدداً منها تناسب وتكفي أفراد العائلة ومستواها.[14]

لو قارنا بين الوضع الزراعي بالإمارات في بداية الخمسينات به في منتصف الستينات، أي خلال مدة 15 عاماً فقط، سنرى الفارق الكبير بين الوضعين، ففترة ما قبل الخمسينات، كانت زراعة النخيل هي الغالبة، وكان نمو مزارع النخيل يتم بشكل فردي وعشوائي، ولا شك في أن محطة التجارب الزراعية التي أنشئت بالدقداقة عام 1956 لعبت دوراً رئيسياً في تحول الواحات الزراعية بالإمارات إلى أراض منتجة لمختلف أنواع الفاكهة والخضراوات.

ويقول رونالد هاولي، المعتمد البريطاني، في كتابه عن الإمارات إن فترة الستينات شهدت تطوراً كبيراً على مستوى الزراعة، والاهتمام الحكومي بهذا القطاع، ففي عام ،1963 أنشأت رأس الخيمة دائرة للسجل الزراعي، وكانت الأرض تعتبر ملكاً للإمارة، ولكن بحكم العادة، استطاع جميع مواطني رأس الخيمة المطالبة بامتلاك أرض زراعية مجانية من الحاكم، وطلب مجلس حكام الإمارات من شركة وليم هالكرو القيام بمسح لمصادر المياه خلال الفترة من 1964 إلى 1967 بتكلفة مقدارها 330 ألف جنيه إسترليني، وفي عام 1968 نمت محطة التجارب الزراعية لتصبح مجمعاً لكل المرافق اللازمة للتطوير الزراعي، وكانت التجارب تجري في الدقداقة وفلج المعلا وكلبا، ويستطيع المزارعون المحليون شراء حبوب الخضراوات التي تم اختيارها، وكذلك النباتات الصغيرة والمخصبات والمبيدات الحشرية، وكان بإمكانهم أيضاً استئجار الآلات الزراعية من الدقداقة [15].

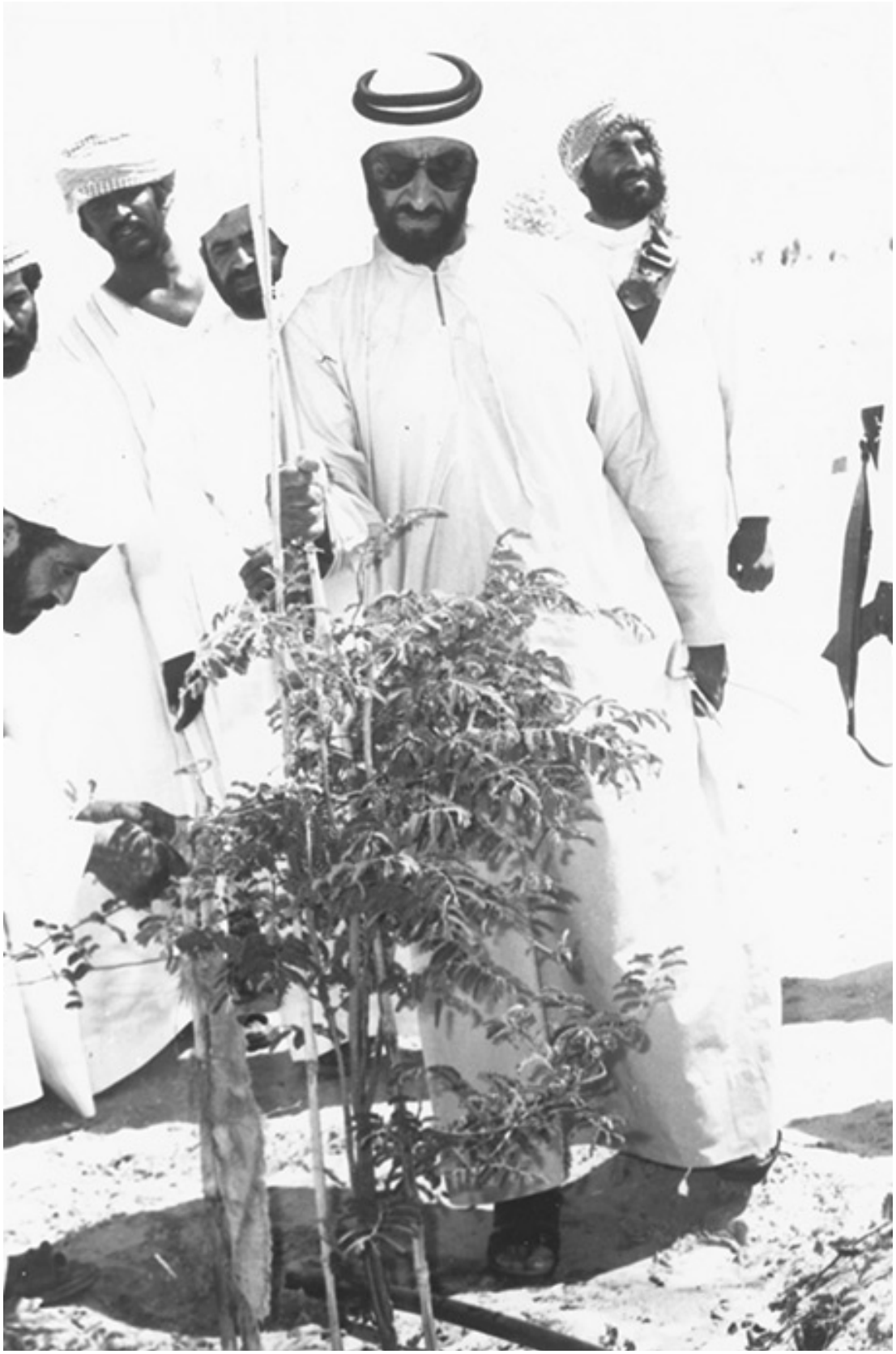

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

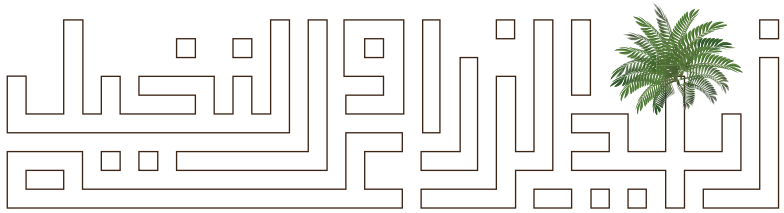

زايد عن قرب
الجنـة الصغـيرة*

الأستاذ وجيه أبو ذكري
صحفي في جريدة «أخبار اليوم» المصرية

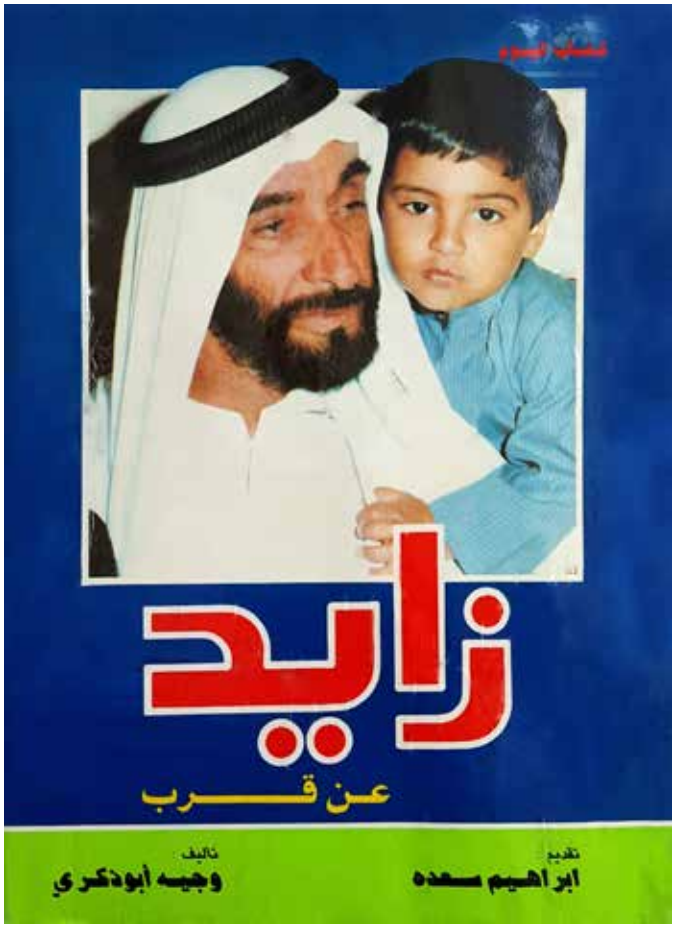

شاءت الأقدار أن أتابع زايد في ثلاثة مراحل من مسيرته، الأولى عندما كان حاكماً لمنطقة العين، والثانية عندما أصبح حاكماً لإمارة أبوظبي، والثالثة عندما أصبح رئيساً لدولة الإمارات. ولقد بهرني الرجل في كل هذه المراحل بمسلكه الإنساني في الحكم، وقد غازلتني فكرة إصدار كتاب عن فلسفة إنسانية الحكم أو تسخير السلطة للخدمة العامة وليس للتسلط، وظلت الفكرة تراودني وتغازلني، حتى جاء العام 1991 ويعرض الأستاذ الجليل إبراهيم سعدة، رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم فكرة الكتاب التي راودتني سنوات، فوجدت القلم ينساب على الورق، مستخرجاً ذكريات سنوات طويلة، مضت فكان هذا الكتاب.

غادرت أبوظبي في نهاية السبعينات، وعدت إلى عملي في مؤسسة أخبار اليوم، وشغلني العمل عاماً بعد الآخر، وازداد شوقي إلى هذه المدينة التي

* المصدر: «الجنة الصغيرة» الفصل السابع من كتاب «زايد عن قرب» للمؤلف وجيه أبو ذكرى، منشورات مؤسسة «أخبار اليوم» جمهورية مصر العربية 1991

عشت فيها عدة سنوات، ولي بها عشرات الأصدقاء من أهلها والمصريين والفلسطينيين. وفي نهاية العام 1991، تلقيت دعوة لزيارة دولة الإمارات العربية المتحدة من الصديق معالي الأستاذ خلفان الرومي، وزير الإعلام، وأفسحت لهذه الدعوة وقتاً لتلبيتها، لأصل الزمن القديم بالحاضر، ولألتقي بالأصدقاء القدامى، وأشاهد الدولة التي عشت فيها سنوات من عمري في (الزمن القديم) كنت أعرف العاصمة شارعاً شارعاً، بل ربما بيتاً بيتاً.

خرجت من بطن الطائرة التي أقلتني إلى أبوظبي، وسرت في الممر الذي يربط الطائرة بمبنى الركاب.

لقد سافرت ثلاثة أرباع الدنيا على الأقل، ولكني لم أشاهد خلال جولاتي حول العالم مطاراً صغيراً وجميلاً كهذا المطار، لم يكن هذا المبنى هو الذي ودعته يوم رحيلي إلى القاهرة، إن مبنى المطار الجديد تحفة فنية جمالية رائعة، وهو في نفس الوقت تحفة هندسية، إن مبنى الركاب يشبه زهرة جميلة بألوان زاهية، يسير الناس في دائرة كاملة حول هذه الزهرة ذات الألوان الجميلة، والأرض الرخامية البيضاء النظيفة، وركاب من كل الجنسيات العربية والأجنبية، جاءوا للمشاركة في إقامة نهضة دولة الإمارات.

خرجنا من المبنى الجميل بعد إجراءات الدخول العاجلة والمنظمة إلى الطريق، مرة أخرى تساءلت ما هذا؟

لقد سرنا في طريق واسع وعلى جانبيه غابة من الأشجار، وفي وسط الطريق نخيل قصير مثمر.
قال مرافقي مندوب وزارة الأعلام:
إن زايد يفضل الأشجار المثمرة، ويترك الثمرة ليقطفها سكان أبوظبي مجاناً بشرط ألا يضروا الشجرة.
وإبتسم مرافقي ... وقال:
إن حياة الشجرة لا تقل عن حياة المواطن عند رئيس الدولة.

لقد تركت أبوظبي منذ عدة سنوات ... لا تحتسب في حياة المدن والشعوب. وعدت إليها لأجد مدينة أبوظبي، وقد تغيرت تماماً، لا أبالغ عندما أقول أنها من أجمل المدن التي رأيتها، أن اللون الأخضر قد التهم تماماً اللون الأصفر، وتحولت المدينة إلى بستان أخضر، ونافورات جميلة، ونظافة تامة، حتى أن رائحة الهواء قد تغيرت - كانت رائحة الهواء معبأة بالرطوبة ورائحة البحر، ولكن الآن - وقد امتلأت أبوظبي بالحدائق – فقد امتزجت رائحة البحر برائحة الزهور والرياحين، وثمار الأشجار، إن انقلاباً قد حدث في هذه المدينة في مدة تزيد عن عشرة سنوات بقليل.

كان المشهد - من شرفة غرفتي بالفندق - غاية في الجمال - الأشجار في كل مكان - الناس في الحدائق سعداء، والبنايات الشاهقة الجميلة وقد دخلت مسابقة الجمال مع الأشجار.

قضيت ساعات في الشرفة، مستمتعاً بهذا الجمال، حتى جاء المساء، وإذ بأضواء هذه المدينة، وتلك النافورات تضع أمامي لوحة جميلة جديدة، غير تلك اللوحة التي شاهدتها فور وصلي من السفر.

مازلت في شرفة غرفتي بالفندق الفاخر أشاهد تلك اللوحات التي أمامي، وعدت بذاكرتي إلى لقاء الشيخ زايد في منتصف الستينات في مدينة العين معاناة الناس ـ وآمال الشيخ زايد.

كان الرجل حاكماً للمنطقة الشرقية، وكان يحدثنا عن آماله في المستقبل، كان يرى أن شعبه قد عانى كثيراً من قسوة الحياة، وكان يريد أن يبنى له جنة صغيرة على ضفاف الخليج، جنة فيها المزارع والأشجار والغابات والبساتين، جنة صغيرة فيها المنازل والإضاءة والهواء البارد، جنة صغيرة فيها المدارس والمساجد والمستشفيات، جنة صغيرة فيها الطرق معبدة والناس سعداء في أمن وأمان.

خرجنا من عنده، ونحن - سعد غزال وأنا - في دهشة من أحلام هذا الرجل - بل إتفقنا - سعد غزال وأنا - بأنها أحلام مستحيلة.
نعم أحلام.. يستحيل تحقيقها.
كيف يمكن زراعة هذه الصحراء؟
من أين الماء لزراعتها؟
من أين الأمكانيات المادية لتشجير هذه الصحراء الهائلة؟

ثم من أين خبراء زراعةالصحراء؟
ولكن.....
كان عقلي يؤكد إستحالة تحقيق هذه الأحلام..

وكان قلبي يقول أن الرجل سوف يصنع تاريخ هذه المنطقة.
وكانت الأجابة على منطق العقل.... خيالية بعيدة عن الواقع ورؤية المستقبل بموضوعية.
وكانت الإجابة على منطق القلب.. منطقية وواقعية.

بعد ربع قرن من هذا اللقاء.. أصبح اللامعقول.. واللامنطقي واقعاً ملموساً أراه الأن من شرفة غرفة الفندق بل إن الواقع الذي أراه فاق تلك الأحلام التي تحدث معنا زايد عنها منذ ربع قرن مضى.

وقررت أن أضع في برنامج زيارتي ... دراسة كيفية إقامة هذه الجنة الصغيرة على تلك الرمال الجدباء.
وبدأت رحلة البحث.

كان السؤال الأول الذي بحثت عن إجابته.. من أين جاءت تلك الأحلام التي روادت زايد منذ طفولته، لإقامة تلك الجنة الصغيرة؟

في طفولته.. عرف زايد معلومة.. ظلت راسخة في عقله، حتى أمسك بالسلطة، وبدأ يحقق الحلم انطلاقاً من هذه المعلومة التي إستقرت في ذاكرته حتى اليوم... تقول المعلومة أن الجزيرة العربية كانت من منذ خمسة عشر قرناً من الزمان - تتمتع بجو معتدل، ومناخ رطب، وأمطار غزيرة تهطل في معظم شهور السنة، وبالتالي فقد كانت الأرض شبه طينية، وأن الغابات والمزارع كانت تكسو مناطق شاسعة من هذه الأرض، ثم دخلت الجزيرة العربية عصر الجفاف، وبدأت هجرة السكان إلى وادي النيل ووادي الفرات، وماتت الأشجار ودفنت تحت الرمال، وتحولت بمرور الوقت إلى طبقات نفطية.

إذن.. من الممكن زراعة هذه الصحراء.. ومن الممكن - أيضاً - إعادة الغابات إلى هذه المنطقة، فربما تكون هذه الزراعة، هي بداية نهاية عصر الجفاف.. وتعود الأمطار مرة أخرى على الجزيرة العربية.

وبهذه المناسبة ... أذكر حادثة حدثت عام 1975، وشاركت فيها ـ لقد أعلن عام 1975، أنه ستجرى صلاة الإستسقاء غداً، وعلى المواطنين والمقيمين المشاركة في هذه الصلاة.

كانت الأمطار الموسمية القليلة قد تأخرت، ولم أكن أعلم أن زايد كان حزيناً لعدم سقوط الأمطار.. إنه ينتظر الأمطار، انتظار العاشق لحبيبته، وأخذت ابني وكان

عمره لا يتجاوز التاسعة، وذهبنا إلى مكان الصلاة، ووجدنا جمعاً كبيراً من الناس، وجاء زايد.. وصافح الجميع... وتمنى أن يستجيب الله الدعاء لهذا الجمع الغفير.. وبدأت الصلاة.. وما إنتهت حتى رفع الرجل يديه للسماء.. يدعو الله ألا يخذل هذا الجمع.

كانت الأمطار الموسمية القليلة قد تأخرت، ولم أكن أعلم أن زايد كان حزيناً لعدم سقوط الأمطار.. إنه ينتظر الأمطار، انتظار العاشق لحبيبته، وأخذت ابني وكان عمره لا يتجاوز التاسعة، وذهبنا إلى مكان الصلاة، ووجدنا جمعاً كبيراً من الناس، وجاء زايد.. وصافح الجميع... وتمنى أن يستجيب الله الدعاء لهذا الجمع الغفير.. وبدأت الصلاة.. وما إنتهت حتى رفع الرجل يديه للسماء.. يدعو الله ألا يخذل هذا الجمع.

ومرت ساعات - لا تزيد على يوم واحد من إقامة هذه الصلاة. وهطلت الأمطار بغزارة، وذهب الناس إلى قصر زايد لتقديم التهنئة إليه وكان هذا الحدث واحد من أهم الأعياد عند رئيس دولة الإمارات.

عندما تولى زايد السلطة في إمارة أبوظبي في السادس من أغسطس عام 1968، أعلن فوراً عن مشروع طموح لتشجير الطريق من مدينة أبوظبي إلى مدينة العين، وكأنه في سباق مع الزمن، وكان الطريق لم يكتمل تمهيده بعد، ولكنه يريد أن ينهض بكل شيء في وقت واحد.

كان هذا المشروع هو أكبر تحدي لقهر الصحراء.
وإعلان هذا المشروع عالمياً
وجاء إلى أبوظبي الجادون والنصابون والمحتالون.
ولكن زايد بفراسته إستطاع أن يفرق بين الغث والثمين.

وبدأت الشركات الجادة في تشجير الطريق وكان بنفسه يشرف على مراحل تشجير الطريق.

والآن.. وأنت تقود سيارتك من العين إلى أبوظبي أو العكس.. تشهد على جانبي الطريق وفي منتصفه الأشجار الجميلة.. فأعرف أن وراء هذا المشهد الجميل قصة كفاح بطلها زايد. إن قصة تشجير هذا الطريق تعتبر واحدة من من ملامح الكفاح الرهيبة التي خاضها زايد مع البيئة حتى أصبح هذا الطريق الطويل بهذا الجمال، وهذه الكثافة من الأشجار.

كان طريق أبوظبي العين هو أكبر تحد لسمو الشيخ زايد.. وكان نجاح تشجير هذا الطريق هو عنوان نجاح زايد في قهر الصحراء، ومعها، وبعدها، بدأ في تشجيع المواطنين لزراعة الأرض، وإستطاع زايد أن يخلق مناخاً جديداً، أو تقليداً جديداً، بضرورة أن يقوم كل مواطن بزراعة الأرض، أي أرض، حتى لوكانت عدة أمتار قليلة حول قصره أوفيلته أو منزله، وملك الناس الأراضي لزراعتها، وشجعهم بالمال والحوار.

ودخل هو شخصياً في معركة أخرى لا تقل ضراوة عن معركة تشجير طريق العين أبوظبي. لقد جاء بالعلماء من مختلف بقاع العالم لدراسة أرض جزيرة أبوظبي، وانتهت الدراسات بأن جزيرة أبوظبي تعاني من التصحر، بالإضافة إلى ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن ظاهرة التصحر وهي:

إنجراف الرمال نحو المزارع والتي أُقيمت فعلاً في الجزيرة وتراكمها حول النباتات مما يؤدي إلى دفنها والقضاء عليها.... وكان هذا معناه القضاء على جهود زايد في إستصلاح الأراضي وزراعتها نتيجة زحف الكثبان الرملية عليها ودفنها.

فماذا فعل الرجل؟

لقد قام بتسطيح الكثبان والتلال التي تهب منها الرمال.. وفرش طبقة جديدة من الطين فوقها.. وقام بتقسيمها إلى مساحات وزعت على المواطنين لزراعتها بعد

أن أقام الأحزمة الخضراء من الأشجار حولها لكي تعمل كمصدات للرياح ولتثبيت التربة وتهيئتها للزراعة.

ولم يكتف زايد بذلك بل أمر بزراعة الغابات حول المدن لخلق جدار طبيعي يحمى الزراعات والمدن من هجمات الصحراء المحملة بالرمال وإضافة رئة طبيعية لإمتصاص أي نسبة عالية من غازات ثاني أكسيد الكربون التي تهدد بظاهرة زيادة درجة حرارة الأرض وتغيير المناخ.
تأتي المعركة المتوازية ... والمتزامنة مع معركة الزراعة، وهي معركة المياه؟
وجد أن هناك ثلاثة مصادر للمياه ممكن أن تمد الزراعة في إمارة أبوظبي هي:

- مياه الأمطار.
- تحلية مياه الخليج.
- الآبار.

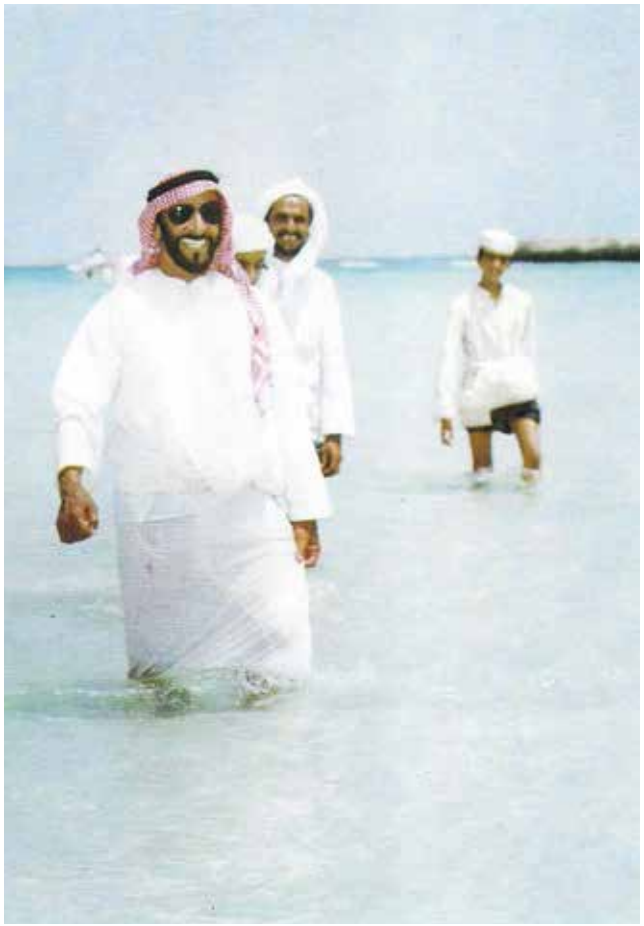

بالنسبة لمياه الأمطار ... قرر زيادة الإستفادة من كل قطرة حياة تهبط على إمارة أبوظبي من السماء، فأقام سدوداً صغيرة كثيرة لحجز مياه الأمطار، وأهم سد أقامه هو «سد الشويب» بمدينة العين بتكلفة مليار و 250 مليون درهم، لتخزين 31 مليون متر مكعب من من مياه الأمطار، وتبلغ السعة التخزينة الإجمالية 7 مليارات جالون من المياه، يحتجز منها مليار جالون أمام جسم السد ومليار في القناة الموصلة إلى الخزانات و 5 مليارات في الخزانات السبعة للسد، وتستخدم مياه السد في إستصلاح الأراضي المحيطة به لزراعتها.. أو إنشاء منتجعات وواحات سياحية تستقطب الزوار والسياح، ويبلغ طول السد 3 ألف متر وإرتفاعه 11 متراً وعرض قاعدته 17 متراً وعمقه 8 أمتار ويمر فوقه طريق مرصوف.

لم يكتف زايد بتخضير الصحراء.. بل إمتدت جهوده إلى إستزراع مياه الجزر والخليج نفسه بإستغلال مياه البحر المالحة.. وتم إستزراع مساحات كبيرة من أشجار المانجروف (القرم) التي تعمتد على مياه البحر وساهم بنفسه في إنجاح هذه التجربة الفريدة من نوعها في العالم..

وأشجار القرم تعطي بيئة صالحة لتجدد تكاثر العديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية التي تجد في هذه الأشجار أماكن هادئة لوضع بيضها على جزورها الممتده داخل المياه، كما تجذب هذه الأشجار عدداً كبيراً من الطيور المهاجرة إلى الإستراحة فوقها في رحلتها من الشمال إلى الجنوب في موسم الشتاء.. وتسهم هذه الأشجار في تربية الأغنام فإن التجارب أثبتت أن هذه النباتات غذاء جيد للحيوان، وهكذا أدت هذه الزراعة الفريدة إلى زيادة الثروة الحيوانية في أبوظبي.

وإعتمد زايد على مياه الخليج، سواء لإمداد الناس بمياه الشرب أو لري الجنة الصغيرة ببساتينها الخضراء، حيث أقام عدة محطات ضخمة لتحلية مياه الخليج وتحويلها إلى مياه حلوه يشرب منها الناس والنبات والحيوان وكل شيء حي.

مازلنا نتحدث عن المياه وهي المصدر الأساسي للحياة نفسها، إن زايد واحد من الخبراء القلائل في حفر الآبار ومعرفة أماكن تواجدها في باطن الأرض، فهو الذي استطاع أن يحول منطقة العين بلا إمكانيات عندما كان حاكماً لها إلى بستان أخضر معتمداً على خبرته في إكتشاف آبار المياه، وعندما إقتحم معركة الزراعة على نطاق واسع إستخدم أحدث الأساليب في حفر آبار المياه، وكثرت الآبار وأصبحت واحدة من مصادر الزراعة أقصد الحياة في إمارة أبوظبي.

سأخرج بك من هذا الموضوع الى موضوع آخر جانبي ولكنه هام جداً، وهو علاقة زايد بالعلم، زايد لم يلتحق بجامعة ولكنه تخرج في معركة الحياة بكل ما فيها من تجارب حلوة وكثيراً مرة، ووهبه الله عدة ميزات نادراً ما تجتمع في شخص واحد، اهم هذه الميزات إيمانه الشديد بالعلم وأن العلم ممكن أن يصنع المعجزات، وأن كل الإختراعات والإكتشافات العلمية بدات في البداية حلماً مستحيلاً، وان المستحيل بالصبر والفكر والعلم ممكن أن يتحقق.

لذلك فإن زايد قد إحتضن في ابوظبي كثيراً من المؤتمرات العلمية وتابعها وناقش العلماء في نتائجها ومن أهم المؤتمرات التي عقدت في أبوظبي وكانت تحت رعاية ومتابعة سمو رئيس دولة الإمارات مؤتمر الملوحة ، أي إمكانية إستخدام التكنولوجيا الحديثة في الزراعة باستخدام المياه المالحة عن طريق العلم الحديث (هندسة الوراثة) ا الهندسة الوراثية ، وعندما إنتهى هذا المؤتمر والذي جمع كوكبة من علماء العالم ، عقد زايد مع هؤلاء العلماء إجتماعاً مطولاً كان فيه السائل والحالم والمؤمن بإمكانية العلم في تغيير الكثير من أوجه الحياة.

أقول هنا أن التاريخ سوف يذكر فضل هذا الرجل على إستخدام مياه البحر في الزراعة، وعندما يتحقق هذا الحلم على نطاق زواسع فإن البشرية كلها سوف تنعم بحياة آمنة.

إن المياه الحلوة سوف تكون معركة البشرية في القرن القادم ولو نجحت آمال وأحلام رئيس دولة الإمارات في ري الأرض بالمياه المالحة، فسوف يكون ذلك فتحاص جديداً للبشرية، فليس سراً أن زايد يشجع المعاهد العلمية في أبحاث الملوحة وهذه الأبحاث سوف تخرج للعالم بإذن الله بنتائج مبهرة تقضى على مشكلة الغذاء العالمية.

والآن. ماذا كانت نتائج معركة زايد مع الصحراء
الإجابة طويلة للغاية، ولكن سأوجزها هنا:

في عام 1966 قبل أن يتولى زايد حكم إمارة أبوظبي، أقام دائرة الزراعة والإنتاج الحيواني في مدينة العين وإستطاعت هذه الدائرة أن تصل بزراعة 16124 دونم حتى عام 1970، ولكن سرعان ما قفز هذا الرقم إلى 118144 دونم عام 1988، وهي آخر الإحصائيات التي توصلت اليها، ادى الزيادة في ثماني سنوات بلغت 102020 وهي زيادة تفوق كل التصور وهي موزعة على 2317 مزرعة منتجة لكافة المحاصيل الزراعية.

قيادة زايد لمعركة الزراعة نشرت الخضرة في كل الزوايا والمساحات ، وأحالت الصحراء والجزر إلى واحات خضراء ، وحدائق غناء ، فهنا في قلب الصحراء والجزر الخاوية إنطلقت الزهور اليانعة والأشجار الباسقة والنافورات الملونة ، وقيادة زايد وعزيمته الثابتة وإصراره الذي لايعرف المستحيل هي التي أحالت هذه المنطقة إلى بساط أخضر ساحر في كل الوهاد والسفوح ومواقع الكثبان لتصبح مهداً للجمال والبهجة وموئلاً للورود والثمار وأرض خير للغابات والمشاتل، وقد عبر الشيخ زايد عن هذا التصميم حين قال «كان الخبراء لا يشجعون الزراعة ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، وقلنا لهن دعونا نجرب، ووفقنا الله ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء مما يشجعنا على الاستمرار».

وقد حدد الشيخ زايد رئيس الدولة الأهداف الأساسية لخلط التشجير ووقف زحف الصحراء في الأهداف التالية:

- توفير الأعلاف والمراعي للحيوانات
- تأمين مصدات للرياح
- تخفيف درجة الحرارة
- ترطيب المناخ

إضافة الى أن اللون الأخضر يضفي على البيئة بهجو وجمالاً ويوفر الأخشاب اللازمة للعمران والصناعة وخاصة صناعة السفن وكذلك الحطب للوقود، كما ان الأشجار تشكل مصدراً هاماً لزيادة خصوبة التربة عندما تتساقط عليها أوراق الأشجار وأغصانه وتختلط بالرمال مما يزيد التربة تماسكاً ونمواً وكذلك فإن البذور التي تتساقط عن الأشجار تتكاثر بفضل الأمطار إلى أشجار جديدة وتصبح الشجرة الواحدة عشر شجرات.

يحرص زايد على ان يتابع بنفسه وفي مختلف المواقع والأماكن تفاصيل نمو مشاريع التشجير التي أمر سموه بتنفيذها ويعطي التوجيهات والنصيحة الصادرة عن خبرة فريدة وحكمة عميقة ومعرفة بالبيئة واحتياجاتها، وطلب زايد ضرورة إستخدام أحدث الأساليب العلمية في الزراعة والري ولذلك فلقد تم إستخدام الري بالتنقيط وهو أسلوب أثبت فعالية سواء من ناحية توفير 60% من المياه التي تستهلك عن طريق الري العادي المباشر او عدم جفاف التربة حول جذع الشجرة لدائرة قطرها حوالي سبعين سم وبصورة متصلة على مدار الساعة فيحافظ على تسوية التربة حول الشجرة.

لقد أصبحت أبوظبي والتي كانت صحراء جرداء، بستاناً كبيراً او جنة صغيرة وأصبحت بفضل هذا الإهتمام المتعاظم والمستمر من الشيخ زايد في داخل أبوظبي غابات من الأشجار، وتضم الغابات أشجاراً بيئية أثبتت فعاليتها وفائدتها ومنها الغاف والسمر والسدر والقرط والآراك وهي أشجار تم إختيار أنواعها بعناية وعن خبرة طويلة في معرفة المفيد من هذه الأشجار للمواطنين، وكذلك هنا أشجار من انواع الكافور والكزوارينا والنويف والسينوفيلا والسلم، ومن المزايا

التي تتصف بها هذه الأشجار أنها لا تتطلب إهتماماً كبيراً كالحفاظ على النباتات والحشائش الطبيعية ورعايتها مثل الأرنا والمرخ والرغل تربلكس، كما تضم بعض الغابات النموذجية أشجاراً مثمرة مثل الرمان والتين والجوافة والهمبا (المانجو) والسدر والتوت واللوز واليمون.

وقد تم تخصيص غابات أخرى لتكون مرتعاً للحيوانات البيئة بحيث تتحول الغابات إلى حدائق مفتوحة للحيوانات، وتسرح في هذه الغابات مثل غابة صير بني ياس الغزلان بأنواعها مثل الوضيحي المعروف بالمها العربي وغزلان الريم والروماني والغزال الهندي الأرقط وأبو عدس وظباء النور والعلند الإفريقية، كما توجد فيها طيور النعام بأنواعها وزرافات والأرانب البرية.

إحصائية جديدة أمامي لا تضم مساحة الأراضي ولكنها تضم عدد المزارع وهي:

- تضم المزارع 59 مليون شجرة تنتج 23 نوعاً من الفاكهة.
- لأول مرة تكتفي دولة الإمارات إكتفاء ذاتياً في فصل الشتاء من الخضراوات، بل وتصدر الباقي الى دول المنطقة واوروبا.
- حققت الإمارات إكتفاء ذاتياً من الأعلاف بلغ 87% من الاستهلاك.
- حققت دولة الإمارات الاكتفاء الذاتي من التمر، وتدرس إمكانية تصدير التمر الى أوروبا وهناك دراسات لإقامة مصانع لهذا الغرض.
- هناك تجربة رائدة في دولة الإمارات وهي زراعة القمح في المنطقة الشرقية، حيث أجتمع رئيس الدولة بخبراء الزراعة وطلب منهم زراعة القمح في محاولة للإكتفاء الذاتي من الغذاء، وبدأت التجارب الزراعية عام 1974 وتمت زراعة 19670 دونماً بلغت جملة إنتاجه عام 1990 أكثر من 84 طناً.
- أقام الشيخ زايد العشرات من محطات التجارب الزراعية، ومراكز الإرشاد الزراعي تعطي ارشادها وخبرتها لأصحاب المزارع بالمجان.
- توفير الحكومة الأرض وتحفر الآبار وتتعهد بصيانة الآلات وتقدم ذلك للمواطنين بالمجان.
- تقدم الحكومة القروض لشراء الحيوانات والإعلانات لتربيتها وتوفير الخدمات البيطرية لهم

ماذا عن النخيل

لقد قرأت قصائد كثيرة لزايد يتغزل في النخيل على إعتبار أن النخيل هو واحة الصحراء في كل مكان وزمان، فماذا قدم زايد لتنمية زراعة النخيل في دولة الإمارات.

في البداية أذكر مشاهد النخيل الموجود في وسط الطرق بمدينة أبوظبي والعين والثمار تتدلى منه بكثافة، وطفل يقطف الثمار ويجمعها ويقدمها لأسرته، حيث أن زايد أباح الثمار بالمجان لكل من يريد ان يأكل من أشجار النخيل وسط الطرق وعلى جانبيها.

لزايد الشاعر رأي في النخلة، لزايد رئيس الدولة رأي آخر في النخلة أيضاً، لزايد العاشق للخضرة رأي هام في النخلة.

إنه يرى أن شجرة النخلة هي رمز البقاء والحياة منذ آلاف السنين، إنها جزء حيوي من أصالتنا وتراثنا وتكويننا الإنساني ففضل النخيل على أجيالنا المتعاقبة لا تحده كلمات لقد كانت زادهم في كل المواسم في الصيف والشتاء في الخريف والربيع لقد أعطت النخلة الكثير لأسلافنا في الماضي أيام الضنك وصعوبة العيش، هكذا يرى زايد النخيل.

واليوم نرى الشيخ زايد يرد لها هذا الجميل وينشر نفوذها على كثبان الرمال وسفوح الوديان ولا يبخل عليها بالمياه المتدفقة ويوصل لها المياه في أمكانها البعيدة فيوليها كل ما تستحقه من رعاية واهتمام، يأتي ذلك من حرص زايد على ربط حاضرنا بكل رموز الخيرة الأصيلة المعطاءة في ماضينا العريق.

يقول معالي خلفان الرومي وزير الإعلام، نرى زايد في عصر الرخاء يبعث فينا الإهتمام بتراثنا النبيل بإبله ونخيله وخيله وجميع معطيات البيئة السالفة، ليس فقط عرفانا لجميلها ولكن حتى يكون حاضرنا مستنداً الى قاعدة ثابتة وقوية من ماضينا المجيد.

يقول وزير الإعلام
لقد لازمت النخلة إنسان الإمارات طوال مسيرته في بطن الصحراء وعلى سفوح الوديان وسواحل الخليج قبل عصر النفط كانت الغذاء والظل والمأوى، واليوم نرى زايد لا يكتفي بالعناية بها ونشرها في مختلف الأرجاء والبقاع والبقاع بل يسعى الى استنباط أنواع جديدة منها مما زاد من عدد أصنافها إلى أكثر من 80 صنفاً من أصناف الرطب الشهي الحلو المذاق تحملها أشجار النخيل المتفاوتة من طول جذوعها وقدرة إغداقها على الحمل ونوع رطبها ولونه.

ويتحدث خلفان الرومي حديث الأرقام فيقول:
تشير الإحصائيات الولية التي أجرت في الدولة على ان عدد أشجار النخيل بلغ 15 مليون نخلة معظمها في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي والمنطقة الغربية منها 6 ملايين نخلة في العين و 5 ملايين نخلة في أبوظبي والمنطقة الغربية و 4 ملايين نخلة في الإمارات الشمالية.

ماذا عن البيئة
في البداية، أريد أن أقر واقعاً أن زايد يريد دولة نظيفة منضبطة وهو في ذلك يشرف بنفسه على نظافة مدينة أبوظبي بصفة خاصة والدولة بصفة عامة لايقبل أي تهاون في تجاوز هذا الإنضباط لذلك رشح الكاتب الصحفي المصري محمد عبدالمقصود بجائزة الحفاظ على البيئة في العالم، فلا أعتقد أن هناك رئيس دولة في كل أنحاء المعمورة يعمل بإصرار على منع تلوث البيئة مثلما يفعل رئيس دولة الإمارات.

لنبدأ في مسألة الحفاظ على البيئة الطبيعية، لقد بدأ الاهتمام البالغ بالحفاظ على البيئة بقصة، وهي قصة رجل مدرك أهمية الحفاظ على البيئة يقول زايد:
ذات يوم ذهبت لرحلة صيد في البراري، وكانت الطرائد قطيعاً وافراً من الظباء يملأ المطارد من كل ناحية، فجعلت أطارد الظباء وأرميها وبعد 3 ساعات قمت أحصي ما رميته فوجدته 14 ظبية وعندئذ فكرت في الأمر طويلاً وأحسست أن الصيد بالندقية هو حملة على الحيوان وسبب سريع يؤدي إلى إنقراضه فعدلت عن هذا الأمر وأمرت بعدها بحظر صيد الحيوانات المهددة بالإنقراض.

يقول زايد : كانت طيور الحبارى مهددة بالإنقراض نتيجة إنتشار صيد الحبارى بالصقور المنتشرة في دول الخليج كلها، وكنت أعمل على إكثار هذه الطيور والحفاظ عليها من الانقراض، وقامت حديقة الحيوانات بالعين بهذه المهمة حيث تم إنشاء مضخات مياه كبيرة تفتح المياه على شكل مطر فوق أقفاص هذه الطيور لتشجيعها على التكاثر حيث يشجع المطر على وضع البيض ويوحى لها بنمو العشب والحشرات التي تشكل طعامها الأساسي، وقد أطلقت حديقة الحيوانات 40 طائراً منها الى 3 جزر قبالة أبوظبي لتعيش في بيئتها الطبيعية بعد ان نجحت في الحفاظ عليها من الإنقراض .

وبدأت حملة للحفاظ على البيئة، واخذت شكل توعية إعلامية قادها بنفسه، ثم سلسلة القوانين والإجراءات للحفاظ على البيئة، فلقد قرر الرجل الحفاظ على الطيور والحيوانات المهددة بالإنقراض وإنشاء المحميات الطبيعية للحفاظ على هذه الطيور وحظر صيدها حظرا كاملا وإنزال أشد العقاب على كل من يخالف ذلك.

فقد أصدر الشيخ زايد أمرا بحظر صيد بعض الحيوانات والطيور في كل أنحاء الإمارات وخاصة الأنواع التي أخذ بعضها في الإنقراض وتخصيص مساحة شاسعة كمناطق محمية لتوفير المناخ اللازم لتكاثرها وقام بجلب أنواع فريدة من الغزلان لتربيتها وإكثارها في هذه المحميات وتمتلك أبوظبي حالياً أكبر قطيع من غزلان المها في العالم وقد كان عدد الغزلان عام 1972 أربعة حيوانات للمها فقط وكانت مهددة بالإنقراض نتيجة الصيد الجائر لها وقد وصل عددها الآن الى 2000 غزال.

زايد يؤمن إيماناً قاطعاً بالعلم لحماية البيئة لذلك أمر بإنشاء مركز علمي لبحوث البيئة وقد تم تنفيذه فوراً ويضم عدد كبير من خبراء البيئة وأطلق عليه اسم «مركز بحوث الصحراء والبيئة البحرية» يهدف الى إعداد البحوث والدراسات في مختلف مجالات البيئة والإسهام في تكوين الكوادر العلمية في الدولة وتعميق مفهوم الوعي البيئي لدى الجماهير، ويقوم المركز بإجراء دراسات حول النباتات الطبيعية ونباتات المراعي ودراسة سلالات النخيل والعمل على تحسين خواصها والإكثار منها ودراسة الثروة الحيوانية والسيول وترشيد إستهلاكها وإجراء المسح العلمي لمختلف الأحياء المائية من نباتات وحيوانات بحرية وطرق تنمية الثروة السمكية وإجراء البحوث والدراسات الخاصة بتلوث البيئة البحرية بالزيت، والحد من التلوث البيئي في المياه والهواء والأرض وتحديد مصادره من مبيدات ومخلفات صناعية وبترولية وكيماوية.

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

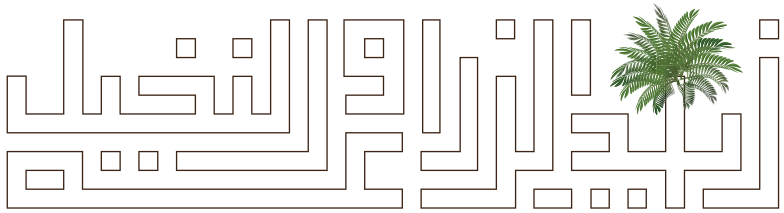

زايد ... ونخيل الإمارات

الأستاذ الدكتور وليد عبد الغني كعكه
أخصائي بيئة زراعية, جهاز أبوظبي للرقابة الغذائية

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان واهتمامه بالزراعة في المنطقة الغربية – 1976
المصدر: الأرشيف الوطني

تعتبر شجرة النخيل ثروة وطنية وذات تاريخ عريق في دولة الإمارات العربية المتحدة ليس كمصدراً للغذاء فقط ولكن لارتباطها النفسي والثقافي بالإنسان الإماراتي، لذلك اعتمدت كشعار لكثير من الدوائر والهيئات الحكومية. وتعتبر شجرة النخيل من أكثر الأشجار المثمرة مقدرة على تحمل الظروف البيئية القاسية لما منحها الله من صفات بيولوجية وفيزيولوجية ملائمة لمناخ الصحراء، حيث تتحمل الشجرة الارتفاع الشديد لدرجات الحرارة واستمرار الجفاف وارتفاع مستويات الملوحة.

ويعتبر النشاط الزراعي في دولة الإمارات العربية المتحدة دعامة أساسية وهامة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويعتبر أيضاً المصدر الرئيسي لتحقيق الأمن الغذائي لأفراد المجتمع حيث تقوم على النشاط الزراعي التجمعات السكانية المستقرة في صورة قرى متكاملة، وتنويعاً لمصادر الدخل القومي. من هذا المنطلق كان اهتمام قائد وراعي النهضة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله .. بقطاع الزراعة .. وفي ظل اتحاد الإمارات العربية المبارك، وبفضل اليد الخضراء لزايد الخير والعطاء زاد الإنتاج الزراعي وأقيمت عليه صناعات غذائية مختلفة عملاً لمقولات سموه الحكيمة **«أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة»، «النهضة الزراعية دعامة من دعائم الاتحاد»، «النخلة كانت وستظل بالنسبة لنا «شجرة الحياة»، نشأنا وترعرعنا معها واستفدنا من خيراتها الوفيرة والمتنوعة حتى أصبح من المستحيل تخيّل الحياة بدونها»، «إننا نرى فيها أسس وجذور حضارتنا ومنبع القوة التي ساهمت في المحافظة على العديد من أجيالنا»، «كان الخبراء لا يشجعون الزراعة ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، وقلنا لهم، دعونا نجرب .. ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء.. مما شجعنا على الاستمرار».** هذه الكلمات لخصت عملية التطور الزراعي في مجال زراعة النخيل وإنتاج التمور، والذي شهدته دولة الإمارات العربية المتحدة منذ أن كان حاكماً للعين من عام 1946 إلى عام 1966م، وأثناء توليه مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي عام 1966م، ثم بمواصلته مسيرة التقدم والتنمية عندما تولى رئاسة دولة الاتحاد عام 1971م وحتى وافته المنية في عام 2004م. ويعتبر هذا التقدم انعكاساً طبيعياً للانجازات الحضارية والتوجيهات السديدة والمستمرة من قبل صاحب السمو رئيس الدولة حفظه الله إلى المؤسسات والهيئات الحكومية المحلية والاتحادية.

إنجازات زايد غير المحدودة

"إن كل من عرف المغفور له الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عن قرب يدرك أن اهتمامه بالزراعة والبيئة لم يكن أمراً عادياً بل كان اهتماماً أثيراً لديه لا يتقدمه إلا إيمانه بالله ثم بالاتحاد وقوته وازدهار الدولة وتطورها وتقدم المواطن ورفاهيته"، "كان هذا الاهتمام جزءاً من نظرته يرحمه الله إلى البيئة بصورة عامة

فقد آمن بأن رعاية البيئة والاهتمام بكل مكوناتها يجب أن تكون إحدى الأولويات في سياسة أي دولة، ولم يترك هذا الأمر للآخرين وحدهم يقومون بإنجاز ما تم التخطيط له بل كان يتابع الموضوع بصورة شخصية وبدأب لا كلل فيه ومتابعة لا تفتر يريد أن يرى الصحراء وقد اكتست باللون الأخضر، وكان في ذلك يرى صورة في خياله تتحقق وتحدياً يتم التغلب عليه وإنجازه فعلاً على أرض الواقع بعد أن رأى الخبراء أن من الصعب أن تنجح الزراعة في صحراء دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكنه صمم وأراد أن تكون التجربة هي الفيصل بين تصميمه المدعوم برؤيته للمستقبل وبين استحالة الزراعة كما يراها الخبراء"، "لذا قدم المغفور له الشيخ زايد لهذه التجربة كل اهتمامه ودعمه المتواصل فنجحت الرؤية وتحقق التصميم وأصبحنا نرى المساحات الهائلة من الصحراء المجدبة وقد تحولت إلى بساتين رائعة وجنان وارفة تنتشر في كل مكان من أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، لقد كان حلمه وهدفه أن تتحول كل أرض الدولة إلى رقعة خضراء مليئة بالمزارع والأشجار والنباتات والبساتين من كل الأنواع والأصناف ولله الحمد تحول هذا الحلم إلى حقيقة واقعة يلمسها ويستمتع بها القاصي والداني". كلمات أعرب بها الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان حفظه الله عن إنجازات والده المغفور له في المجالات الزراعية والبيئية على أرض دولة الإمارات على مدى حوالي ستة عقود (بدءاً من توليه مسؤولية ممثل الحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية في العام 1946 وحتى عام 2004 سنة وفاته رحمه الله).

تتمثل إنجازات زايد غير المحدودة للقائد المؤسس للدولة في بناء الهمم البشرية المعطاءة والتي يمكن الارتكاز عليها في تطوير البنى التحتية الزراعية في الدولة. وقد لخص سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان حفظه الله الإنجازات غير المحدودة للمغفور له الشيخ زايد بقوله "إن عبقرية الشيخ زايد، طيب الله ثراه، في مجال الزراعة تكمن في تحدي المستحيل وهذا يدفعنا إلى تمثل خطاه وألا نرى مانعاً يمنعنا من السعي إلى تحقيق كل أحلامنا من أجل مستقبل أفضل وأن نرى المستقبل بعقولنا وبصيرتنا ونتخيله بأحلامنا على الصورة التي نريد فالواقع الذي نعيشه الآن كان في مرحلة سابقة صورة في خيال المغفور له الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة".

مبادرة "عام زايد"

مبادرة أعلنها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله بأن يكون عام 2018م «عام زايد». وهي مبادرة تعبر عن حب وتقدير وامتنان كل من يعيش على أرض دولة الإمارات للدور التاريخي الذي قام به المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في تأسيس ركائز نهضة حضارية في قلب الصحراء.

إن إعادة أسلوب التعامل مع الثروة الزراعية في الولة، وخاصة أشجار النخيل، أصبح ضرورة ملحة وخاصة مع اهتمام الدول المتقدمة التي تمتلك التقنيات

الحديثة بهذه الثروة. ومن خلال هذه المقالة، سنتعرف على إنجازات الشيخ زايد رحمه الله منذ عام 1946 إلى عام 2004م وسمو الشيخ خليفة بن زايد رئيس الدولة حفظه الله في مجال زراعة النخيل وإنتاج النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة والإنجازات التي تمت في هذا الاتجاه من قبل المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص، والتصورات والتطلعات المستقبلية للتطوير باستخدام التقنيات الحديثة المطلوبة.

اهتمام مبكر في الزراعة

تركز اهتمام الشيخ زايد خلال فترة حكمه لمدينة العين بين عام 1946 وعام 1966م على تحقيق التنمية الزراعية في المدينة وذلك من خلال استغلال المال والخبرات والإمكانيات في تحسين الموارد الزراعية والتي بدورها ساهمت في رفع جزء من معاناة سكان المدينة. وقد أدرك الشيخ زايد أهمية الزراعة لتحقيق الاستقرار وربط المواطن بالأرض التي يزرعها. وركز على ثلاث مهام رئيسية لتحقيق هذا الاستقرار وهي: (1) توفير المياه وذلك بحفر أفلاج جديدة أو ترميم الأفلاج القديمة إصلاح الأفلاج القديمة التي فقدت قيمتها نتيجة الإهمال وحفر أفلاج جديدة لتوسيع شبكة الريّ للاستفادة منها في زراعة وتطوير الواحات في مدينة العين وقراها، (2) إصلاح نظام السقاية على مبدأ العدل والمساواة وإلغاء تجارة مياه الريّ بادئًا بنفسه وأهله، و (3) التوسع في الرقعة الزراعية من خلال استصلاح أراض جديدة.

أحلام زايد

منذ توليه مقاليد حكم مدينة العين إلى وفاته رحمه الله، تعددت أحلام زايد في المجال الزراعي وتركزت على تحويل الصحراء القاحلة (التي لا خضرة فيها ولا ماء باستثناء بعض الشجيرات الصحراوية مثل الغاف والسمر، بالإضافة إلى أشجار النخيل الموجودة في الواحات المتناثرة في عمق الصحراء) إلى حدائق ومنتزهات ومزارع وغابات، وأن تكون الأرض منتجة يستفيد منها السكان. وقد روى أحد أصحابه وهم يركبون الخيل من مدينة العين إلى أبوظبي قول الشيخ زايد "سترى هذه الصحراء من هنا إلى أبوظبي متصلة البنيان متراصة الأشجار وستكون مدينة واحدة". أما تطلعاته وطموحاته فقد عبر عنها رحمه الله بقوله "كانت أحلامي كثيرة، كنت أحلم بأرضنا تواكب حضارات العالم الحديث ولكنني لم أستطع أن أفعل شيئاً ولم يكن بين يدي ما يحقق الأحلام ولكنني كنت واثقاً أن أحلامي سوف تتحقق في يوم من الأيام". ولتحقيق أحلامه، استعان الشيخ زايد بمجموعة من الخبراء والمهندسين العالميين وأخبرهم عن نيته في زراعة الأرض وإنشاء الغابات والتوسع في زراعة النخيل وعمل الحدائق والمتنزهات التي يغطيها العشب الأخضر، بل وأخبرهم بأنه ينوي أن يجعل الإمارات تحقق اكتفائها الذاتي من بعض المحاصيل الزراعية مثل الخضراوات. ورغم آراء الخبراء الدوليين، الذين كانوا يرون استحالة الزراعة في الطبيعة الصحراوية والظروف

المناخية الصعبة لدولة الإمارات، إضافة إلى قلة المياه وشح الأمطار، قيل له حينها بأن مجرد الحلم في الزراعة هو ضرب من ضروب الخيال. وقد برهن لهم الشيخ زايد رحمه الله عكس ذلك وأكد في كلمته في الأول من ديسمبر/كانون الأول 2003 بمناسبة العيد الوطني الثاني والثلاثين، ذلك بقوله "لقد تمكنا من تحويل أرض هذا الوطن، التي قيل إنها لا تصلح للزراعة والتنمية، إلى مزارع تنتشر على مدى البصر .. وإلى حدائق وغابات خضراء ومصانع إنتاجية".

مسيرة زايد في إعمار إمارة أبوظبي

انطلقت مسيرة زايد في تعمير إمارة أبوظبي منذ توليه الحكم في 8 أغسطس 1966، واستطاع من خلال الحكم أن سيبدأ بتطوير وتحديث وتخضير أرض من خلال توفر المال. وقد قال حينها "إنه لا قيمة للأموال إذا لم تستثمر في تحقيق خدمة ومنفعة الجماهير، فالأموال زائلة والأعمال باقية أبد الدهر"، "لا بد من إسعاد هذا الشعب وإقامة نهضة شاملة في كافة المجالات"، وقال أيضاً "أن سعادة ورفاهية المواطنين أمانة في عنقي، وإنني وإخواني الحكام حريصون على السهر وبذل كل جهد من أجل خير المواطنين وتحقيق المزيد من التقدم والرقيّ للوطن". وبهذه الهمة والعزيمة، بدأ الشيخ زايد بتحقيق حلمه القديم وهو النهضة الزراعية في كل مكان من أرض الإمارة، تمثلت النهضة بما يلي:

1. إنشاء المؤسسات والدوائر الزراعية المتخصصة في الزراعة من خلال لإصدار المراسيم الأميرية. وقد رسم الشيخ زايد سياسة تلك المؤسسات وأشرف على أعمالها شخصياً. وكان من أولى تلك المؤسسات "دائرة الزراعة والثروة الحيوانية" في مدينة العين ثم تأسست أقسام زراعية أخرة تتبع دوائر حكومية من أهمها قسم الزراعة بدائرة بلدية أبوظبي. وقد تضمنت دائرة الزراعة والثروة الحيوانية العديد من الأقسام الزراعية الهامة: (1) قسم انتشار المزارع بهدف تسوية وحراثة الأراضي الزراعية وإنشاء المزارع وتوفير آبار المياه فيها، (2) قسم وقاية النبات لمكافحة الآفات الزراعية والمحافظة على سلامة إنتاج المزارعين، (3) قسم الثروة الحيوانية لإنتاج الدواجن والعجول الصالحة للتربية ورفع كفاءة الإنتاج الحيواني، (4) قسم الصحة الحيوانية للمحافظة على سلامة الحيوانات الزراعية، (5) قسم الإرشاد والإعلام الزراعي لتقديم النصح للمزارعين، (6) قسم تسويق الإنتاج الزراعي بهدف تسويق منتجات المزارعين وبيعها، و (7) قسم التحريج والغابات.

2. إصدار القوانين والتشريعات الزراعية الداعمة للتنمية الزراعية في الدولة، حيث أصدر الشيخ زايد رحمه الله العديد من القوانين منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي إلى عام وفاته.

3. إنشاء محطات الأبحاث والتجارب الزراعية. وقد تم إنشاء العديد منها بدءاً من محطة الكويتات في العين عام 1968 وتلاها محطة لأبحاث بالسلامات،

المركز التجريبي بمزيد، ومحطة الحمرانية. وكانت الأهداف الرئيسية لتلك المحطات هو وضع برامج لتحديد المشاكل الرئيسية التي تواجه المزارعين ووضع الحلول لها.

4. توزيع المزارع على المواطنين منذ عام 1969 إلى وفاته رحمه الله (مع استمرار هذه السياسة إلى وقتنا الحاضر). وقد خطط الشيخ زايد لإقامة نظام تمليك زراعي للمواطنين.

5. الاشراف على المشاريع الزراعية. وقد انتهج الشيخ أسلوباً فريداً في المتابعة الميدانية لمشاريع التنمية والتطوير وملاحقة مراحل إنجازها، ويدل هذا الأسلوب على نهج القدوة في مباشرة مسؤوليات الحكم، وقد قال رحمه الله "إنني أريد أن يراني المسؤولون بأعينهم على رأس العمل وفي أي وقت ومن دون تحضير لذلك حتى يقتدي كل مسؤول بهذا الأسلوب في العمل، وصولاً إلى الكفاءة والاقتدار في كل إنجازات الدولة". وقد أشرف الشيخ زايد شخصياً على معظم المشاريع التنموية سواء كانت زراعية أو بيئية أو غيرها، وكان يسأل باستمرار عن أحوال الزراعة من قبل المزارعين وكان يسعد كثيراً بلقائهم. ومن أقواله رحمه الله "إن الحاكم يجب أن يلتقي بأبناء شعبه باستمرار، ويجب أم لا تكون بينه وبينهم حواجز مهما تكن الظروف".

سياسة زايد الزراعية

لا يخفى على أي إنسان عاصر الشيخ زايد، خلال توليه حكم مدينة العين ثم إمارة أبوظبي، بالإنجازات العظيمة التي تمت في مجالات مختلفة، فهو قائد غير تقليدي كانت له رؤية ثاقبة وواضحة في تحقيق العيش الكريم والبيئة النظيفة لشعبه. وقد كبرت رؤية الشيخ زايد منذ أن أخذ على عاتقه مسؤولية دولة الإمارات كرئيس لها. وقد خطط الشيخ زايد حينها السياسة الزراعية للدولة، وتركزت على ما يلي:

- الزيادة المستمرة في مساحة الرقعة الزراعية.

- رفع إنتاجية الأرض الزراعية أفقياً ورأسياً بتوفير الآلات والمعدات والأسمدة واستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة في الزراعة.

- التوسع في الإرشاد الزراعي.

- التركيز على المشاريع الزراعية بهدف تنويع مصادر الدخل القومي والحد من الاعتماد الاقتصادي على النفط. وقد جعل الشيخ زايد مشاريع زراعة نخيل التمر في مقدمة مشاريعه وأدرك حينها أنها الاستثمار الزراعي الأمثل لدولة الإمارات لتحملها الظروف الطبيعية والمناخية القاسية والسائدة في الدولة.

تقدير دولي

حظيت إنجازات الشيخ زايد رحمه الله باحترام وتقدير المنظمات والمؤسسات العربية والإقليمية والدولية في المجالات الزراعية والبيئية، منها:

- منح مهرجان الشباب العربي الذي عقد في بيروت للمغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد لقب رجل البيئة والإنماء لعام 1993 وذلك تقديراً لدوره الرائد في حماية البيئة ومكافحة التصحر.

- في عام 1993، منحت جامعة الدول العربية وشاح رجل الإنماء والتنمية، تعبيراً عن اعتزاز كل الشعوب العربية والإسلامية بجهوده المقدرة في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية على مستوى الإمارات والدول العربية والإسلامية الشقيقة.

- في عام 1995 حصل الشيخ زايد رحمه الله على جائزة مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات بجدة "الشخصية الإنمائية لعام 1995"

- قدمت منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، في العام 1995، للشيخ زايد جائزة تقديرية وميدالية ذهبية تقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية داخل دولة الإمارات ومساهماته في عدد من الدول النامية في هذا المجال.

- نال المغفور له الشيخ زايد في مارس 1997 جائزة (الباندا الذهبية) من الصندوق العالمي لصون الطبيعة تقديراً للجهود التي بذلها في مجال الحفاظ على البيئة وحماية الحياة البرية، ليكون بذلك أول رئيس دولة يحصل على جائزة بيئية عالمية.

- منح الشيخ زايد في يونيو من عام 1997 شهادة الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة من جامعة عين شمس، تقديراً لجهوده الكبيرة في مشاريع التنمية الزراعية.

- اختارت منظمة المدن العربية في دورتها السادسة في مارس 1998 الشيخ زايد لنيل جائزة "داعية البيئة"، وفي نفس العام اختير كأبرز شخصية عالمية من قبل هيئة رجل العام الفرنسية .

تطور عدد أشجار النخيل في مزارع الدولة

بذل الشيخ زايد رحمه الله، جهوداً كبيرة وسخر الطاقات في سبيل تطوير زراعة النخيل على مستوى زيادة عدد أشجار النخيل واتساع الرقعة المزروعة في مختلف أنحاء الإمارات، حيث تطور العدد الكلي والمثمر لأشجار النخيل في الإمارات العربية المتحدة خلال الفترة 1980 - 2002م. ففي عام 1980م كان عدد أشجار النخيل الكلي 1.82 مليون شجرة منها حوالي 1.21 مليون شجرة مثمرة، وتطور العدد الكلي للأشجار في عام 1990م ليصل إلى 13.1 مليون شجرة منها

حوالي 6 مليون شجرة مثمرة. وتبعاً لإحصائيات عام 2002م فقد بلغ العدد الكلي للأشجار 40.7 مليون شجرة (منها 16.3 مليون شجرة مثمرة). ويمثل عدد الأشجار المثمرة حوالي 40.1% من العدد الكلي لأشجار النخيل (الشكل 1). وعن الهدف من غرس الملايين من أشجار النخيل في أرجاء الإمارات العربية المتحدة قال سمو الشخ زايد رحمه الله **«لتعود خيراً ورزقاً وفيراً على الناس جميعاً، بالإضافة إلى ما يضفيه ذلك من نواحٍ جمالية على المدن والحدائق والشوارع والطرقات الجانبية وتلطيف الجو وتوفير الظل والفيء لكل من يستجير بها من هجير الشمس المحرقة».**

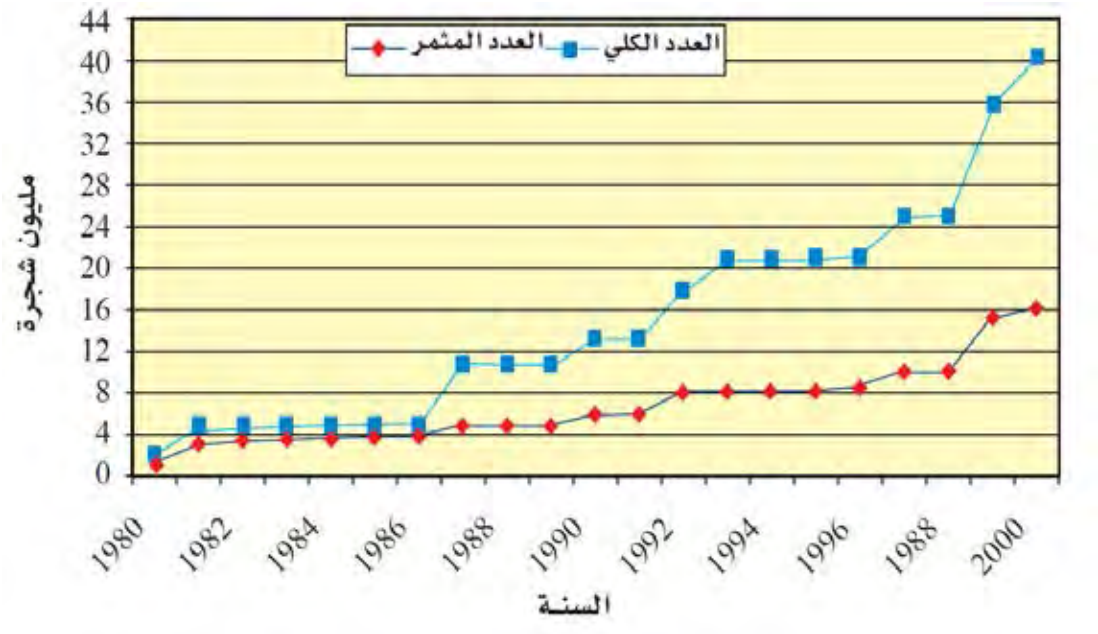

الشكل (1). العدد الكلي والمثمر لأشجار النخيل في الإمارات العربية المتحدة خلال الفترة 1980 - 2003 م.

تطور مساحة مزارع النخيل والإنتاج الكلي

ازدادت مساحة الأراضي المزروعة بالنخيل وكميات إنتاج التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل تدريجي، حيث بلغ إجمالي مساحة الأراضي المزروعة بالنخيل في عام 1961 حوالي 500 هكتار وبإنتاج قدره 6.0 ألف طن من التمور، وزادت المساحة عام 1971م لتصل إلى 660 هكتار وبإنتاج قدره 8.4 ألف طن. وفي عام 1981م بلغت المساحة 6.3 ألف هكتار وبإنتاج قدره 49.1 ألف طن. ونلاحظ أن المساحة قد زادت بشكل كبير في عام 1991م حيث بلغت 22.3 ألف هكتار وبإنتاج قدره 173.1 ألف طن. وتبعاً لإحصائيات عام 2002م فقد بلغت المساحة 185.3 ألف هكتار وبإنتاج قدره 760.6 ألف طن.

مكانة دولة الإمارات عربياً وعالمياً في إنتاج التمور

إن التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته دولة الإمارات العربية المتحدة خلال فترة حكم زايد الخير رحمه الله قد انعكس إيجابياً على زراعة النخيل وإنتاج التمور. وقد أكدت الإحصائيات الزراعية أن هناك تزايد مستمر في عدد أشجار النخيل الكلي والمثمر في كل مناطق الدولة، وزيادة المساحات التي تحتلها أشجار نخيل التمر، بالإضافة إلى زيادة الإنتاج الكلي في السنوات القليلة الماضية. وسبب هذا التزايد هو تطبيق التقنيات المتطورة، وإدخال الميكنة الزراعية، ونقل نتائج أبحاث ودراسات الهيئات المحلية والاتحادية إلى المرشد والمزارع، بالإضافة إلى توفر الأيدي العاملة المدربة.

تطور إنتاج التمور بشكل متزايد في معظم الدول المنتجة للتمور، حيث بلغ متوسط إنتاج التمور العربية خلال الفترة 1999 - 2003م حوالي 4322 ألف طن وهذا يمثل 69.5 % من الإجمالي العالمي للتمور والتي بلغت حوالي 6216 ألف طن. وتحتل مصر والسعودية والإمارات المراتب الثلاث الأولى من ناحية نسبة الإنتاج العربي والعالمي. وقد بلغ متوسط إنتاج التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة 714 ألف طن واحتلت بذلك المرتبة الثالثة عربياً (16.5 % من جملة إنتاج الدول العربية) والرابعة عالمياً (11.5 % من جملة إنتاج دول العالم) خلال نفس الفترة. وإذا إستعرضنا إحصائيات عام 2003م فقط فإننا نجد أن إنتاج دولة الإمارات العربية المتحدة من التمور بلغ حوالي 760 ألف طن وبذلك احتلت المرتبة الثالثة عربياً (بعد مصر والسعودية) وبنسبة 17.1 % من إنتاج الدول العربية، واحتلت المرتبة الثالثة عالمياً (بعد مصر وإيران والسعودية) وبنسبة 12.2% من الإنتاج العالمي.

أعتقد أن دولة الإمارات العربية المتحدة ملكت خلال الفترة الماضية زمام الأمور في إنتاجها العالي للتمور وهذا فرض على المنتجين استخدام كافة السبل التي تمكنهم من تحقيق التقدم المنشود في صناعة التمور على المستوى العربي والعالمي، ومن السبل التي تم التخطيط لها وتنفيذها:

- إيجاد حلول ناجحة لاستغلال هذه الكميات الضخمة من التمور ومخلفاتها بكفاءة.

- ابتكار الطرق الكفيلة للاستفادة من التمور في صورة منتجات غذائية، وذلك عن طريق إقامة المزيد من الصناعات الغذائية التي سيكون لها دور واضح في امتصاص كل الإنتاج من التمور مما يشجع المزارعين على الاهتمام بقطاع النخيل كثروة قومية لها تاريخ.
- تنسيق وتكامل الجهود العربية في مضمار نقل تمور الإمارات إلى الخارج والذي يضمن تحقيق عوائد مجزية وإيصال التمور بشكل جيد ولفترات زمنية ملائمة إلى المستهلك.

أصناف التمور

يوجد في دولة الإمارات العربية المتحدة أكثر من 130 صنفاً من النخيل تم زراعتها خلال النصف الثاني من القرن الماضي، إلا أن معظم هذه الأصناف تعتبر من الأصناف دون المتوسطة، والتي لا ترتقي إلى المستوى التجاري والمردود المقبول، لذا كان لزاماً على الدولة، ممثلة آنذاك بوزارة الزراعة والثروة السمكية، بإجراء دراسة لتلك الأصناف المنتشرة في الدولة واختيار الأفضل منها لزراعتها في ربوع الدولة.

مصانع التمور

إن إتباع الأساليب الحديثة في تعبئة وتغليف التمور من قبل مصانع متخصصة سيحسن من نوعية الثمار ويحافظ عليها خلال فترة خزنها وتسويقها. ولقد اتبعت دولة الإمارات العربية المتحدة خلال التسعينات من القرن الماضي أساليب حديثة في تعبئة وتغليف التمور من قبل مصانع متخصصة والذي أدى إلى تحسين في نوعية الثمار والمحافظة عليها خلال فترة خزنها وتسويقها. وقد ظهر العديد من مصانع التمور بطاقات إنتاجية مختلفة وتتضمن خطوط مختصة بتعبئة وتغليف التمور نثراً أو كبساً، وخط إنتاج عجينة التمور، بالإضافة إلى خط تمور محشاة وخط تمور منزوعة النوى. ومن أهم مصانع التمور في الدولة: مصنع تمور الإمارات في الساد في أبو سمرة قرب مدينة العين، مصنع تمور العين في مدينة العين (استخدام خاص)، مصنع تمور المرفأ في مدينة المرفأ (خاص بتمور المنطقة الغربية)، مصنع الإمارات للتمور في مدينة الشارقة (قطاع خاص)، مصنع الكومي التجارية ومصنع التمر السعودي في عجمان (قطاع خاص)، مصنع تمور خت تمور في رأس الخيمة، مصنع تمور الإمارات في رأس الخيمة (قطاع خاص)، ومصنع تمور الخليج في مدينة الشارقة (قطاع خاص).

تطوير منتجات التمور

اعتمد ازدهار قطاع النخيل والتمور في دولة الإمارات العربية المتحدة على حجم تسويق التمور وازدهاره في ساحة التجارة العالمية وعلى ضوء المعطيات الجديدة لحركة الاقتصاد الدولي والتنافس. بالرغم من وفرة الأبحاث والدراسات حول تطوير المنتجات والاستخدامات فلا يزال السوق العالمي يفتقر إلى العديد من هذه المنتجات ولا تزال الطرق ممهدة للارتقاء بمستوى المنتوج والمساهمة بإنتاج مستحضرات غذائية تدخل فيها التمور أو منتجاتها بشكل أساسي أو جزئي. لذا تركزت الجهود منذ قيام الاتحاد في عام 1971 إلى رحيل زايد رحمه الله في عام 2004م على إيجاد وتطوير منافذ تسويقية واستخدامات متعددة في العديد من الدول. وقد بادرت دولة الإمارات العربية المتحدة بالسير في هذا الاتجاه. ومن أهم توصيات الموسسات الحكومية خلال تلك الفترة: الاستمرار في تطوير الأغذية الشعبية لمنتجات التمور ومحاولة إنتاج وجبات غذائية جاهزة تدخل بها التمور، إجراء الأبحاث الخاصة بالأسواق المحلية والعالمية ومعرفة رغبات المستهلكين لطبيعة الأغذية المنتجة والمستهلكة. التنسيق والتعاون بين مصانع التمور ومراكز الأبحاث والجامعة لإيجاد الحلول المتعلقة بمشاكل التمور وذلك لتحسين النوعية والإنتاج، محاولة تحديد وتثبيت مواصفات ومقاييس وطنية موحدة للتمور المنتجة في دولة الإمارات العربية المتحدة، سواء للبلح المنتج محلياً أو المستورد، وتنمية التقنيات التسويقية وتقوية القدرات التصديرية للتمور ومنتجاتها وذلك بزيادة جودة الإنتاج ووفرته من الأصناف المتميزة.

برامج تربية ورعاية وإنتاج النخيل

تضمن البرنامج المتكامل لتربية ورعاية وإنتاج النخيل العديد من العمليات الزراعية والإنتاجية، من خلال تفادي بعض المشاكل وإيجاد الحلول لها. وقد اعتبرت الري من أهم عمليات الخدمة البستانية، مع تنفيذ التقويم السنوي لعمليات الخدمة المتبع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وأهم هذه العمليات: الاهتمام باختيار الفسائل السليمة للزراعة في المكان المستدام، التسميد وخصوبة التربة، التعشيب أو التنظيف حول النخلة، التقليم وإزالة الرواكيب وتخفيف عدد الفسائل، التلقيح، خف الثمار، التغطية أو التلبيس، التدلية أو التفريد، التحدير(أو التقويس أو التركيس)، والتكميم (تغطية أو تكييس العذوق). وقد تطلب للقيام بهذه العمليات الزراعية والإنتاجية استراتيجية توحدت فيها جهود الجهات المعنية في تقديم الخدمات وإجراء البحوث ووضع رؤية مستقبلية تتناسب مع رؤية حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

برامج المكافحة المتكاملة لآفات النخيل

يعتبر أسلوب الإدارة المتكاملة لآفات النخيل الأسلوب السليم لاستراتيجية المستقبل وذلك في ظل المتغيرات الحديثة وازدياد استخدام المبيدات وظهور آفات جديدة. وقد ارتبطت استراتيجية المكافحة المتكاملة لآفات النخيل بالعمليات الزراعية حقلياً، والتي كانت في إطار الإدارة المتكاملة للنظام الزراعي والخطة الزراعية التنموية في الدولة. ولتحقيق برامج ناجحة للمكافحة المتكاملة لآفات النخيل سواء على المدى القصير أو البعيد وعلى مستوى مزارع صغيرة أو مستوى الدولة بأكملها فقد أوصت الدولة، بمؤسساتها المعنية في مكافحة آفات النخيل، بالعديد من التوصيات، لمتابعة تنفيذها.

دور المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص في تطوير زراعة النخيل

نظراً لأهمية الخدمات الزراعية والبحوث العلمية ودورها في تطوير وتنمية الزراعة بشكل عام وتطور زراعة النخيل بشكل خاص، فقد أولت دولة الإمارات العربية المتحدة اهتماماً كبيراً بالبحوث والتجارب الزراعية في مختلف مناطق الدولة وقد اتسعت مساحات ونشاطات العديد من مراكز ومحطات البحوث. ومن أهم المؤسسات الحكومية ومراكز الأبحاث التي كان ولازال لها دوراً في التقدم العلمي في المجال الزراعي:

- وزارة الزراعة والثروة السمكية وذلك من خلال عدة محطات مثل محطة الأبحاث الزراعية في الحمرانية (المنطقة الشمالية برأس الخيمة)، محطة دبا لأبحاث الفاكهة (المنطقة الشرقية)، محطة الذيد (المنطقة الوسطى بالشارقة)، بالإضافة إلى المختبرات المركزية بالفوعة (مدينة العين).
- وحدات الخدمات والمختبرات في الالحكومات والمراكز المحلية.
- الدوائر الخاصة.
- البلديات (بلدية العين ودائرة بلدية أبوظبي وبلدية دبي).
- القطاع الخاص.
- جامعة الإمارات العربية المتحدة وذلك من خلال مختبراتها ضمن كلية نظم الأغذية (العلوم الزراعية سابقاً)، والمزرعة التجريبية بالفوعة (مزرعة الكلية)، ومختبر زارعة الأنسجة النباتية (الفوعة).

السياسات الزراعية الخاصة بتنمية النخيل

شاركت المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص في عهد زايد رحمه الله بوضع العديد من التوصيات لنجاح العمليات والسياسات الزراعية والتي يمكن أن يستعين بها الجيل القادم من المهتمين بهذه الشجرة المباركة.

توصيات لنجاح برنامج تربية ورعاية وإنتاج النخيل:

- الاستمرار في إجراء مسح لأعداد النخيل وأصنافه المتجددة وتوزيعه في كل إمارة، تحت ظروف مناخية مختلفة، للحصول على معلومات إحصائية دقيقة.
- تأهيل وتدريب العمال على ميكنة عمليات خدمة النخيل للحد من مشكلة قلة الأيدي العاملة الماهرة.
- تشجيع كل ما له علاقة بالنخيل وإدخاله ضمن الترويج السياحي كجزء من تقاليد دولة الإمارات مثل المنتجات الحرفية والوجبات الشعبية.
- العمل على تنفيذ التشريعات والقوانين والأنظمة لحماية النخيل.
- تنظيم عمل إرشادي مكثف يغطي كل العمليات الزراعية الهامة مثل الاحتياجات المائية والعمليات الزراعية.
- توطيد العلاقات العلمية والبحثية بين المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص بهدف حل مشاكل الإنتاج والتصنيع والعمل على تحسين الإنتاج وزيادة جودة الثمار.
- زيادة القدرات التصديرية لتمور الإمارات والعمل على زيادة جودة الإنتاج ووفرته من الأصناف الممتازة.
- العمل على استخدام الميكنة الزراعية. والتقنيات الحديثة في عمليات الجمع والفرز والتعبئة والتغليف.
- التركيز على أبحاث الزراعة النسيجية، حيث تتميز هذه التقنية بسرعة الإكثار وتنوع مردوداتها في الإنتاج والحفاظ على الأصول الوراثية.
- الاستمرار في تصعيد الاهتمام بتصنيع التمور ودعم الصناعات الغذائية والتحويلية التي تدخل التمور والمنتجات الثانوية ومخلفات النخلة كمواد أولية في صناعتها.

توصيات لنجاح برنامج المكافحة المتكاملة لآفات النخيل

- وضع استراتيجية قصيرة وطويلة المدى لبرامج المكافحة المتكاملة لآفات النخيل.
- الاستمرار في عمليات حصر ومراقبة آفات النخيل أثناء نمو الثمار أو بعد الجني أو عند التخزين.
- تطبيق تقنيات حديثة وفعالة لمكافحة آفات النخيل وخاصة سوسة النخيل الحمراء.
- ترشيد استخدام المبيدات الكيماوية للحد من الأثر المتبقي في التمور.
- استنباط وانتقاء أصناف نخيل مقاومة للآفات وإكثارها نسيجياً.
- التوجه نحو تطبيق تقانات المكافحة الحيوية والمتكاملة لخفض تعداد آفات النخيل والتمور.
- دعم نشاطات الإرشاد الزراعي وتدريب العاملين في الأجهزة الإرشادية على النظم التطبيقية للمكافحة المتكاملة. وإصدار النشرات العلمية والإرشادية للنهوض بنخلة التمر وتطوير إنتاجيتها من خلال منتج متميز من ناحية الكم والنوع.
- تبادل المعلومات ونتائج الأبحاث مع أجهزة البحث في الدولة والمنظمات العالمية.
- الاستمرار في تشجيع استعمال البدائل الكيماوية المتخصصة في مكافحة

الآفات (الفيرمونات الجاذبة، منظمات النمو) للتحكم في أعداد الآفات الرئيسية.

- اتخاذ الاحتياطات المناسبة أثناء تطبيق المبيدات، بمختلف درجات سميتها، للوقاية من خطر تسمم العاملين.
- البحث عن وسائل علمية آمنة للتخلص من بقايا المبيدات الزائدة عن الحاجة أو التي انتهت صلاحيتها.
- ضرورة إنشاء وحدات ومعامل لتقدير مخلفات المبيدات الكيميائية في التمور مزودة بأجهزة القياس الدقيق وتضم مجموعة من ذوي الخبرات المؤهلين في هذا المجال.
- دراسة تأثير الملوثات البيئية على نمو أشجار النخيل وإنتاج التمور.

مستقبل زراعة النخيل وإنتاج التمور

تتحتل النخيل مكانة كبيرة في حضارتنا العربية والإسلامية إضافة إلى أهميتها من الناحية الغذائية والاقتصادية والحضارية والبيئية والجمالية. وقد أولاها المغفور له صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة رحمه الله ... كل الرعاية والاهتمام ومنذ بداية النهضة الحديثة التي تشهدها الإمارات العربية المتحدة على يد سموه وزراعة النخيل تمثل ثروة ومورداً لا ينضب وعطاءاً لا ينقطع. ولا يزال التقدم الزراعي مستمراً تحت القيادة الحكيمة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد رئيس الدولة حفظه الله.

إن من أعظم الإنجازات التاريخية هو إنجاز الوحدة الوطنية وقيام دولة الاتحاد، حيث أن قيام الاتحاد ضرورة قومية فهو يؤمن الاستقرار والأمن للشعب الإماراتي. إن عطاء وسخاء صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد حفظه الله بلا حدود لأنه ووالده صاحبا اليد الخضراء التي قهرت الصحراء وجعلت من المستحيل حقيقة وتواصلت إنجازات دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث أن التوسع في عدد المزارع وتوزيعها على المواطنين له مردود معنوي يوضح لنا ماذا فعلت الإرادة والعزيمة المخلصة لصاحب السمو في مسيرة قهر الصحراء ونشر الرقعة الخضراء في ربوع الوطن. وتحاول الجهات الحكومية المعنية حالياً في الدولة (وزارة التغير المناخي والبيئة، جهاز أبوظبي للرقابة الغذائية ، مركز خدمات المزارعين، والبلديات) مضاعفة الجهود في توفير الخدمات اللازمة لمواكبة هذه الطفرة الزراعية وتشجيع المواطنين على التمسك بأرضهم تجسيداً لحكمة القيادة في ضرورة دفعهم نحو العمل والإنتاج وتأمين مستقبل زاهر للزراعة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

عاماً بعد عام تتحقق الإنجازات في دولة الإمارات العربية المتحدة في ظل رعاية صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان حفظه الله، ونرى الإنجازات الزراعية التي ما تزال تتحقق على أرض الواقع والتي حولت الصحراء إلى جنة خضراء فكانت مزارع النخيل وبساتين الفواكه والكروم والغابات... فالبداية كانت

معجزة ... حيث لم يتوقع الخبراء والشركات المتخصصة في أن تنجح الزراعة في أرض الإمارات العربية المتحدة، إلا أن **الإرادة القوية للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان رحمه الله والقيادة الحكيمة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد حفظه الله وتصميمهما على النجاح وقهر المستحيل بتسخير كل الإمكانيات المتاحة وضعت حداً لجميع التوقعات فكان النجاح في الزراعة بشكل عام، والنخيل بشكل خاص، وقد أشرفا على هذه الإنجازات شخصياً منذ عام 1971م إلى عام زايد 2018م.**

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

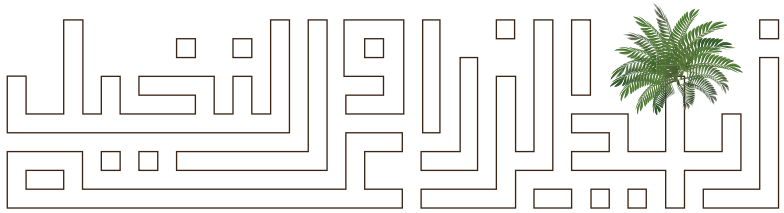

زايد والأفلاج
إصلاح زراعي واجتماعي

الأستاذ خالد صالح ملكاوي
إعلامي وباحث في التراث العربي

منذ أن تسلَّم المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" مهامه ممثلاً للحاكم في مدينة العين، مثلت الأفلاج أكثر مقومات الإصلاح الزراعي الذي بدأه في المنطقة الشرقية، فرأى في الأفلاج أساس الاهتمام بالزراعة التي اعتبرت مفتاح الشروع بالإصلاح الذي اختاره "طيب الله ثراه" لمواجهة المشاكل الكثيرة التي كانت تراكمت في حياة الأهالي الاقتصادية والاجتماعية في العين، هذا الإصلاح الذي شكَّل نقلة لحياة جديدة أساسها العدالة الاجتماعية، وبعثت الأمل في آفاق واسعة من النهوض والتطور والحياة المزدهرة، إذ تم تحرير سقاية الأرض العطشى من السيطرة والاستغلال، وخضعت لموازين العدل في اقتسام خيرات الله، وعكست إدراكه بأن قضية السقاية لم تكن قضية زراعية فقط، ولكنها كانت أيضاً قضية سياسية، وموقفاً عظيماً عبَّر عن نظرته للعدالة الاجتماعية، ليس من مفهوم نظري بحت، وإنما من واقع التطبيق العملي المؤثر في حياة الناس.

وكان شيوخ آل نهيان ارتبطوا بمنطقة العين ارتباطا وثيقا لأن هذه المنطقة بإنتاجها من التمور والمحاصيل الزراعية الأخرى كانت تشكل وحدة اقتصادية هامة، وتعطي مردودا ماليا لا يقل عن دخل أبوظبي من استثماراتها في صيد اللؤلؤ، وزاد من أهمية المنطقة كبر مساحتها وخصب أرضها، وكونها مركزا لتجمعات البدو، إضافة إلى كونها معبرا أساسيا للقوافل التجارية نحو المناطق الداخلية إلى عمان من الطرف المقابل للخليج العربي، إذ كانت بمثابة السوق والبوابة إلى أسواق الساحل الأخرى، حيث أنعشت خطوط المواصلات التي تتم على ظهور الإبل، خاصة ما بين العين وأبوظبي. لذا فقد حظيت المنطقة باهتمام كبير، ليس فقط لدى شيوخ آل نهيان، وإنما كذلك لدى غيرهم من قبائل جنوب شرق الجزيرة العربية. فباعتبارها ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق الجزيرة العربية، ومحورا بين صحارى الجنوب الكبيرة وسواحل الباطنة ومناطق الحجر الداخلية والظاهرة وعمان الوسطى والشرقية، فقد كان أمنها ذا أهمية عظمى لأمن المنطقة كلها، الأمر الذي جعل شيوخ البوفلاح في أبوظبي يولونها أهمية خاصة.

زايد وموروث التنمية الزراعية

والتنمية الزراعية في العين مثلت في عهود مختلفة انطلاقة لنهضة مجتمعها، وغدت مع حكام آل نهيان متعددة الأبعاد متنوعة الآثار والمنافع، فتذكر شمسة الظاهري في كتابها "أبوظبي.. دراسات في التاريخ الاجتماعي 1822 - 1971م"، أن الشيخ زايد بن خليفة قد ابتدع في هذه المنطقة سياسة تنموية زراعية شاملة، هدفت إلى النهوض وتحقيق الأمن، إذ تعدت سياسته التنموية الإعمار لتشمل أيضا البعدين الأمني والاستراتيجي، فبنى وأبناؤه الحصون بين واحات العين لحراسة المنطقة الزراعية من أي تعد قد يأتيها من الصحراء، ولتكون هذه الحصون مقرات إقامة واصطياف لأسر شيوخ آل نهيان. وأدرك الشيخ زايد بن خليفة ما تنبَّه إليه من سبقه من الحكام، من أهمية الماء في إنجاح السياسات التنموية في المنطقة، فقام بإعادة بناء وتوسعة فلج الجاهلي وفلج المويجعي، كما قام ابنه خليفة بن زايد ببناء فلج المسعودي.

وقد التزم الشيخ زايد بن سلطان بما قام به الحكام السابقون في هذا المجال من أعمال جليلة، فسار في خطى أسلافه وتقاليدهم في الاهتمام بالزراعة والعناية بالماء ونظام الري وحفر الأفلاج اللازم لذلك. واستأثرت الأفلاج بجل اهتمامه، وأمر بترميمها وإصلاحها والاهتمام بها، بل إنه شارك في حفر بعضها بنفسه، وتحدث مرات عدة معتزاً بتجربة حفر هذه الأفلاج ومشاركته فيها، مبرزا ما كان قد أظهره هذا الميدان من قيم التعاون والشهامة والعمل الكريم الطيب الذي يتمتع به أبناء الإمارات وخاصة أبناء العين، ومعبرا عن سروره بكيفية تقاسم الناس وقتئذ لطعامهم وشرابهم وتعاونهم في الحفر لصالح الجميع.

مثلت الأفلاج في عهد الشيخ زايد بن سلطان نقلة لحياة جديدة أساسها العدالة الاجتماعية، وبعثت الأمل في آفاق واسعة من النهوض والتطور والحياة المزدهرة؛ فمع الأفلاج انطلق تحرير سقاية الأرض العطشى من السيطرة والاستغلال، وإحقاق العدل في اقتسام خيرات الله، وانطلقت معها بواكير الأمل بقدوم زعيم فذ، ويصف حمدي تمام ذاك الواقع الجديد إذ يقول:

"في الحقيقة فإن قضية السقاية لم تكن مشكلة زراعية بحتة، وإنما كانت مجموعة من المواقف تذكر بالبدايات الطيبة في حياة زايد، تجمعت في مكان واحد، وفي زمان واحد، لتسهم في الإعلان عن مولد زعيم، توافرت في شخصيته كافة العناصر الأساسية التي تستند إليها الزعامة، وفي مقدمتها على الإطلاق العدل بين الناس، ورعاية مصالح الأغلبية العظمى، والتشدد إزاء كل من يحاول استغلال المواطن البسيط، والتصدي لأية محاولة تستهدف إلحاق الضرر بالمجتمع.

فلم تكن قضية السقاية في حياة زايد قضية زراعية فقط، ولكنها كانت أيضاً قضية سياسية، وموقفاً عظيماً يعبر عن نظرته للعدالة الاجتماعية، ليس من مفهوم نظري بحت وإنما من واقع التطبيق العملي المؤثر في حياة الناس، ثم إن قضية السقاية كانت أشبه بومضة نور شد الانتباه إلى رجل يقول كلاماً جديداً، ويصر على مواقف تذكّر الذين من حوله بالحكايات التي تروى عن البارزين من الأجداد".

وقد اعتبر عبدالله النعيمي، أن الأفلاج مثلت حينها أكثر مقومات الإصلاح الزراعي الذي بدأه في المنطقة الشرقية منذ أصبح ممثلاً للحاكم في مدينة العين. ورأى عوض العرشاني أن الأفلاج كانت أساس الاهتمام بالزراعة التي اعتبرت مفتاح الشروع بالإصلاح الذي اختاره الشيخ زايد لمواجهة المشاكل الكثيرة التي كانت تراكمت في حياة الأهالي الاقتصادية والاجتماعية في العين.

ويبين إبراهيم البلوشي في حديثه عن تاريخ مدينة العين أن توزيع المياه في العين من الأفلاج كانت تحده بعض المشكلات، ويتحكم به الأغنياء، حيث لا يُمنح الفقير الوقت الكافي ليسقي مزارعه، مما كان يؤثر على المزروعات والتربة، وكانت هذه الفترات لسقي المزارع تباع وتشترى وترهن، مما كان له الأثر في

المجتمع الزراعي في العين، وعندما علم الشيخ زايد الذي اشتهر بعدله بما يقوم به هؤلاء الأغنياء، عرض عليهم أن تكون سقاية الماء من الأفلاج حرة مشاعاً للجميع، مستدلاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا فضل الكلأ ". وقد اقتنعوا بعرضه ورضخوا لمطالبه وأوامره وأتوا إليه موافقين، ومن ثم أصبحت السقاية في مدينة العين حرة ومشاعاً للجميع، وخاصة الفقراء.

الأفلاج إرث حضاري

وقد عرفت المنطقة الأفلاج منذ أقدم العصور، وتاريخ الأفلاج جزء لا يتجزأ من تاريخ أبناء جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، (دولة الإمارات، سلطنة عمان، المملكة العربية السعودية، واليمن)، حيث يصعب فصل تاريخ الأفلاج في كل من هذه الدول عن الأخرى، كما أن هذا الارتباط بالأفلاج يمتد إلى الحضارات التي استقرت في المنطقة منذ ما قبل الإسلام، فللأفلاج أصول ارتبطت بالحضارات القديمة، إذ يقول أحد خبراء الأثار ومؤلف كتاب الأفلاج في دولة الإمارات الدكتور وليد ياسين التكريتي:

" تعود أقدم الأدلة التي توفرت عن طرق الري واستغلال المياه الجوفية في دولة الإمارات إلى الألف الأول قبل الميلاد، حيث تم اكتشاف العديد من الأفلاج والآبار في مواقع أثرية عدة في منطقة العين وتعود إلى العصر الحديدي، وبذا يكون الفلج قد بدأ في جنوب شرق الجزيرة العربية، ثم انتقل في وقت لاحق إلى بلاد فارس،

وكان للفرس الفضل بعد ذلك في نقلها إلى مصر ومناطق أخرى من العالم، وقد غدا الأمر معروفا على نطاق واسع في شبه الجزيرة العربية وفي إيران وبلوشستان وأفغانستان وواحات تركستان والعراق وبلاد الشام وأماكن أخرى من العالم، ولم يختلف شكلها قديما عما هي عليه الآن، لكن اختلفت أعماقها وحجم ثقابها، وكان يستخدم في إنشائها المعول والأزميل وغيرها من الأدوات البسيطة، والفلج الذي ابتكره سكان المنطقة قديما يوجد منه في الدولة عدد كبير لا يكاد يعرف تحديدا، منها ما جف واندثر ومنها القليل الذي ما زال يعمل، وإن كان بعضها يعمل بواسطة تغذيتها بالمياه، وفي مدينة العين وحدها يوجد عدد كبير منها، منها ما هو معروف عند الكثير من السكان، ومنها ما اختفى نتيجة عوامل التعرية، ولكن للبعض منها آثار لا تزال واضحة على سطح الأرض، ولعل أبرز الأفلاج الأثرية هو الفلج الذي يطلق عليه موقع هيلي 15، والذي يعتبر أقدم فلج من عصور ما قبل الإسلام في جنوب شبه الجزيرة العربية."

وتمثل الأفلاج نظاما هندسيا للري تتوارثه الأجيال منذ مئات السنين، وهي تجسد واحدة من الصور التي يحملها في طياته قول الخالق : {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار}. حيث تقدم شبكة متكاملة للري ونقل المياه من قمم الجبال وبطون الوديان إلى مسافات طويلة قد يصل بعدها إلى عشرين ميلاً لاستخدامها في الري والانتفاع بها في مختلف الاستخدامات الأخرى. وتعد الأفلاج ركنا أساسيا في حياة مزارعي المناطق الريفية والزراعية في الإمارات، فقد شكلت وسيلة داعمة لنقل المياه من أعماق الأرض إلى سطحها لاستخدامها في ري بساتين النخيل، واتبعت طرقا لتوزيع المياه بين المزارعين، فهـذه الوسيلة دلت على عبقرية ومهارة هندسية، حيث برع الأهالي في ابتداع هذا النظام الهندسي الفريد في حفر هـذه القنوات المائية عبر العصور الماضية.

ويمكن القول أن كلمة فلج في واقع تاريخها في العين تحمل مجمل المعاني الآنفة الذكر، وهي تعني اصطلاحا شاملا لنظام ري قديم يقوم على توزيع المياه بعدالة بين أولئك الذين لهم مصلحة فيه، من هنا فقد ارتبطت الأفلاج في حياة أهل العين بأنماط معينة من المجتمعات التي غلب عليها التشارك في الاستفادة من مياه الأفلاج واقتسام الانتفاع بها، وتحدد المعنى أكثر في عهود آخر الأفلاج التي كان للشيخ زايد الفضل في التوجيه ببنائها أو ترميمها، وهو الذي أشاع مياه الأفلاج وجعلها حقا لكل الناس. وتساوى في الارتواء منها نحو ربع مليون نخلة.

ثمة مشروع حضاري جديد شهدته العين مع الأفلاج في عهد الشيخ زايد، أساسه المادي الأفلاج التي انتشرت تروي الشجر والبشر، ومحركه العلاقات الاجتماعية التي نسجت مجتمع أهل العين، حيث انعتقت هذه العلاقات من عقالها مع انعتاق مياه الأفلاج من احتكار الأغنياء لمعظمها، وغلبت على حياة أهل العين صفات التلاحم والتآخي والعمل المشترك المستند إلى الإيمان بمنفعة عامة تمثل عصب الحياة بالنسبة لهم. فقد وضع نظام الري بالأفلاج بصمات خاصة على المجتمع في منطقة العين، زاد من خصوصيتها أن مصالح السكان فيها كانت معزولة عن المناطق الأخرى في الصحراء المحيطة بهم، مما جعلها تعتمد اعتمادا كبيرا على المياه الآتية عبر الأفلاج، وشكل تنظيماً اجتماعياً مختلفاً عن بقية المدن الأخرى في الإمارات تمام الاختلاف.

فلم يكتفِ الشيخ زايد بأن ألغى تجارة الماء فحسب، حين قال قولته الحاسمة: " إن مياه الأفلاج الآتية من جوف الأرض هي من حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض" .بل حرص على المشاركة في حفر الأفلاج في العين، وبخاصة فلج الصاروج الذي استغرق حفره سنوات طويلة، وشكلت تجربة مشاركته حافزا قويا لمشاركة الناس معه في حفر الأفلاج، فكانت تجربة اجتماعية وتاريخية لا تنسى، عظَّمت الآمال في نفوس الأهالي بالخير المرتقب الذي يُعد عصب حياتهم، كما عززت من عزائمهم وهممهم في التعاون والمشاركة بمختلف أنواعها وأحجامها للجديد الذي حمله إليهم الشيخ زايد مع مياه الأفلاج المرتقبة، وأحيت لديهم من جديد عاداتهم وطقوسهم المرتبطة بالأفلاج.

تقول جوينتي مايترا في كتابها "زايد من التحدي إلى الاتحاد" وهي تصف تصميم زايد على إحياء مصادر المياه في العين:
"من أجل إنجاح جهوده في ترميم الأفلاج وتنظيفها وبنائها، جلب الشيخ زايد مجموعة من رجال قبيلة العوامر من قراهم وسط عمان، ممن اشتهروا بمعرفتهم بالأفلاج وقدرتهم على تقصي أثر الماء في الأرض واكتشاف مواقعها. وبدأ الشيخ زايد العمل مع قبيلة العوامر في بناء فلج الصاروج الذي كلف الكثير من الجهد والوقت. فقد تطلب حفر نفق طويل يبلغ 15 كلم، في حين بلغ أقصى عمق 22 متراً تحت سطح الأرض. وهو بمنتهى الدقة في الهندسة والتصميم، حيث بدأ العمل فيه منذ عام 1948م ، واستغرق بناؤه حوالي 18 عاماً من الجهد الشاق والعمل المستمر. ولشدة اهتمامه بهذا الأمر كان الشيخ زايد يتابع عملهم

خطوة بخطوة. وكان يشرف عليهم بنفسه، كما يقول أحمد بن محمود السكرتير الخاص للشيخ زايد الذي رافقه في تلك الفترة، وكان ينزل بنفسه إلى البئر ليرى مدى صلاحيتها رغم خطورة النزول إليها."

كان أهالي العين قديماً يتبعون طقوساً معينة لإحياء الفلج إذا ردم بالرمال وانقطع الماء، إذ يذكر من عايش ذلك من الأهالي بأن عملية إحياء الفلج كانت من المناسبات التي تعكس حجم التعاون والتكافل الاجتماعي بين الأهالي في الماضي، فعندما يموت الفلج، أي يردم أو يجف، يتم إعلام الأهالي بذلك، فيتوافدون وكل واحد منهم يحمل مسجاته، وهي عبارة عن فأس صغيرة، وجفيره، وهو وعاء مصنوع من الخوص توضع فيه الرمال التي يجري رفعها من الفلج. ويقوم عريف الفلج، وهو رجل ذو خبرة في مجال تقسيم وتوزيع حصص مياه الفلج بين أصحاب المزارع، بإحضار التمر والقهوة وينحر ذبيحة لإعداد الطعام للأهالي القائمين على تنظيف الفلج، حيث يستأنفون عملهم عقب تناول الغداء حتى الغروب، وإذا ما تطلب الأمر وقتا أطول فإنهم يقضون الليل عند الفلج حتى الصباح ليستكملوا عملهم في رفع الرمال منه نهائياً.

لقد مثل نظام الأفلاج في العين منظومة اجتماعية واقتصادية ناجحة، وساعد العدل في توزيع مياه الأفلاج في بناء مجتمع متماسك، فزرع روح التعاون وعززها، وأسس لنظام إداري متكامل يتولى مسؤولية الفلج، ويفض الخلافات والنزاعات بين الأفراد المتصلة بحصص المياه وفق أسس سلمية متفق عليها، كما ساعد على تطوير المهارات الحرفية والزراعية لدى الأفراد، وأدى إلى توفير مصدر رزق تعيش عليه الأسر.

فالأفلاج التي حظيت في مدينة العين بشكل خاص باهتمام كبير وعناية فائقة لدى الشيخ زايد وأسلافه من حكام آل نهيان، على الرغم من أن أغلبها اندثر بفعل عامل الزمن، غير أن أهم ما بقي منها هو شاهد على تراث أصيل كأسطورة حية في قلب الصحراء؛ فقد تعددت أفلاج العين بكثير كونها سبيلا للحصول على مصادر المياه التي يجب أن يعمل لها حساب فحسب، لتجسد رمزا تراثيا ربط الحاضر بالماضي ووصل القريب بالبعيد، ولتلقي بعضا من الضوء على تطور المجتمع فوق هذه الواحة الهامة واكتساب نسيجه صفات خاصة، كذلك لتبرز قدرة الإنسان على قهر الظروف الصعبة وابتكار الطرق الذكية، إذ ما توفرت العزيمة القوية والإرادة الصلبة والرؤية الحكيمة، وكذلك المهارة الفائقة والخبرة اللازمة والشجاعة الكافية، إذ باجتماعها بُثَّت في قلب الصخر شرايين الحياة.

قصة الأفلاج في العين في كل تداخلاتها وتطوراتها وثمارها التي أتاحها الشيخ زايد لكل مخلوق حي يتنفس هواء العين، يلخصها من صاحَبَ قائد حملة الأفلاج وراعيها، ورافقه المسيرة خطوة بخطوة، وكان أبناء عمومته هم الذين هندسوا هذه الأفلاج ونفذوها، الشيخ سالم بن حم، إذ يقول في ذلك:
" إن من أهم المسائل التي كان زايد يوليها اهتمامه الأول مسألة توفير المياه،

حيث إن شح المياه وقلة مصادرها وندرتها وما يتبعها من مشاكل بين الأهالي كانت الهاجس الأول عند زايد، فبادر إلى عمل كل ما في وسعه ليجعل الماء ينساب بوفرة، وبدأ بإصلاح الأفلاج القديمة المهملة، واهتم بحفر المزيد من الأفلاج الجديدة لتفي بالغرض المطلوب. وقد كان فلج "الصاروج" أولها والذي استوجب حفره جهدا كبيرا وسنوات عديدة كان خلالها زايد أول المشاركين بالحفر، وضحى بوقته واقفا بيننا، ولم يبخل بماله وأفكاره وتعليماته ليرشدنا إلى المسار الصحيح للفلج، وتكللت أعماله بالنجاح، وتدفقت المياه غزيرة من فلج الصاروج وغيره من الأفلاج لينساب الماء عبر السواقي بين المزارع ويصل إلى القاصي والداني، الغني والفقير،ومن هنا بدأت الخضرة والحياة تدب كما لم تكن من قبل مؤذنة ببداية عهد جديد مع الخصب والنماء".

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، أثناء جولته في المنطقة الغربية (15 مايو 1979م)
المصدر: الأرشيف الوطني

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

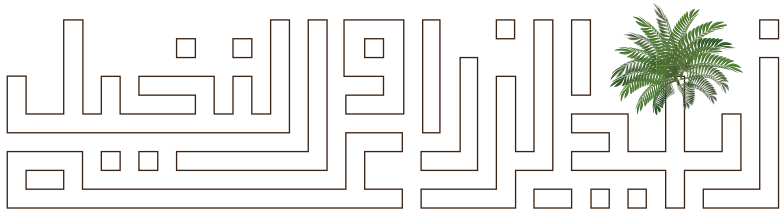

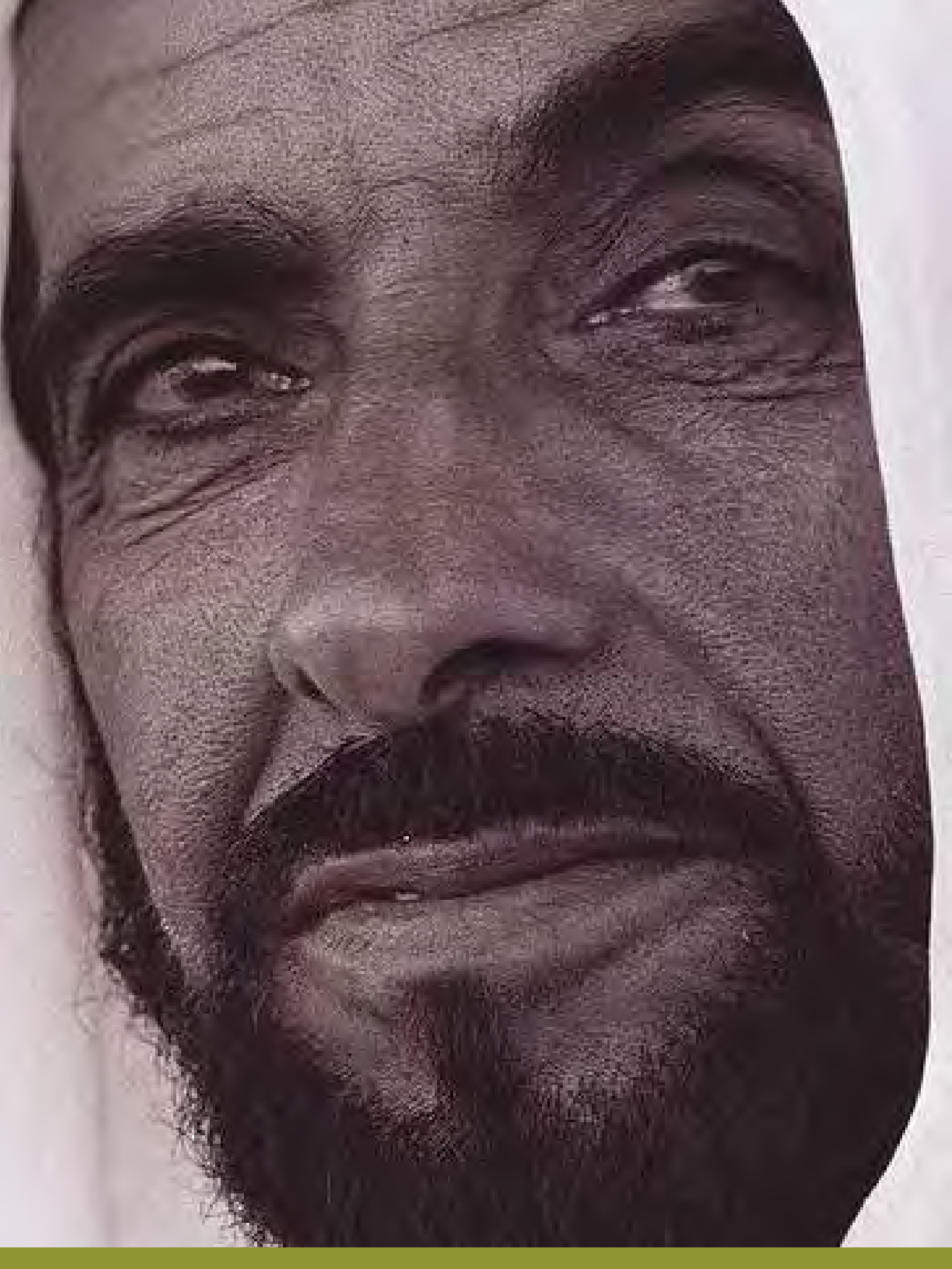

زايد أصلح نظام السقاية، وألغى تجارة الماء

محمد بن هلال وسلطان بن أحمد الكويتي..
حارسا الأفلاج

الأستاذ حسن بحمد
مدير مركز عين للإعلام والتوثيق، الامارات العربية المتحدة

ما من أحد في العين لا يعرف أفلاجها أو واحات النخيل فيها الموغلة في القدم، تلك المدينة العريقة التي لا تُعرف بمعالمها وأماكنها التراثية والجمالية فحسب، بل تُعرف أيضاً بأهلها وناسها الذين يشكلون ذاكرتها المتجددة على مر التاريخ،

المصدر: كتاب « أهل الإمارات ثقافة المكان وذاكرة الزمان» للصحافي حسن بحمد، مركز عين للإعلام والتوثيق 2017
حوار لمجلة الرجل اليوم العدد 12 يونيو 2005

ويكفي أنها ارتوت في شبابها من نهر الأفلاج وترعرعت على يدي المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه». وعندما يحكي الناس سوالف الأفلاج فإنهم يذكرون العديد من أبنائها المخلصين، ومنهم محمد بن هلال (87 عاماً) وسلطان بن أحمد الكويتي (78 عاماً)، الموظفان في قسم الأفلاج في بلدية العين، فهما الأكبر سناً في مكان مملوء بعشقهما الدائم.

مدينة العين واحة خضراء في الجزء الجنوبي الشرقي من دولة الإمارات، تحيط بقسم منها بعض الجبال، وقد سميت العين بهذا الاسم نظراً لكثرة العيون المائية التي كانت توجد بها، لدرجة أن مدينة العين التي تعتبر واحة وسط الصحراء، كانت مشهورة بأن فيها أكثر من 50 فلجاً مائياً، والفلج معروف على نطاق واسع في الجزيرة العربية، وله دور في حياة أهل الإمارات وخاصة إقليم العين والمنطقة الشرقية التي تفتقر إلى الأنهار الجارية، وإليه تُعزى استمرارية الحياة وتطورها ونموها، والفلج عبارة عن قناة صناعية تحفر في جوف الأرض، وقد ابتكر الإنسان العربي الأفلاج في مرحلة حضارية تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وذلك بهدف معالجة مشكلات البيئة ومعضلاتها، والأفلاج مفردها فَلَجْ، وتعني لغوياً شق الأرض والقناة التي ترويها، وتعني كذلك الفتحة بين الأسنان، والتي جاء منها اشتقاق الكلمة نظراً لوجود فتحات في المجرى المائي تخرج منها المياه إلى سطح الأرض. سلطان بن أحمد الكويتي من رجال مدينة العين، ترتسم على وجهه تعابير الصرامة والجدية والحزم، يكسو الشيب لحيته الممتدة وشعره الأبيض النقي مما يُجبرك على النظر إليه بكل الاحترام والتقدير، عندما طلبت منه حديثاً عن الأفلاج التي يشرف على رعايتها وتأهيلها، لم يتسرع بالرد ولكن وعدنا خيراً، وفعلاً حظينا بعد عدة أيام بالموافقة، وتم تحديد الزمان والمكان. توجهنا إلى منزله في الصاروج الجديدة، استقبلنا الشيبة « أبو أحمد» استقبالاً يليق بصفات العرب وكرمهم وشيمهم، وكان عائداً لتوه من جولته على واحات النخيل والإشراف على نظام الري في بساتينها، وبالقرب منه يقف الشيبة محمد بن هلال الكويتي (87 عاماً)، ثم يبادر الأول إلى التعريف بصديقه وابن عمه محمد بن هلال بالقول: «إنه رفيق عمري، وشيخ قبيلتنا التي تدعى الكويتات، وهو أول من عمل في قسم الأفلاج في بلدية مدينة العين منذ تأسيسه وحتى اليوم، وهو أيضاً عضو في المجلس الاستشاري الوطني بإمارة أبوظبي، ولجنة المصالحات في مدينة العين، وشارك إلى جانب الشيخ زايد «رحمه الله» في حفر العديد من الأفلاج، ويَعرف كامل قصصها وحكاياتها، ويمكنك أن توجه إليه الأسئلة كي يشاركنا «أبو جابر» الحديث. بينما يرد محمد بن هلال مشيراً إلى «أبو أحمد» رئيس قسم الأفلاج ويقول: « الريال (الرجل) ذاع صيته وتجاوزت شهرته حدود العين، وحاز على إعجاب وتقدير أهالي المنطقة والمزارعين وأصحاب بساتين النخيل، وكان مكلفاً من شيوخ آل نهيان الذين استعانوا به، وبوالده من قبله في الإشراف على الأفلاج منذ عشرات السنين».

وهكذا بدأ اللقاء مفعماً بخبرة الرجلين في الري والمزارع، يتناوبان في الحديث عن عشقهما للأفلاج.

«من كان يملك مزرعة بالقرب من مياه الأفلاج في ذلك الزمان فكأنه امتلك الدنيا..
«هكذا أطلق محمد بن هلال كلمته الأولى في لقائنا الثلاثي، وأضاف: تعلمت من خلال تجاربي في مجال المياه والري والزراعة كثيراً من المعارف والخبرات حول مياه الأرض الجوفية، والحمد لله أصبحت خبيراً في معرفة ما إذا كان في باطن الأرض مياه أم لا، وهذا جاء نتيجة خبرتي الطويلة وتعلقي بالزراعة والاهتمام بالأفلاج، وهذه الهواية بدأت مبكراً وهي ليست هواية بالمعنى المتعارف عليه بل هي نمط حياة رافقنا منذ مئات السنيين، فالأفلاج حاضرة في حياتنا وحياة أجدادنا، منذ مئات السنين فقد ترعرعت أنا وسلطان بن أحمد، وكل أبناء جيلنا بين أحضان الوديان وعلى صوت الأفلاج، التي صارت جزءاً منا».

أما الشيبة «أبو احمد» رئيس قسم الأفلاج الحالي، فيستوقفنا برهة ثم يغوص بنا في لمحة عن حياته قبل 40 عاماً: كنا نبني بيوتنا من أشجار السمر أو الغاف ونسكن بيوت الشعر والمنطقة جميعها صحراء يعمل أهلها في الرعي وصناعة السخام «الفحم» وكنا نبيعه في دبي حيث تستغرق رحلة الذهاب والإياب اثني عشر يوماً، وكان رأس الغنم يباع بثلاث روبيات، وثروتنا تتمثل بما نملك من مواش وبعض أشجار النخيل.

ويتابع سلطان بن أحمد: مثلي، مثل أبناء جيلي في العين كنا نعمل في الزراعة لاسيما أن منطقتنا مختلفة في ترتيبها وأجوائها عن بقية مدن الدولة، وبفضل الله ورعاية وتشجيع الشيخ زايد «رحمه الله» عندما كان حاكماً للعين، انتشرت بشكل واسع واحات النخيل في العين وضواحيها، حيث كانت كل قبيلة من قبائل المدينة المعروفة تتخذ لها موقعاً جغرافياً محدّداً، كأن تتركز في القطارة أو الصاروج أو هيلي أو المسعودي، وترتبط فيما بينها بعلاقات اجتماعية، والجميع يعتمدون كلياً على الزراعة.

وعن مراحل حياته الأولى يقول رئيس قسم الأفلاج: درست القرآن الكريم لمدة عام كامل على يد الشيخ محمد بن مبارك الساعدي في منطقة ضنك بسلطنة عُمان، والذي كان مقيماً في العين، كما درست على يد الشيخ حمد بن حمدون، ولاحظ والدي أنني كنت أتسرّب من بيت المطوع وأذهب إلى المزارع، وأتتبع منابع العيون والماء الجاري في الأفلاج، وأمسك بخطام ناقة أو بعير لأمتطيه، وأذهب به إلى البراري، ومنذ طفولتي وأنا أهتم وأعشق الأفلاج والزراعة، ومن نعمة الله وخير زايد نملك حتى الآن عدة مزارع من النخيل، وكان والدي «رحمه الله» مكلفاً من قبل الشيوخ بإدارة مشروعات الأفلاج وتنظيم عملها.

هل عشت حياتك كلها هنا في الأفلاج؟
«من طحت لحين الحين» والمنطقة كلها أدلها (أعرفها)، فأنا ومحمد بن هلال نعرف كل شبر في العين وأقصر الطرق وأسهلها فيها.

ما هي الأفلاج المنتشرة في العين؟

يوجد في العين سبعة أفلاج هي: العيني والداوودي والمويجعي والجيمي والقطارة والهيلي، كما يوجد أيضاً فلج مزيد وفلج صاع، وأطول هذه الأفلاج العيني الذي يروي أكبر مساحة من مزارع النخيل، وتوجد أمهاته بالقرب من أم سديرة جنوب مزرعة الشيخ حمدان من الغرب، وكان منبعه السابق في منطقة مراغ، وقد قام الشيخ زايد «رحمه الله» في العام 1954 بعمل ثقاب) سبيل) للشرب يروي الناس والحيوانات عند مرورهم في تلك المناطق، ومعنى (الثقبة) فتحة البئر، وتحاط بالحصى والصاروج، ويتم إعداد الصاروج بإحضار جذوع النخيل وعمل طابوق من الطين، ثم توضع الحصى على جذوع النخيل، ويرص فوقها الطابوق الطيني، بحيث تترك فيه أربع فتحات من كل جانب. ثم ينتقل حديثنا مرة أخرى إلى محمد بن هلال لنسأله:

يقال إن هناك أنواعاً من الأفلاج، ما المقصود بذلك؟

نعم، يوجد نوعان من الأفلاج، فهناك فلج يسمى «داوودي»، وهي الأفلاج القديمة جداً والتي لا يعرف من حفرها، وبعض الروايات تذكر أنها من أيام سيدنا سليمان بن داود عليه السلام، والنوع الثاني يسمى «فلج غديري»، والغديرية أفلاج وطوى، وقد شاركنا قديماً في خدمة وحفر الطوى، وعملنا «حبيسة» في الوادي، وهي حاجز مثل السد، وهو المخرج والمنفذ الوحيد الذي يخرج منه الماء، ويسير في الفلج، وعندما ننتهي من السقي، نسده أي نغلقه، وهذا أحد أنوع الأفلاج، وكذلك الحال بالنسبة للطوايا (الآبار) الذي تعتمد على مجاري المياه في الوديان، حيث تكون أمهات الفلج في الوادي، وتعتمد على جريانه، وإذا توقّف المطر وتوقّف جريان الماء في الوادي توقف جريان الفلج الذي يتغذى من المياه الجارية في الوادي.

وعن أساطير حفر الأفلاج يقول سلطان بن أحمد: ما أريد قوله إن أفلاج العين أعجب من عجائب الدنيا السبع ولم نعرف البنائين الحقيقيين لها، إنها حقاً أعجوبة فريدة، لكن أجدادنا هم الذين بنوا الأفلاج، وحاجة الأجداد لمياه الري جعلتهم يبتدعون ذلك منذ مئات السنين، وهذا ما حوّل منطقة العين إلى واحات خضراء وسط الصحراء، لا تتعجب! تأكد أن هذه الأفلاج تمّ حفرها بالأيدي والدماء والعرق، وبأظافرهم نبشوا الصخر حتى تفجّرت المياه والينابيع لتروي عطش الصحراء.

من كان يوزّع الماء ويشرف على السقي؟

محمد بن هلال: كانت العادة أن يتم اختيار «العريف» اعتماداً على نزاهته وسمعته وفهمه ودرايته وخبرته في مجال الحساب والسقي، وكان لكل منطقة في العين عريف خاص بالفلج الذي يوجد فيه، مثل فلج هيلي، وفلج القطارة، وفلج المويجعي، وفلج الجيمي، وفلج الصاروج، وفلج العين، وفلج الداودي، وفلج هزاع، وفلج مزيد، وكان للأفلاج «شرع» يسقون منها الناس، حيث يمكن لكل إنسان أن يأخذ كفايته من الماء، وكان النظام المتبع أن يقسم اليوم منذ لحظة الشروق حتى الغروب، ويسمى ذلك «باداة»، ثم تقسيم الفترة الزمنية التي تفصل بين الغروب والشروق مرة أخرى، وتسمى»باداة» أيضاً، وتقسم الباداة بدورها إلى أربعة أقسام يسمى كل منها ربعاً، والذي يقسّم بدوره إلى ستة أسداس، وكان نصيب الأهالي من مياه الري يكفيهم، أما البعض الآخر فكانت مخصصاته من مياه الري لا تفي باحتياجات مزارعه، فيلجأ لتعويض ذلك من المشاع، وهو عبارة عن أربع بادات، ويبلغ إيجار الباداة الواحدة 48 درهما، وإيجار الربع 12درهماً، وإيجار السدس درهمان، ويتولى عريف الفلج جمع حصيلة الري بالمشاع وإدخالها لصالح عمليات صيانة وتنظيف الأفلاج.

متى تأسس قسم الأفلاج في العين؟

سلطان بن أحمد: طلب الشيخ زايد «رحمه الله» من بلدية العين تأسيس قسم خاص لشؤون الأفلاج، وكان ذلك مع نهاية الستينات من القرن الماضي ليكون بديلاً عن كل عريفي الأفلاج، ولكي يشرف على كل الأفلاج، ثم عيّن رئيساً له هو المرحوم عبدالله بن هلال الكويتي، وبعد وفاته تمّ تعييني رئيساً لهذا القسم منذ حوالي 15 سنة تقريباً.

ونعود إلى محمد بن هلال ليحكي لنا حكاية مشاركته في حفر الأفلاج، التي ما زالت محفورة في ذاكرتك، ويبدأ حديثه مبتسماً وكأن الماضي البعيد يتبلور أمام عينيه في هذه اللحظات، فيقول: «كان المفروض أن نحفر الفلج من تربين أي ممرين، نبدأ بالأول وننتهي بالآخر، ولكن في وسط المسافة تهدم الترب الأول وخرجنا من الثاني بعناية الله وحفظه، وأذكر في تلك الأيام حضور الشيخ زايد «رحمه الله» عمليات حفر الفلج، وكان سموه يتزورنا دائما ويشرف على الأعمال بنفسه ويقدّم لنا أطيب المأكولات والمشروبات، ويشد على أيدينا بالتشجيع والمثابرة، وعندما ننتهي من فلج حتى نتوجه إلى مشروع آخر، وأذكر أيضاً أنني شاركت الشيخ زايد «الله يرحمه» في توسيع وحفر آبار الفلج العيني وزيادة كمية مياهه، لأن مياه

هذا الفلج كانت في ذلك الوقت، أي قبل 45 عاماً، ضعيفة، ولم تكن تكفي حاجة مساحات النخيل والأراضي الزراعية المتزايدة، والحمد لله بعد كل ما أنجز من عمل أصبح الفلج يغطي حاجة النخيل ويفيض، وأذكر أنه كان معنا في حفر الأفلاج سعيد بن شخبوط وعبد الجليل الفهيم وحامد بن مفلح النيادي وسالم بن محمد العامري، أذكر أن الشيخ زايد «رحمه الله» نزل بنفسه إلى أحد الأفلاج خلال عملية الصيانة، ليكون قدوة للعاملين في التمسّك بالعمل الجماعي.

ونختم الحديث مع رئيس قسم الأفلاج سلطان بن أحمد ونسأله:

هل كانت تنشب خلافات بين أصحاب المزارع حول توزيع المياه، ومن له الأولوية قبل غيره؟

معظم المزارعين كانوا يتقيّدون بالأعراف والاتفاقيات في تقسيم الأفلاج، حيث يقدّر الوقت نصيب المواطن من الماء على مقدار ما تعيشه المزروعات من أيام، فالحد الأقصى عشرة أيام، والأدنى أربعة أيام، تراعى في ذلك التربة، فإن كانت حارة فالمزروعات لا تتحمّل أكثر من أربعة أيام، والتربة الباردة تعيش لمدة عشرة أيام فأكثر، وهكذا كان أغلبية الناس مقتنعين بتقسيم المياه في الأفلاج، وأحياناً كانت تنشب خلافات، هذا أمر طبيعي، لكن حين تولى الشيخ زايد «رحمه الله» الحكم في العين قبل أن ينتقل لحكم أبوظبي، ومن ثم رئيساً للدولة، أصلح نظام السقاية، وقام بإلغاء تجارة الماء، وأشاع استعماله، وجعل الماء من حق كل الناس دون مقابل، وأنصف الجميع. وفي الوقت الحاضر يتم حفر الآبار والسلول، عن طريق قسم الأفلاج وإشراف لجنة الأفلاج في دائرة العين، وعمل الصيانة اللازمة لها، كما تم تعيين مجموعة من العمال للقيام بسقاية مزارع النخيل وتنظيف الرمال وإصلاح العوامد حتى أصبح أصحاب المزارعون لا يتحمّلون أي عناء أو جهد أو مال بل يجدون مزارعهم قد تم سقيها وتنظيفها.

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
"طيب الله ثراه"

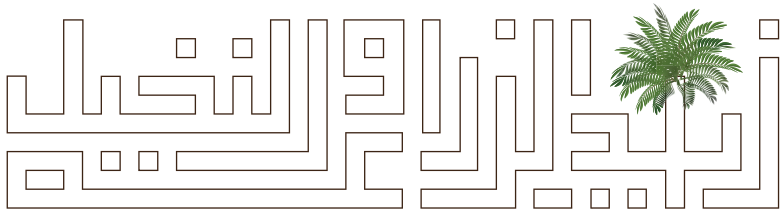

جوائز وأوسمة

استحقها زايد عن جدارة خلال نصف قرن

الدكتور عماد سعد

المركز الإعلامي بجائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي

يومها... وبكل فخر واعتزاز قالها شعب الإمارات ومعه كل الشعوب العربية وشعوب العالم «مبروك لك يا زايد... رجل البيئة والإنماء» لعام 1993. هذا الوسام البيئي الذي وضعه المجتمع الدولي على صدر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، يسطع بريقه الإنساني إلى جانب سماته الأخرى التي منحها له ذلك المجتمع تقديراً لجهوده ومواقفه البيئية النبيلة التي لا تنسى تجاه الإنسان والأرض على مدى أكثر من نصف قرن مضى والتي شملت كل مناحي الخير له أينما كان... في كل بلد وكلما احتاج ذلك الإنسان إلى العون والمساعدة. فأياديه البيضاء يشهد بها البشر والشجر والحجر، كما تشهد بها الدنيا من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها في كل المجالات وهي تقول: بارك الله لنا بك يا زايد.

المصدر: قام الباحث بجمع وإعداد المادة العلمية الخاصة بالجوائز البيئية للشيخ زايد، من أرشيف وكالة أنباء الامارات (وام) ونشرها لأول مرة عام 2005 في مجلة شؤون بيئية الصادرة عن جمعية أصدقاء البيئة بالإمارات

في هذه الدراسة سوف نقوم بجولة موثقة على الجوائز البيئية التي نالها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، خلال نصف قرن مضت من العمل والبناء على المستوى الوطني والإقليمي والدولي.

1- رجل البيئة والانماء الدائم 1993

اختارت هيئة مهرجان الشباب العربي الثامن في بيانها الختامي الذي عقد في بيروت بتاريخ 10 سبتمبر 1993 الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رجل البيئة والإنماء الدائم لعام 1993 تقديراً للإنجازات التي حققتها دولة الإمارات في المحافظة على البيئة.

وجاء في البيان الختامي الذي صدر عن المهرجان "أنه انطلاقاً من الجهود التي بذلتها دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال التنمية البيئية خاصة مكافحة التصحر وتحويل الصحراء إلى واحة خضراء وإقامة المشاريع البيئية الإنمائية في العديد من المناطق العربية في إطار الجهود الكبيرة التي يقوم بها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال التنمية البيئية من إنجازات كبيرة وتخطيط مستقبلي لعام ألفين وما بعده وخاصة خطة القرن رقم 21 العربية الذي يقوم بدعمها ورعايتها والسهر على تنفيذها من خلال التشجيع على إقامة مراكز عربية على مستوى العالم العربي للبحوث والدراسات والتوثيق والتخطيط وتدريب الشباب العربي على حماية البيئة والنماء المستديم وأمام هذه الإنجازات فقد تقرر اعتبار صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رجل العام للبيئة والإنماء المستديم لعام 1993".

2- وشاح جامعة الدول العربية 1993

في 2 ديسمبر 1993 منحت جامعة الدول العربية وشاح "رجل الإنماء والتنمية" للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وقام في وقتها معالي الأمين العام للجامعة الدكتور عصمت عبد المجيد بتقليد الشيخ زايد الوشاح، معبراً عن اعتزاز كل الشعوب العربية والإسلامية بجهود سموه المقدرة في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية على مستوى دولة الإمارات وأيضا الدول العربية والإسلامية الشقيقة.

3- الشخصية الإنمائية 1995

اختير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «الشخصية الإنمائية» للعام 1995 على مستوى العالم، جاء ذلك في الاستطلاع الذي أجراه مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات الإعلامية في جدة، وشارك فيه أكثر من نصف مليون عربي والجاليات العربية حول العالم لاختيار شخصيات العام 1995 في مختلف مجالات التنمية.

4- ميدالية الأغذية والزراعة 1995

تلقى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يوم 11 ديسمبر 1995 ميدالية ذهبية وجائزة تقديرية من الدكتور جاك ضيوف مدير عام منظمة الأغذية والزراعة الدولية «الفاو» السابق، تقديراً لجهود سموه في نشر التنمية الزراعية بدولة الإمارات ومساهماته في عدد من الدول النامية.

وذلك خلال استقبال صاحب السمو رئيس الدولة بقصر البحر 10 ديسمبر 1995 لوفد المنظمة بحضور وزير الزراعة السابق في جمهورية السنغال. حيث أشاد مدير عام منظمة الأغذية والزراعة الدولية بتجربة دولة الإمارات في مجال التنمية الزراعية وأنها أصبحت نموذجاً يحتذى به في هذا المجال مشيرا» إلى أن المنظمة الدولية ستستفيد من هذه التجربة والعمل على انتشارها في مناطق أخرى بالعالم.

5- جوائز أعمال الخليج 1996

منحت لجنة جوائز أعمال الخليج 1996 الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "جائزة حماية البيئة"، تقديراً وعرفاناً منها لإسهاماته الخالدة والكبيرة لحماية البيئة والطبيعة في الإمارات.

6- شهادة الباندا الذهبية 1997

حصل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على شهادة الباندا الذهبية التي منحها الصندوق العالمي لصون الطبيعة "باندا" للمرة الأولى إلى رئيس دولة في العالم وذلك تقديراً للجهود الكبيرة التي بذلها الشيخ زايد والمعترف بها دولياً في مجال الحفاظ على البيئة وحماية الحياة البرية في دولة الإمارات خاصة، وفي مناطق

أخرى من العالم. حيث قام بتسليم الشهادة صاحب السمو الملكي الأمير فيليب دوق أدنبرة بوصفه الرئيس الفخري للصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة بحضور الدكتور كلود مارتن الأمين العام للصندوق خلال استقبال سموه لهما 7 مارس 1997.

وأعرب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة عن شكره للصندوق العالمي للمحافظة على البيئة وصاحب السمو الملكي الأمير فيليب دوق أدنبرة لمنح سموه شهادة الباندا الذهبية وهي أرفع شهادة يمنحها الصندوق في مجال المحافظة على الطبيعة وحماية البيئة، وعلى تقديرهم لجهود سموه ومساهماته في هذا المجال مبدياً استعداد دولة الإمارات للتعاون مع الصندوق في جهوده ونشاطاته لحماية الطبيعة.

وعبر الأمير فيليب عن سعادته البالغة لما شاهده من إنجازات للحفاظ على البيئة وإقامة المحميات الطبيعية للطيور النادرة والحيوانات المعرضة للانقراض بدولة الإمارات.

7- وسام المحافظة على البيئة 1997

منح الرئيس الباكستاني الأسبق فاروق ليغاري وسام المحافظة على البيئة للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والذي يمنح للمرة الأولى لرئيس دولة، وذلك تقديراً لجهود سموه المتواصلة ومساهمته في الحفاظ على البيئة وتنمية الموارد الطبيعية لدولة الإمارات ونشر الرقعة الزراعية، والتوسع فيها على أرض الدولة. قام بتسليم وسام المحافظة على البيئة الرئيس الباكستاني فاروق ليغاري وذلك خلال اللقاء مع سموه في إسلام أباد 3 يناير 1997 ضمن زيارة خاصة قام بها الشيخ زايد للباكستان استمرت عدة أيام.

8- دكتوراه فخرية بالزراعة 1997

تسلم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في 15 يونيو 1997 شهادة الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة التي منحتها جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية تعبيراً عن المحبة والاعتزاز الذي يكنه الشعب المصري لسموه وتقديراً لجهوده الكبيرة في مشاريع التنمية الزراعية في دولة الإمارات ومصر.

قام بتسليم شهادة الدكتوراه الفخرية الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس جامعة عين شمس وذلك خلال استقبال الشيخ زايد لوفد جامعة عين شمس باستراحة روضة الريف 15 يونيو 1997 برئاسة معالي الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم السابق ويضم كذلك الدكتور عبده شحاته عميد كلية الزراعة بجامعة عين شمس.

ومن جانبه أكد رئيس جامعة عين شمس أن مجلس جامعة عين شمس عندما ناقش منح الدكتوراه الفخرية لسموه والتي تمنح لأول مرة لرئيس دولة كان يضع أمامه الجهود العظيمة لسموه ودوره الوحدوي والقومي ومساندته لأمته العربية وخدمة الإنسان العربي مما يؤكد أن صاحب السمو رئيس الدولة يستحق كل تكريم نظراً لما قام به من مساهمات وخاصة في ميدان الزراعة. وقال إن صاحب السمو رئيس الدولة حقق معجزة زراعية بكل المقاييس مشيراً إلى أن زيادة الرقعة الخضراء في دولة الإمارات تمت في ظل ظروف صعبة يعرفها الجميع وأن النجاح الذي حققه سموه في زراعة الصحراء يعطي القدوة للدول العربية الأخرى حتى تستطيع زراعة الصحاري الشاسعة وتوفير الغذاء للشعب العربي في كل مكان.

9- الشيخ زايد داعية البيئة 1998

منحت منظمة المدن العربية في دورتها السادسة التي عقدت بالدوحة يوم 28 سبتمبر 1998 الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان جائزة داعية البيئة تقديراً وعرفاناً لمجهوداته الشخصية المتميزة والبارزة في مجال الحفاظ على البيئة واهتماماته المتميزة على المستويين الشخصي والرسمي في مجالات التشجير والتخضير

وإقامة المحميات الطبيعية. الجدير بالذكر أن دولة الإمارات العربية المتحدة قد حصدت في تلك الدورة ثلاث جوائز هي، جائزة "تخضير المدن" لمدينة ابوظبي، وجائزتا "التراث المعماري" و "الوعي البيئي" لمدينة دبي.

10- أبرز شخصية عالمية 1998

منحت هيئة رجل العام الفرنسية في هذا العام لقب أبرز شخصية عالمية للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، لجهوده في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية.

11- زايد رجل البيئة 2000

بمناسبة يوم البيئة العالمي 5 يونيو عام 2000، نظم معهد الجودة اللبناني، احتفالاً في جبل لبنان تكريماً للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وذلك في مقر المعهد في جبل الديب شمال بيروت بحضور ممثلين عن رئيس الجمهورية والحكومة اللبنانية وحشد من المهتمين بالبيئة ميدالية اليوم العالمي للأغذية، تقديراً من المجتمع الدولي لمواقف سموه المشرفة وتكريسه بكل إخلاص مبدأ العطاء والعون للأمم المحتاجة.

12- ميدالية اليوم العالمي للأغذية 2001

منحت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة "الفاو" الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "ميدالية اليوم العالمي للأغذية" اعترافاً بجهوده في خدمة البشرية جمعاء ومواقفه المشرفة والعظيمة وتكريسه مبدأ العطاء والعون للأمم المحتاجة. وتقديراً لجهوده وإنجازاته العظيمة ومبادراته النبيلة لعون الدول الفقيرة ومساعداته المتواصلة للدول النامية. قدم الميدالية الدكتور جاك ضيوف مدير عام المنظمة (السابق) يوم في 2 يونيو 2001 خلال استقباله من قبل صاحب السمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء في العاصمة ابوظبي.

13- جائزة كان الكبرى للمياه 2001

في الأول من يونيو عام 2001 م منحت منظمة شبكة البحر الأبيض المتوسط التابعة لرئاسة اليونسكو للموارد المائية والتطوير المستدام والسلام جائزة كان الكبرى للمياه للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وقد تسلم الجائزة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، والذي أعلن بأن تسلم هذه الجائزة نيابة عن صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة والذي يعود له الفضل في أي إنجاز بيئي تحصل عليه دولة الإمارات لفخر واعتزاز لكل مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.

14- درع برنامج الأمم المتحدة للبيئة 2002

وتلقى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يوم 11 يونيو 2002 درعاً تذكارياً من برنامج الأمم المتحدة للبيئة تقديراً وعرفاناً لجهوده المخلصة في مجال حماية البيئة ونشر الرقعة الخضراء وتسخير كافة الإمكانيات لحماية البيئة والمحافظة عليها حتى أصبحت دولة الإمارات من النماذج الفريدة المتميزة في مسألة الحفاظ على البيئة وتنميتها.

وقد أشاد الدكتور كلاوس توبفر المدير التنفيذي السابق لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة بهذه المناسبة بما حققته دولة الإمارات العربية المتحدة من إنجازات في مجال المحافظة على البيئة والحياة الفطرية مؤكداً "أن ذلك هو أحد أساسيات

النهضة الحضارية الشاملة التي ما كنت لتتحقق لولا التوجيهات الحكيمة والرؤية الثاقبة لصاحب السمو رئيس الدولة".

15- ميدالية المنظمة العربية للتنمية الزراعية 2002

في عام 2002 منحت المنظمة العربية للتنمية الزراعية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، "ميدالية المنظمة العربية للتنمية الزراعية" تقديراً منها للجهود التي بذلها لدعم مسيرة التنمية الزراعية في الوطن العربي وفي تلك المناسبة، قدم معالي الدكتور سالم اللوزي، مدير عام المنظمة، الميدالية

لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان خلال استقباله لوزراء الزراعة العرب المشاركين في اجتماعات الدورة الـ 27 للمنظمة والتي استضافتها دولة الامارات خلال الفترة 28 - 30 ابريل 2002 بمدينة أبوظبي.

16- الشيخ زايد بطل الأرض 2005

في شهر أبريل 2005 اختار برنامج الأمم المتحدة للبيئة "يونيب" الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان واحداً ضمن سبع شخصيات عالمية بوصفهم "أبطالاً للأرض"، وذلك اعترافاً وتقديراً لجهوده التي حققها في سبيل حماية البيئة في دولة الإمارات العربية المتحدة وفي مناطق أخرى من العالم.

وقال بيان صادر عن برنامج الأمم المتحدة للبيئة في مقرها في نيروبي أن حصول الشيخ زايد على الجائزة الخاصة بمنطقة غرب آسيا جاء اعترافاً وتقديراً لجهوده وأعماله طوال حياته في سبيل حماية البيئة في بلاده، ومساهماته ذائعة الصيت في مجال الزراعة والتشجير وحماية الأنواع المعرضة للانقراض، منوهاً إلى أن من بين أهم منجزات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان تشجير الصحاري في المنطقة، وزراعة أكثر من 100 مليون شجرة، إضافة إلى حظر الصيد منذ أكثر من ربع قرن، وإقامة محمية في جزيرة صير بني ياس من أجل حماية الأنواع المعرضة للانقراض، مثل حيوان المها العربي وغزال الصحراء.

وفي 19 إبريل 2005، وفي مقر منظمة الأمم المتحدة في نيويورك تم تكريم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله من قبل برنامج الأمم المتحدة للبيئة (يونيب) بوصفه "بطلاً للأرض" أسهم طوال حياته في دعم مشاريع مكافحة التصحر وحماية البيئة والحفاظ على الحياة البرية المهددة بالانقراض، ولقد أشاد الدكتور كلاوس توبفر، المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، في تلك المناسبة بالجهود الكبيرة والمتميزة التي بذلها المغفور له الشيخ زايد في مجالات التخضير، والزراعة، وإقامة المحميات الطبيعية وحماية الأنواع المهددة بالانقراض وغيرها الكثير، وهو الأمر الذي وصفه بأنه شكل أحد أبز معالم النهضة الحضارية الشاملة لدولة الإمارات، ونوه بأنه برنامج الأمم المتحدة للبيئة يشعر بالفخر والاعتزاز بالإنجازات التي حققها الشيخ زايد، رحمه الله، وستة آخرون ممثلون عن مناطق العالم المختلفة في مجالات المحافظة على البيئة، وقال إن تلك الشخصيات الفريدة السبع قد أسهمت إلى حد كبير في إرساء قواعد خاصة ومتميزة وواضحة للجميع في مجالات تحسين وحماية البيئة العالمية.

ولقد تسلم جائزة الشيخ زايد صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله، خلال استقباله للمدير التنفيذي للبرنامج، الدكتور كلاوس توبفر، بقصره في البطين في ابريل 2005.

جائزة زايد الدولية للبيئة 1999

واعترافاً بالدور الرائد والمتميز الذي قام به الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال حماية البيئة بادر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، في الثلاثين من يناير 1999 إلى تأسيس ورعاية "جائزة زايد الدولية للبيئة" وتبلغ قيمة الجائزة مليون دولار أمريكي، تمنح للشخصيات أو الهيئات التي تقدم أعمالاً مميزة في خدمة البيئة على مستوى العالم، وفي تلك المناسبة قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: "تتشرف الجائزة بأن تحمل اسم القائد الذي حقق ما ظنه الخبراء مستحيلاً".

"أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة"

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

"طيب الله ثراه"

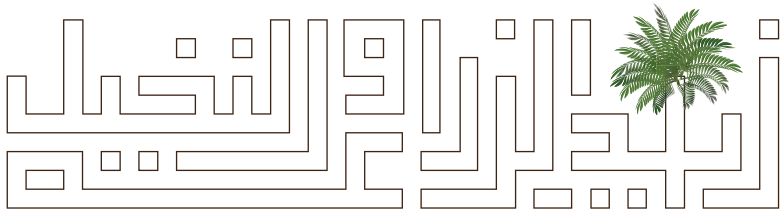

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان خلال جولته لمعرض الزراعي الرابع- العين 17مارس1972م.
المصدر: الأرشيف الوطني

المعجزة الخضراء

لا نبالغ إطلاقاً عندما نقول إن المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" قد حقق بالفعل معجزة خضراء فوق أرض الوطن أذهلت العالم، ولعل أولئك الذين عاصروا زايد وشهدوا كيف كانت البلاد قبل الشيخ زايد، وماذا حقق من إنجازات في مجالات الزراعة على وجه الخصوص، هم أكثر الناس إدراكاً لحقيقة المعجزة الخضراء وحجمها على الأرض. وينبغي علينا أن نتصور الظروف الصعبة التي أحاطت بالشيخ زايد في لحظات البداية، ليس إنصافاً للرجل لأن التاريخ قد أنصفه، بل لأن التجربة في حد ذاتها كانت غريبة وفريدة من نوعها سواء على صعيد المنطقة، أو على صعيد العالم العربي كله، فلم يحدث من قبل أن استطاع حاكم أو قائد أو رئيس دولة، أن يُحدث تحولاً حضارياً في مجال الزراعة، في مثل تلك الظروف، وبهذا الحجم وعلى هذه الصورة، وبالسرعة التي تم بها هذا الإنجاز، كما فعل زايد. ولا شك كان الشيخ زايد يدرك منذ أول لحظة تولى فيها السلطة وأطلق نداء العمل والبناء. أن المعركة الخضراء التي رتب لها وتمناها طوال حياته، لن تكون سهلة، وأن الأرض لا تغير من طبيعتها لمجرد التمني. ولأن زايد - كما قلنا - كان شغوفاً باستقراء التاريخ، فقد أدرك في وقت مبكر جداً تلك الحقيقة المهمة التي تقول "إن قطرة الماء في الصحراء تساوي نبضة حياة" فإذا كانت قناعته بأن الزراعة هي أساس الاستقرار، وهي اللبنة الأولى لأية حضارة في التاريخ، فقد كان يعلم كذلك أنه لا زراعة بغير ماء. ولهذا اهتم شخصياً بالبحث عن مصادر جديدة للمياه وخوض التجربة بكل تحدياتها.

كانت البداية بتحسين الأراضي الزراعية بحيث تعطي أفضل إنتاج، وجاء بالمهندسين الزراعيين للمعاونة في زراعة أنواع جديدة من الخضروات والفاكهة وأشجار النخيل ذات العائد الجيد بالنسبة للمزارع، وأيضاً تلك التي تشكل أهمية في إطار تحقيق الأمن الغذائي للبلاد، وقدم للمواطنين المزارعين القروض، والبذور الجيدة، وأفضل أنواع الأسمدة، وخصص جوائز لمن يزرع أكثر، ومن يعطي إنتاجاً أكبر، وركز كثيراً على زراعة أشجار نخيل التمر فلم تخلو مزرعة من أشجار النخيل، وكانت السعادة تتجلى على وجهه وهو يطوف المعارض التي تقام بأرجاء الدولة، فيرى فيها إنتاج الأرض الطيبة التي كان يعلم منذ البداية أنها طيبة وقادرة على العطاء، ويستمع باهتمام للمزارعين ويذلل الصعاب عليهم لتحقيق الأفضل لهم وللمجتمع الإماراتي.

إذا كانت رحلة "الشيخ زايد" مع الزراعة والنخيل في الإمارات، رحلة عامرة بالإنجازات، إلا أنها حافلة بالتجارب الرائدة التي أصبحت اليوم مدرسة ومحل اهتمام كثير من مراكز البحث العلمي والمنظمات الدولية المتخصصة التي تهتم بزراعة الأراضي القاحلة في العالم.

أ. د. عبد الوهاب زايد
أمين عام جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي